السنة الثالثة عشرة / يناير ٢٠٢٢ / العدد:٢٢

نور

للدراسات الحضارية والفكرية

ملف العدد

- العلاقة بين الدين والعلم والفن في فكر النورسي
- الإيمان وأثره في تأسيس السلام الاجتماعي
  دراسة تطبيقية على رسائل النور
- سياقات التحميدات النورية بين الإيمان والقرآن والإسلام
- معايير اللذة والألم عند الإمام بديع الزمان النورسي

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم
THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenandemirtas@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛
د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛
أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛
أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

محمد الهادي وناس، محمد أوزون

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

العدد: ٢٢/ يناير ٢٠٢٢

İmak Ofset: Akçaburgaz Mh. 137. Sokak No: 12 Esenyurt

İSTANBUL / TÜRKİYE

Tel: +90 444 62 18

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6

Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY

Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)

Fax: +90 212 527 80 80

info@nurmajalla.com

https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur

www.iikv.org

١- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير- يوليو)، تصدر عن مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢- تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.[1]

---

[1] ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد الثاني والعشرون..... أ.د. عمار جيدل: ٣

البحوث والدراسات[1]

– الوعي الإيماني وآثاره في تكوين شخصية المؤمن عند النورسي .....

.....أ.د محمد خليل جيجك: ٩

– رسائلُ النورِ بينَ الواقع المُكتَسَبِ والمأمولِ المُرْتَقَبِ -قراءةٌ في نهج الأستاذ النورسيّ في التبليغِ والإرشاد..... أ.د محمد عزيز عدمان: ٣٠

– الحقيقة، الوحي والعقل- قراءة نقدية لمسلمات وقواعد التأويل في القراءات الحداثية للوحي - دراسة أنموذج- .....د. عطية بن عطية: ٥٢

ملف العدد

– العلاقة بين الدين والعلم والفن في فكر النورسي..... أ.د. لخضر شريط: ١٠٠

– الإيمان وأثره في تأسيس السلام الاجتماعي -دراسة تطبيقية على رسائل النور- .....

..... أ.د. علي بن العجمي العشي و د. سالم المساهلي: ١٢٨

– سياقات التحميدات النورية بين الإيمان والقرآن والإسلام .....د. فرهاد أكبر الشواني: ١٥٣

– معايير اللذة والألم عند الإمام بديع الزمان النورسي.....محمد الهادي وناس: ١٧٦

– نبذة عن أهم الأنشطة والفعاليات لمؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم خلال السنوات٢٠١٩

-٢٠٢٠-٢٠٢١ .....١٩٨

Contents: ٢٠٤

[1] ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرفة .

كلمة العدد الثاني والعشرون

أ.د. عمار جيدل

الحمد لله أن علّمنا "التلفّظ بالحمد لله"، فالحمد منه وإليه، الحمد له كما يليق بالله، والصلاة والسلام على محمد بحر أنوار الله، ومعدن أسراره، وشمس هدايته، وعين عنايته، ولسان حجّته، ومليك صنع قدرته، والأنموذج الأكمل في محبّته، وممثّل تمام رحمته، فكان بذلك أهلا ليكون أحبّ الخلق إليه، صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين والصحب الكرام أجمعين.

عرفت الإنسانية في السنوات الأخيرة وباء (كوفيد ١٩ ومتحوّراته) الذي لم يستثن أحدا من البشر، فكانت فرصة قوية لسوط التذكير الإلهي ليستعيد البشر شعورهم بالانتماء إلى أب واحد (آدم) يقتضي مربوبيتهم للحق، وتوقّف وجودهم وبقائهم ومصيرهم على الحق سبحانه وتعالى، كان قمينا أن تُحْيِيَ أسواط التذكير بالأوبئة استشعار الانتماء إلى الله بالعبدية والعودة إلى الله بالعبودية، ولكن الغفلة عن الله والسكر بالمكاسب المعنوية أو المادية منع فعالية التذكير، ولم يؤت أُكُلَه كما كان منتظرا لدى جملة العقلاء، ووفاء بهذه المهمّة النبيلة وبالرغم من الصعاب الصحية التي مررنا بها كسائر مكوّنات الأسرة الإنسانية، بقيت مجلتنا وفيّة لخط التذكير بالله معرفيا ومنهجيا، فجمعنا لهذا العدد عدّته، واخترنا في استهلال الدراسات بما كتبه العلامة محمد خليل جيجك ببحثه المميّز الموسوم بـ" الوعي الإيماني وآثاره في تكوين شخصية المؤمن عند النورسي"، وثنيّنا بدراسة الأستاذ الدكتور عزيز محمد عدمان الذي اختار له عنوان:"رسائلُ النورِ بينَ الواقع المُكتَسَبِ والمأمولِ المُرْتَقَبِ -قراءةٌ في نهج الأستاذ النورسيّ في التبليغِ والإرشاد"، وختمت الدراسات ببحث الأساذ الدكتور عطيه بن عطيه، وعنوان بحثه:الحقيقة، الوحي والعقل- قراءة نقدية لمسلمات وقواعد التأويل في القراءات الحداثية للوحي- دراسة أنموذج.-

أما ملف العدد فاشتمل على جملة من الدراسات المميّزة أولها للبروفيسور لخضر شريط بعنوان:" العلاقة بين الدين والعلم والفن في فكر النورسي"، وأردف بدراسة الأستاذ الدكتور علي بن العجمي العشي و الدكتور سالم المساهلي الموسوم بـ" الإيمان

وأثره في تأسيس السلام الاجتماعي -دراسة تطبيقية على رسائل النور-"، ثم بحث الدكتور فرهاد إبراهيم أكبر الشواني الذي آثر أن يكون عنوانه "سياقات التحميدات النورية بين الإيمان والقرآن والإسلام"، وختم الملف ببحث الباحث المجتهد محمد الهادي وناس والذي عنوانه"معايير اللذة والألم عند الإمام بديع الزمان النورسي ".

واشتمل العدد على عرض نبذة مفيدة عن نشاطات مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم باسطنبول ، إذ وبالرغم من الظروف الوبائية الصعبة بقيت المؤسسة محافظة على مهمّتها النبيلة، فقامت بدورها على أكمل وجه، وأسهمت خلال سنوات ٢٠١٩-٢٠٢٠-٢٠٢١ في نشاطات متنوّعة محليا ودوليا، فكان منها عقد مؤتمرات وندوات علمية وأيام دراسية ونشاطات تواصلية، وزيارات ميدانية محليا ودوليا أثمرت اتّفاقات وتعاونا نافعا إن شاء الله خدمة لرسائل النور ومحبيها طاعة لله سبحانه وتعالى، كل ذلك لأجل خدمة الحقائق الإيمانية، والتذكير المنهجي والمعرفي بها، خدمة للإنسان حيث كان، لعلّها تكون إشراق نور الرسائل النور على الإنسانية مصداقا لقول الأستاذ النورسي (رحمه الله): "اعلم أنّ الفاطر الحكيم إنّما ركّب في وجودك هذه الحواس، والحسيات، والجهازات لإحساس أنواع نِعَمِهِ، ولإذاقة أقسام تجليات أسمائه."أيّها الإنسان" فما غايات حياتك وما حقوقها إلاّ إظهارُك آثار تجليات أسمائه، وتشهيرُ غرائبها لدى أنظار المخلوقات..وما إنسانيتك؛ إلاّ شعورك بهذه الوظيفة. وما إسلاميتك؛ إلاّ إذعانك بهذه المظهرية" (المثنوي العربي٣٧٨)

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الدراسات والبحوث

الوعي الإيماني وآثاره في تكوين شخصية المؤمن عند النورسي

ملخص

أ.د محمد خليل جيجك[1]

إن جهود النورسي كانت منصبة نحو تكوين وعي إيماني كامل لدى الإنسان المعاصر بما استهدف لغزوات فكرية شرسة وتشكيكات عقدية كثيفة ويحاول تحقيق ذلك الوعي من خلال الحجاج والنقاش وإثبات جميع دعاواه الإيمانية بالأدلة المبثوثة في مختلف جنبات هذا الكتاب المنظور مستعينا في ذلك ومستضيئا بشتى آيات الكتاب المسطور.

ويجهد النورسي رحمه الله نفسه ويتعب قلمه بما جمع من آلاف الأدلة المزبورة في جميع رسائله وسائر مؤلفاته. ومن خلال إلقاء نظرة إجمالية على حصيلة هذا الجهد المبارك يستبين أن النورسي كان يستهدف من تكوين هذا الوعي الإيماني المستنير لدى الإنسان المسلم تحقيق هذه النتائج التالية:

١- تكوين شخصية إسلامية متماسكة مقاومة لفتن العصر ومتصلبة تجاه أعاصير شكوك الإلحاد والإنكار،
٢- التمسك الكامل لمعايير الكتاب والسنة في الأعمال والأحوال الشخصية، والالتزام الكامل بأحكامهما وأخلاقياتهما ومبادئهما التي لا تأتي إلا بخيور جمة وبركات غزيرة،
٣- تكوين الانضباط النفسي المستقر والتوازن الروحي التام تجاه تقلبات العصر وما يقع بين فينة وأخرى من الأحداث الجسام،
٤- التخلق الخليق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة في جميع الملابسات والمناسبات.
٥- التزود ببصيرة إيمانية من خلال ما يفيض على المرء من بركات الإيمان والإسلام وعمل الصالحات،
٦- المقاومة الصلبة الشديدة تجاه ما يواكب المؤمن من خلال أحداث الحياة المعاصرة المرعبة المفزعة.

٧- قراءة أحداث الكون وتصاريفه قراءة إيمانية رشيدة سديدة في ظلال الأسماء الحسنى وفهم مغزى تلك الأحداث على ضوء تجليات الأسماء الإلهية والصفات الربانية.

٨- عدم الركون إلى زخارف هذه الحياة السائلة الزائلة وعدم الاغترار بزينتها ومغرياتها، والتجنب عن أدناسها وأرجاسها.

وسنوافي بمشيئة الله تعالى على التفصيلات اللازمة من خلال البحث.

الكلمات المفتاحية: الوعي، الإيمان، أثر، الدليل، القرآن، وجود الله، سعيد النورسي، القرآن، رسائل النور، شخصية المؤمن، الكفر.

Faith-consciousness and its Impact on the Formation of the Personality of a Believer according to Nursi

Abstract

Prof. Dr. Muhammed Khalil Cicek

Al-Nursi's efforts were focused on forming a complete faith-consciousness in the contemporary human being, who has been left exposed to fierce intellectual invasions and intense doctrinal doubts.

Al-Nursi, may God have mercy upon him, makes the best possible attempt to bring that consciousness with whatever he was able to collect from thousands of evidences penned in all his booklets and other writings. If we take a general look at the outcome of this blessed efforts, it is evident that Nursi aimed at creating this enlightened faith-consciousness in Muslims to achieve the following results:

١- The formation of a strong and cohesive Islamic personality that is resistant to the temptations of the age and is stubborn towards the storms of doubts emanating from atheism and denial.

٢- Full compliance with the standards of the Qur'an and Sunnah in all activities and personal matters, and full adherence to their rulings, morals and principles that only bring great benefits and abundant blessings.

٣- Formation of a strong psychological discipline and complete spiritual balance in the face of the vicissitudes of the times and the momentous events that unfold from time to time.

٤- Adherence to high Islamic morals in all circumstances and occasions.

٥- Providing oneself with faith insight through the blessings of faith and Islam and doing good works.

٦- Bringing about the spirit of strong, and powerful resistance towards what keeps the believer from realization and consciousness through the horrific and frightening events of contemporary life.

٧- Reading the events of the universe and its events in the light of the manifestations of the Divine Names and Divine Attributes.

8- Not to rely on the trappings of this transient and ephemeral life, not to be deceived by its adornments and temptations, and to avoid its impure pursuits and abominations.

We will attempt to provide, God willing, the necessary details relating to the subject through this paper.

Keywords: Awareness, faith, impact, evidence, the Qur'an, the existence of God, Saeed Nursi, the Qur'an, letters of light, the personality of a believer, infidelity, atheism.

تمهيد:

إن علماء الأمة الإسلامية بمنزلة أطباء نصحاء للأمة. فكما يداوي ويعالج الطبيب الناصح مرضاه بأقصى ما في وسعه من الأدوية النافعة والمعالجات المفيدة كذلك العلماء الربانيون يقدمون لأمة الإسلام أقصى ما يمتلكونه من المعالجات العلمية والدعوية لاسترشاد الناس إلى الطريق الأقوم والسبيل الأسلم في السلوك إلى الله سبحانه. ولا شك أن لكل عصر مناهجه في التفكير، ولكل دهر برامجه في التذكير، ولكل عالم مواهبه، ولكل داع مسالكه في الدعوة إلى الله. فكم من عصر له ثقافته الخاصة، وله مستواه المحدد من التفكير والعلم والعرفان لا يوافق العصور الأخرى، كما أن لكل عالم أيضا نهجا خاصا و سبيلا مخصوصا يخالف الآخرين. ولا يمتري عاقل أن هذه العصور الأخيرة بدأ من عصر الثورة الصناعية أو عصر التنور - على حد تعبيرهم - أتت بانقلابات جذرية في التفكير والرؤى ومقاربة الأحداث وتقويم الوقائع. وأهم ميزات عصور ما بعد التنور هو التقويم الوضعي، والرؤى الجحودية، والمقاربة الإلحادية، والعقلية العلمانية في جميع ما يمس العقيدة والشريعة وكافة ما له صلة بالنظر

إلى الكون والخالق، وإقصاء الدين بجميع معالمه وأحكامه عن الحياة بكافة تفاريعها وتفاصيلها، ومخارجها ومداخلها، كما أن من أبرز ميزات هذه النظرة (وسنذكرها فيما بعد بالنظرة المعاصرة) الكبر والبطر والاستنكار والاستكبار تجاه توجيه أحداث الكون بطبيعة وجودها إلى خالق الكون ودلالتها عليه. فثقافة هذه الحقبة الزمنية - بأهم ميزاتها وفي غالب أحوالها وأقسامها- ثقافة وضعية ملحدة كافرة، ونظرتها إلى أحداث الكون وتصاريفه وتدابيره نظرة ملحدة جاحدة. وهذه النظرة الملحدة سرت إلى معظم أقطار العالم وبلاده وأقاليمه. والرقي الذي تحقق في كثير من مجالات الحياة سبب في غطرسة وكبر وعجب غريب لدى الناس بحيث صارت هذه الغطرسة خصيصة فارقة للناس المعاصرين في جل أمورهم، ومناسباتهم، وملابساتهم، وممارساتهم. كما سببت إلى جانب انخلاع غالبيتهم عن المعتقدات الدينية انخلاعهم عن معظم قيمهم الإنسانية، ومبادئهم الأخلاقية، وأواصرهم الأسرية، بسبب انخلاعهم من العقيدة والكثير من الأسس الأخلاقية. وكوَّن أبناء هذه الحقبة الزمنية لهم قوالب فكرية ومبادئ ثقافية بحيث أن كل ما يخالف تلك القوالب الفكرية أو يضاد رؤاهم الثقافية إلى الكون والأحداث فهو مردود منبوذ لا وزن له عندهم وليس له أي اعتبار.

وتجاه أمثال هذه التطورات السيئة الغير المتوقعة يتوجه إلى الناس عامة وإلى المسلمين خاصة ويتوجب عليهم أن يأخذوا حذرهم، ويتخذوا التدابير اللازمة للحد من تفشي منابع السوء ومصادر الفساد في المجتمع وأن يسهروا على التدابير اللازمة تجاه أزمة تجفيف منابع الأخلاق والقيم في معظم المجتمعات، إذ لا ريب أن أهم وأعظم منابع السوء والظلم والبربرة والوحشة والقسوة في المجتمعات القديمة والحديثة هو الكفر والإلحاد اللذان هما السببان الرئيسان والعاملان الرئيسان في التخلي عن القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية لاغير. ومن جراء ذلك اتخذ علماء المسلمين وخصيصا علماء أصول الدين أصلا علميا بنوا عليه الكثير من الأعمال العلمية وهي أنه إذا ضعفت ناحية من نواحي العقيدة الإسلامية في أي بلد ما يجب على أهل ذلك البلد أن يتزودوا من المسائل العلمية والأدلة المقنعة والحجج القوية ما يدفعون به الضعف والخور في ذلك الجانب ويثبتوا لعقلاء الناس أنه حق وصدق[٢].

فانطلاقا من كل ما مضى نجد الشيخ النورسي طيب الله ثراه بالرغم من وفرة زاده العلمي في مختلف نواحي العلوم الإسلامية من أدب، وتفسير، وكلام، وأخلاق، ومنطق، وفلسفة، ونظرة اجتماعية سديدة، وتقويم بديع لما يجري على الساحة من الأحداث، وبالرغم من سعة زاده في التفكير والاستنتاج من الأحداث وغير ذلك فبالرغم من كل

ذلك وبالرغم من أنه كان مقتدرا على تآليف نافعة مفيدة في مختلف جوانب الحياة وفي تقويم مختلف تلك الأحداث التي كان يعيش في غمارها لكنه لم يستهوه بريق تلك المجالات الفكرية التي لو ألف النورسي فيها لعد من عظماء الحكماء الفلسفيين بل نجده وجه جميع قصده وهمته، وكثف كافة سعيه وعمله على إثبات وجود الخالق أولا، وإثبات سائر المسائل الإيمانية والقضايا الاعتقادية والاستدلال والاحتجاج على صدقها وحقيتها وأنها صواب محض وحق بحت من الاتجاه العقلي والمنطقي ثانيا، ومن ثمه إثبات أن الإسلام بكافة أركان عقيدته، وعامة أحكام شريعته، وجميع جوانب حياته هو دين الله الحق الوحيد ورسالة الله الأخيرة الصادقة الحقة إلى البشرية عامة ثالثا. ومن هنا كان للنورسي في هذا المجال جولات وصولات خاصة ربما لا تجدها بهذه الكثافة وهذا الإلحاح والإلحاف، في عصر آخر، ولا تجده بهذا المستوى الرفيع من الإقناع المنطقي والإمتاع العقلي عند غيره من العلماء والدعاة عبر التاريخ الإسلامي كله فهو طيب الله ثراه ملأ فجوة واسعة وسد هوة سحيقة كان أعداء الدين والعقيدة نقبوها وفتحوها بحيث سهل على أعداء الإسلام والإنسانية أن يدخلوا منها على حريم الإسلام، ويلوثوا كرامته، ويدنسوا عرضه النقي. فوقف النورسي في وجه تلك الهجمات الجائرة الغاشمة ثابتا لا يتزعزع وصامدا لا يترنح. وكل ذلك لأن الإنسان ابن يومه. فالشيخ النورسي كان ابن يوم عسير من أيام الإسلام فتأهب لتلك العسرة أهبتها وأعد لها عدتها، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إن الشيخ النورسي رحمه الله حصَّل بهذا الجهد الإيماني الدؤوب والسعي العقائدي الحثيث نتائج ملموسة في واقع حياة المسلمين، وكوَّن بذلك وعيا إيمانيا قويا رفيعا أنتج نتائج طيبة وأبرز آثارا قوية لها ما لها من الثمار الكريمة والفوائد العميمة. فلنخلص ضمن هذه الكلمة العجلى ما حاول النورسي أن يبثه بين صفوف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من الوعي الإيماني الرفيع ومن آثاره الحميدة الطيبة فيما يلي:

١. تكوين الوعي الإيماني الرفيع

إن الشيخ النورسي كان على وعي تام –لما يتمتع به من بصيرة نافذة وقريحة وقادة– بما يجري على ساحة العصر في العالم الإسلامي عقب الحربين العالميتين وإثر الثورة الصناعية، وخصيصا عقب اندلاع الثورة البلشفية في روسيا من تقلبات في الرؤى، وتغيرات في الأفكار، وتبدلات في المعتقدات، وتحولات في مقاربة الأحداث، وكان

يرى عن كثب ما يدب إلى البشرية من دبيب الإلحاد والجحود. فأخذ يتأهب لها، ويعد لها عدتها. فكان يصرخ بصوت عال مدو عبر الزمن كله حتى يفهم القاصي والداني أن الدين (الإسلام) حياة للحياة ونورها وأساسها، وأن إحياء الأمة إنما يكون بإحياء الدين، وأن رقي أمتنا إنما يكون على درجة تمسكها بدينها، وأن انحطاطها يكوم على درجة إهمالها لدينها بخلاف الأديان الأخرى.[٣] فأمثال هذه الخطابات كونت لدى المطلعين عليها وعيا إيمانيا وثقة نفسية تامة وبصيرة محكمة في الرؤى.

كما كان يرى ما أتي وما يأتي به تطورات العصر من الغرور والغطرسة والإلحاد والجحود في مجال المعتقدات الدينية عامة والإسلامية خاصة، وكان يرى أن الملحدين بكافة أطيافهم من الاشتراكيين والشيوعيين إلى اللبراليين والعلمانيين كيف يصولون بشدة وقوة على المعتقدات الدينية بحذافيرها يستخدمون في ذلك كافة ما لديهم من الإمكانيات العلمية، والقوى السياسية، والآليات الفكرية بشراشرها مع استخدام ما يتأتى لهم من وسائل العنف الفكري والمادي بدون هوادة ويشككون في كل ما يمت للدين عامة وللإسلام خاصة بصلة. فكان الشيخ الملهم الشيخ النورسي يشاهد جميع ذلك وكان يرى ببصيرته الحادة وفراسته النافذة ما ستأتي به تلك التشكيكات والتضليلات في المجتمع الإسلامي من الويلات والثبور، وما تسببه فيه من الدمار والوبار. يرى جميع ذلك عن كثب بنظراته المستقبلية الثاقبة. فأخذ يحسب لها حسبانها، ويتجهز لها بما في وسعه من آليات الدفاع عن الدين الحنيف الفكرية والعلمية والأخلاقية دون أن يتشبث بأي شيء من المواجهة الفعلية لأي شيء منها. وكان الشيخ الملهم يرى أن أقوى ما يمكن أن يدفع شدة هذه الموجة الإلحادية العارمة عن العالم الإسلامي هو الدفاع العلمي والفكري عن الإسلام وإثبات حقائق الإسلام بالحجاج المنطقي السليم فكان يقول: لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها[٤]. ومن هنا كان النورسي يحاول بجميع ما أوتي من قوة وطاقة وحكمة وبصيرة في جميع رسائله وسائر كتاباته أن يثبت بالحجاج العقلي والاستدلال العلمي الهادئ أن في الإيمان جنة معنوية، وفي الكفر جهنما معنوية، وأن في الحسنات والأعمال الصالحة والعمل بحقائق الشريعة لذائذ معنوية تضاهي لذائذ الجنة، كما أن في المعاصي والذنوب واللذائذ المحرمة آلاما معنوية.[٥] وهذا هو ما يتطلبه إنسان العصر الحاضر الذي يزداد كل يوما تجاه أحداث العصر وقلاقله انهياره النفسي. إذ تقدم الإنسان في شتى المجالات العلمية والفلسفية، وترقيته في مختلف الميادين التكنولوجية جعله يتغطرس ويتكبر ويستنكف تجاه كل ما لا يوافق هواه الفكري وشهواته العقلية.

وسنحاول بدورنا أن نتناول في هذا البحث الأعجل ما يكونه النورسي عبر رسائله من الوعي الإيماني الرفيع وآثاره الحميدة في حياة الفرد المؤمن والمجتمع المؤمن. علما منا أن أخطر ما تقاسيه الأمة الإسلامية في العقود الأخيرة هو الخلل العقلي والدغل التفكيري والفساد العقدي والضعف الإيماني والسفالة الأخلاقية التي لها ما لها من النتائج السيئة السلبية، والآثار المفسدة المدمرة في حياة الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة، والمجتمع المسلم من مختلف الجوانب.

٢. تكوين شخصية إسلامية متماسكة مقاومة لفتن العصر ومتصلبة تجاه أعاصير شكوك الإلحاد والإنكار

إن من أهم ما يعتني به النورسي في خطابه الدعوي عبر رسائله هو تكوين شخصية إسلامية متماسكة قوية تستطيع أن تقاوم مغريات العصر من الشهوات والأهواء والذنوب والمعاصي، وتقتدر بمكسوباتها العلمية الإيمانية أن تعارض تحديات العصر على أفضل وجه وأقومه. ولا جرم أن الطريق الوحيد للوصول إلى ذلك في هذا العصر المتميز بالإلحاد وفصل الدين عن الحياة وانتشار الثقافة الإلحادية في معظم الآوساط البشرية، وطغيان الأهواء والشهوات والنزوات على العقول والمدارك هو الإيمان الراسخ المعتمد على دعائم الحجج والاقتناع القائم على الاستدلال والخطاب المنطقي الواضح. وهو ما يصرف الشيخ النورسي عليه معظم جهوده الدعوية وهو القسم الغالب من مضامين خطابه في كافة كتاباته أيضا. وللنورسي في هذا السياق عطاء بالغ، وثراء شامل، وغناء كامل. وهو في ذلك كالمنبع الفياض يفيض بآلاف الحجج الدامغة والدلائل القاهرة. يقول رحمه الله في هذا السياق: يوجد في زماننا هذاحالتان مرعبتان مدهشتان:

الأولى: إن مشاعر الإنسان الحاضر التي تؤثر لذة حاضرة بوزن درهم على أثقال من اللذة المؤجلة تغلبت على التفكير وعلى المنطق السليم. ومن هذا إن طريق تنجية أرباب السفاهة والغواية من سفاهتهم وضلالتهم هوالغلبة على مشاعرهم الحسية بإقناعهم وإرائتهم أن في نفس تلك اللذة آلاما[٦] مريرة قد أشار إلى طرف منها قول الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[7] فيذهب النورسي يستنبط من إشارات الآية معنى لطيفا وعلى ضوء ذلك المعنى اللطيف يشبه اللذائذ الدنيوية الحاضرة بقطعات الزجاج والتي هي متاحة للانكسار كل وقت، ويشبه نعم الآخرة ولذائذها بالالماس الذي هو أغلى الجواهر القيمة

والمقاوم للانكسار. ويمضي يقول: إن الطريق الوحيد للخلاص من إيثار هذه اللذائذ الفانية الزائلة على النعيم السرمدي الدائم ولخلاص المؤمنين من خطر حب الدنيا ومتابعة أهل الأهواء هو إرائتهم وإقناعهم بما في هذه الحياة قبل الآخرة من الآلام المريرة والبؤس والشقاء.[٨] وبهذا يشير النورسي إلى أن طريق اكتساب الشخصية القوية إنما هو بالإقتناع المكتسب من طريق الحجاج والاستدلال.

الحالة الثانية: إنه عم في دنيانا المعاصرة الكفرُ المطلقُ وطم كما انتشر في يومنا هذا الكفر الجحودي العنادي الذي نشأ من بعض ممارسات العلوم الرياضية فاشتد تمرد صاحبه واشتد عتوه وعصيانه في وجه الحق. وكل هذا يتطلب مزيد الاعتناء وبالغ الاهتمام باثبات القضايا الإيمانية بحجج علمية قوية حتى يتأتى لنا كسر شوكة هذا الكفر وكسر عوده إربا إربا.[9] هذا ما يراه النورسي الشيخ الملهم في رؤيته إلى دنيا المسلمين في العصر الحديث مضيفا إلى ذلك أن مهمته الأساسية هي خدمة القرآن الكريم والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الذي يودي بالحياة الأبدية، ويجعل من الحياة الدنيا سما زعافا وجحيما لا تطاق. والمنهج الفريد في ذلك إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي تلزم أشد الفلاسفة والمتزندقة تمردا على التسليم.[١٠] فجميع جهود النورسي المنصبة على إثبات العقائد الإسلامية إنما تستهدف في نهاية المطاف تكوين شخصية إسلامية متماسكة قوية تجاه فتن العصر، وجحوده، وشكوكه، ومغرياته، وملهياته. وذلك بسرد الأدلة العقلية والنقلية، وبيان العواقب السيئة للكفر والمعاصي، والمقارنة الحكيمة بين نفسية المؤمن ونفسية الكافر، وغير ذلك مما هو مبثوث عبر جميع كتاباته ورسائله. فمثلا إن الأستاذ النورسي رحمه الله ذكر أهمية الصلاة،[١١] وفوائد الإيمان بالله،[١٢] والإيمان بالغيب،[١٣] وما يكسبه الإيمان للقلوب المؤمنة من طمأنينة وسعادة وسكينة، وشرح فوائد العبادة وبركات التقوى في حياة المرء المؤمن، ووقع على مكانتها العظيمة وتأثيرها البالغ العميم في الحياة الإنسانية في مواضع متفرقة من رسائله،[١٤] وخصص لها البعض من مقالاته وكلماته والكثير من كتاباته.

كما أن للنورسي انطلاقة أخرى إذ يرى من اللازم الضروري أن يفسر القرآن الكريم وفق متطلبات العصر وإلجاآته. ومن هنا يرى أن تفسير القرآن تفسيرا يجيب عن تحديات العصر من أهم واجبات العالم ومسؤلياته وكذلك بيان وإثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتا مدعما بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة يحمل أهمية كبيرة جدا.[١٥] ولذا يرى الشيخ النورسي أنه ينبغي أن يكون (إثبات) الحقائق الإيمانية أول مقصد

وأسبقه في هذا الزمان وأن تكون الأمور الأخرى في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة.[١٦] كما أن النورسي ينطلق من هذا المنطلق الاستدلالي والاحتجاجي في تفسير الكثير من الآيات القرآنية فيحاول تفسيرها مستهدفا لإثبات طرف من صلوحية الحكمة القرآنية للعصور والدهور والشعوب والأمم عبر التاريخ كله. فعليك بما كتبه في تفسير قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦\١١ تر أنه يحاول بذلك إثبات الحق الأبلج وإدحاض الباطل اللجلج.[١٧] كما أن ما ذكره في آخر تفسير سورة الفاتحة يبين ما كان النورسي يعالجه من محاولة لتكوين الإقتناع النفسي بمحاسن الإيمان وما يكونه عند المرء المسلم من الفوائد النفسية والروحية الجمة.[١٨]

وهذه أمور مهمة لها دور كبير في تكون الشخصية الإسلامية القوية المتماسكة المتوازنة. وكان من جملة أدعيته الخاصة: اللهم اجعلنا من أهل السعادة والسلامة والقرآن والإيمان.[١٩]

وحينما يسعى النورسي لذلك له في أسلوبه الكلامي وصياغته البيانية ميزة لا تجدها عند الآخرين حيث إن النورسي رحمه الله كان يتمتع بنسبة عالية من الإشراق الروحي والعرفان الرباني وانعكس ذلك على معظم كتاباته. فمن أبرز ما تجده في أسلوبه البياني أنه ركبه تركيبة خاصة لم نجدها عند الآخرين وهوالمزج بين البيان العرفاني النابع من إشراقه الروحي ذلك البيان الذي انعكس عليه من قرائته العرفانية لشتى صفحات الكون وأحداثه ووقائعه وبين البيان العلمي الذي انعكس عليه من علمه الغزير. فالنورسي حينما يريد أن يثبت الكثير من الحقائق الإيمانية يقرأ الكون في ظلال الأسماء الإلهية والتدابير الربانية.[٢٠] وهذا ما يضفي على كلامه صبغة عرفانية وميزة تامة من آثار الإشراق الروحي الذي إنما يناله الصفوة الخلص من عباد الله.

١. التمسك الكامل بمعايير الكتاب والسنة:

إن الإسلام لم يأت لتصحيح عقيدة مجردة من واقعيات الحيات والتزاماتها شأن بعض الأديان الأخرى بل جاء آخذا بمجامع الحياة كلها بين ذراعيه الحانيين. فصحح العقيدة أولا ثم نزل إلى سائر نواحي الحياة وشعبها المختلفة المتنوعة يوجهها، وينظمها، ويرتبها، وينسقها، ويفصلها، ويقسمها، ويشرّع لها. فبمختصر القول إن الإسلام جاء من أول يوم نزل لينشئ حياة بني البشر جميعا لا فرق بين أسود وأبيض، ولا بين عربي وعجمي، ولا بين فقير وغني: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[21] أخذ الإسلام ينظم الحياة من ألفها إلى يائها، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من شؤون الحياة إلا وجاء ليضع له دساتير وقوانين صالحة لكل زمان ولكل مكان، وهذا يقتضي أن يكون أمام الناس شاهد حي وأن يكون بين ظهرانيهم أسوة واقعية يقتدي بها الناس في صبحهم وعشائهم، في مطعمهم، ومشربهم، ومركبهم، وملبسهم، وبيعهم، وشرائهم، وسياسته وإدارتهم وفي جميع ملابساتهم الشخصية والاجتماعية. ومن جراء ذلك كان من ضروريات الحياة أن يكون النبي بشرا سويا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[22] وقال جل في علاه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ الأنعام: ٩١٦ ونص الذكر الحكيم على هذه الحقيقة الخالدة وهي ضرورة أن يبعث النبي بشرا ليأتسي به الناس وضرورة أن من واجب الناس أن يقتدوا به في كافة شؤونهم في نصوص عديدة وآيات كثيرة بأساليب متعددة منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[23] وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[24] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[25] إلى آخر ما هنالك من الآيات الكثيرة الآمرة بمتابعة الرسول والائتساء به أو الناهية عن مخالفته البالغة عددها نحوا من مائة أو أكثر.

فهذا الرسول البشر جاء ليعلم الناس دينهم ونظام حياتهم. وبعد ذلك صار تعاليم الكتاب وأعمال الرسول بوصلة كريمة للناس في محياهم ومعاشهم وصارت مراعاة تلك التعاليم القرآنية، والأعمال المصطفوية، والحكم النبوية في الأعمال والأحوال الشخصية، والالتزام الكامل بأحكامهما وأخلاقياتهما ومبادئهما معيارا حكيما وقسطاسا مستقيما في تقويم المؤمن من خلال ما يطبقه من رعاية أوامر الكتاب والسنة التي لا تأتي إلا بخيور جمة، وبركات غزيرة.

فمن جراء ذلك إن الشيخ النورسي رحمه الله يؤكد تأكيدا بالغا على أهمية متابعة السنة النبوية في حياة العبد المؤمن. فكان يحرض دائما بإلحاح بالغ على اتباع أوامر الكتاب والسنة وخصص لها رسالة خاصة باسم مرقاة السنة. فكان من أكبر وأعظم أهداف الشيخ النورسي هو نشر روح متابعة الكتاب والسنة بين شتى فئات الجماعة الإسلامية. إذ يقول: إن اتباع السنة له أهمية على الإطلاق وعلى الخصوص حينما تستحوذ البدع على شؤون المسلمين فلاتباعها أهمية أخص.[٢٦] ثم يستمر النورسي

انطلاقا من اقتناعه الشخصي لأهمية السنة في حياة المسلمين قائلا إن المتابعة لأدب صغير من آداب السنة السنية تشعر بوجود جانب هام من التقوى وتدل على قوة إيمانية لأن متابعة السنة مباشرة تذكر بشخصية رسول الله. وهذا التذكر لرسول الله ينقلب إلى سكينة ربانية [٢٧] ولذة روحانية يجدها المرء المؤمن بمتابعة السنة المصطفوية في ملابساته اليومية وعبر ممارساته الشخصية. وهذا يأتي بخيورعظيمة لدى المؤمن ويسبب له وقاية عظيمة من التردي في مهاوي الكفر والضلال. يمضي الشيخ النورسي في الإفصاح عما لمتابعة السنة النبوية من الخير والبركة قائلا: إنه تنقلب بمتابعة السنة الملابساتُ الاعتياديةُ البسيطةُ والأعمالُ الفطريةُ الطبيعيةُ كالمأكل والمشرب والمنام إلى العمل الشرعي والعبادة المأجورة عليها. لأنه يتذكر في ذلك العمل الاعتيادي اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ويتصور أن ذلك العمل الاعتيادي أدب من آداب الشريعة الإسلامية، كما يتذكر أن المصطفى عليه صلوات ربي وتسليماته هو صاحب الشرع ومبلغه، ويتوجه قلبه من (فيض) هذا التذكر إلى الشارع الحقيقي فيجد نوعا من (لذة) العبادة والسكينة.[٢٨] إن الشيخ النورسي وإن لم يستعمل بعض مصطلحات علم النفس وقوالبه وقواعده لكنه يفيد ذلك قريبا من التصريح إذ بكلا ذينك التصور والتذكر ينطبع في نفسية المرء المؤمن الإيمان وامتداداته المعنوية ويتكون لدى المؤمن شخصية إيمانية قوية لأنه يكون المرء بذلك على تواصل نفسي وترابط روحي مع معالم الإسلام الكبرى. ثم يواصل النورسي في إيقاعاته البالغة على ما لمتابعة السنة في حياة المسلم من مكسب ومكانة عظيمة حيث يقول: بناءعلى هذا السر العظيم إن من جعل متابعة السنة النبوية دأبا وديدنا له فإنه (يكتسب ربحا عظيما ونفعا عميما إذ) يحول عاداته إلى العبادات ويجعل جميع أيام عمره مثمرا مأجورا.[٢٩]

وللشيخ الملهم الأستاذ النورسي أساليب متنوعة لها إيجابيات مختلفة في التأكيد على أهمية متابعة السنة: يرى النورسي أن السنة السنية كلها أدب لا يوجد أي جزء منها إلا وتحته أدب (إنساني) ونور (رباني) لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح عن ذلك بقوله أدبني ربي فأحسن تأديبي. إن من تنبه للسيرة النبوية وعلم السنة السنية يعلم جازما أن الله سبحانه جمع في حبيبه المصطفى أنواع الأدب[٣٠] الإنساني الرفيع فمن ترك اتباع السنة ترك الأدب وحرم من كثير من الألطاف[٣١] والفيوضات والخيور والبركات.

فهذه القبسات التي قبسناها واللقطات الطفيفة التي التقطناها من كتابات النورسي في موضوع متابعة السنة التي هي قطرة من ديمة أو رشفة من غديرة تعبر عن اعتناء النورسي

البالـغ بمتابعة السنة النبوية وتشعر أن عند النورسي جهدا خاصا في تكوين وعي إيماني راسخ حول النظرة إلى السنة النبوية وأن النورسي يرى أنه لايمكن أن يتكون شخصية إيمانية قوية بدون الاهتمام بالسنة ومتابعتها. ونرى من خلال ذلك أن الشيخ النورسي رحمه الله يرى، ويعلم، ويعلن على رؤوس الأشهاد بين جميـع الخلائق أن من لم يهتم بسنة المصطفى لا يمكن أن يتكون له شخصية إيمانية قوية، وأن من ترك متابعة السنة حرم من كثير من الخير والهدى والتقى، وأن متابعة السنة هي البوابة الوحيدة التي يصل المرء منها بالله سبحانه. كما يرى النورسي أن السنة النبوية (بآثارها وبركاتها وفوائدها وثمراتها) هي النموذج الساطـع والممثل اللامـع للرحمة الإلهية.[٣٢] ومن أراد أن يستبين نظرة النورسي إلى السنة فعليه بقراءة مرقاة السنة التي جمـع فيها معظم مقولات النورسي وكتاباته حول السنة، ومكانتها، وبركاتها، وآثارها، وعوائدها، وفوائدها في الواقـع المعيش في حياة المسلمين.

٢. تكوين الانضباط النفسي المستقر والتوازن الروحي التام تجاه تقلبات العصر وما يقع بين فينة وأخرى من الأحداث الجسام.

إن من أهم ما يتسم به الوعي الإيماني الرفيـع الذي يحاول النورسي أن يحققه من خلال جهوده الدعوية، ومن خلال خطاباته الإيمانية، وكتاباته الاستدلالية هو أن يتكون لدى قارئ كتابات النورسي وخطاباته بما يستلهمه منها من مختلف الدلائل والبراهين التي هي في وجه الكفر الجحودي كالبراكين المنفجرة حالةٌ روحيةٌ متزنةٌ وانضباطٌ نفسيٌ مستقرٌ تجاه تقلبات العصر واضطراباته العقدية التي يبتئس منها معظم الناس وخصيصا ضعاف العقول والعقيدة وخفاف الكيس والحقيبة من الزاد العلمي والرصيد المعرفي. نعم! يشاهد كل ذي بصر وبصيرة أن مغريات النفس والأهواء التي تجعل النفس في ميادين المنهيات والشهوات، وفي مجالات الأهواء والهوسات راكضة لا تدفـع، وجامحة لا تكبح جعلت الإنسان المعاصر في دوامة من الاضطرابات النفسية والقلق والاكتئاب وعدم التوازن الروحي. وهو يشكل أكبرمشاكل الإنسان المعاصر. إضافة إلى الاضطراب الذي يعيشه على مستوى العلاقات الأسرية والاجتماعية وإدارة الممارسات الاقتصادية كالإسراف والتبذير والبخل، وكتسلط سفهاء الناس على رقاب الأموال، وتسلط ظلمتهم على رقاب العباد. فهذه وأمثالها من المشاكل الفردية والأسرية والاجتماعية أفسدت التوازن الروحي والاستقامة النفسية لإنسان اليوم، وأثرت تأثيرا بالغا في تفكك الأسرة بحيث تكاد الأسرة أن تكون قصة انتهت وحكاية مضت. ولذلك إن المصابين بالأمراض النفسية والروحية في يومنا هذا أكثر عددا من أي وقت مضى في

جميع أقطار العالم وكذلك يتزايد كل يوم نسبة المطلقين أكثر من أي وقت سابق بحيث ذكر لي مشافهة أحد النواب العمومين في دار العدل والقضاء في أنقرة قبل سنوات عدة أن عدد المطلقين يبلغ خمسا وخمسين بالمأة. فلا بد من معالجة شاملة وكاملة تعالج هذه المشاكل معالجة الآسي الحكيم والطبيب النطاسي الفهيم. وهو إنما يتحقق على هدي الله الذي خلق الإنسان وخلق جميع ماله من الأحوال والأعمال والأفعال، فعلم كل صغيرة وكبيرة مما يصلحه أو يفسده، ومما يضره أو ينفعه، ومما يستقيم له أو لا يستقيم، ووضع على أساس إصلاح تلك الحالة الطارئة التي فيها كل الخلل والدغل وإزاحة جميع أسباب الدعارة والفساد العقائدَ القويمةَ والأوامرَ الحكيمةَ والشرائعَ المصلحةَ والقوانينَ المسددةَ والقواعدَ الجامعةَ لجميع معاني الخير والبر بالإنسان فردا وأسرة وجماعة ومجتمعا. فكان العلامة النورسي على بصيرة تامة من جميع هذا فصرف قواه العلمية وطاقاته النفسية على إثبات أن تحقيق انضباط نفسي تام وتوازن روحي كامل إنما يمكن بإيمان راسخ منبثق من اقتناع نفسي وطمأنية قلبية وسكينة روحية بين عامة المسلمين. فبين للناس من خلال مختلف كتاباته وخطاباته أن مقتضى رحمة الله التامة العامة الشاملة الكاملة أن تكون الشرائع والدساتير والآداب والأخلاق التي أنزلها على رسوله وأمره بتبليغها وتطبيقها على أفضل درجات العطاء والغناء في تحقيق التوازن الروحي والانضباط النفسي للناس.

ومن جراء ما هنالك إن الشيخ النورسي يحاول بكل جهده وقواه أن يبين للناس ما يأتي به الإسلام جملة، وأوامره ومنهياته تفصيلا من الفوائد الجمة والمصالح العظيمة التي إنما بها فحسب يفوز المرء المؤمن بالاتزان الروحي والانضباط النفسي فيذكر لذلك أدلة كثيرة، ويُكَوِّنُ له منطقا رشيدا وقولا سديدا بما يأتي به من المقارنات المنطقية السديدة بين نفسية المؤمن ونفسية الكافر. ولا ننسى أن خطاباته في هذا الطرف خطابات متعددة الجوانب إذ لها جوانب علمية، وجوانب دعوية، وجوانب حكمية، وجوانب نفسية، و..و.. إلخ.

٣. قراءة أحداث الكون وتصاريفه قراءة إيمانية رشيدة سديدة في ظلال الأسماء الحسنى وفهم مغزى تلك الأحداث على ضوء تجليات الأسماء الإلهية والصفات الربانية.

إن الله سبحانه ركب في خلقة الإنسان تركيبة عجيبة لم يفز بها فيما نعلم من بين مخلوقات الله ذوات الشعور والإدراك كالملائكة والجن والإنس سوى الإنسان إذ جعل له كيانا ماديا وكيانا معنويا، وجعل له كيانا محسوسا ملموسا وكيانا مستورا خفيا، وجعل له خصائص ظاهرة وخصائص باطنة، وجعل له ظاهرا وباطنا، وجعل له شعورا ظاهريا وشعورا باطنيا. كما جعل ببالغ حكمته وعجيب قدرته لكل من تلك الكيانات والخصائص المتقابلة المتخالفة مميزات يتميز بها كل من الآخر، ووسائل بها تنكشف أو يعلم وجودها أو بها يكون فاعلا عاملا وبدونها يكون خاملا عاطلا.

فمن أهمها أنه سبحانه جعل للإنسان كيانا روحيا غيبيا لا ينكشف إلا بالرياضات البدينة والروحية والعبادات الدائمة المستمرة. وبانكشاف ذلك الكيان الغيبي الماورائي للإنسان تنفتح أعين الإنسان في هذا الكون فيرى ما لايراه الآخرون ويقرأ قراءة غير قراءة الآخرين. وهذا الوضع الغير المعتاد والذي يمكن أن نسميه ب"الإشراقة الروحية" إنما يوصل إليها عبر رياضة نفسية شاقة وعبادات مستمرة فإذا حصل هذا الوضع للإنسان يرى فيما حوله من الموجودات ما لايراه الآخرون، ويفهم منه ما لا يفهمه الآخرون، ويدرك من أحداث الكون وتقلباته من العبارات والإشارات ما لايدركه الآخرون، ويستخرج من تصاريف الكون من الدروس والعبر ما لا يستخرجه الآخرون.

فكل هذه الأمور هي ما نراه ملموسا محسوسا في قراءة النورسي للكون عامة ولما حوله من بعض الكوائن خاصة. ومما كان النورسي يتمتع به من تلك الإشراقة الروحية المستمرة في معظم أوقاته كان له في عامة أحداث الكون وتصاريفه قراءة خاصة غير قراءة الأخرين، وكان له في مسيرته الروحية ومطالعاته النفسية استنباطات خاصة غير استنباطات الآخرين، ومقاربات غير مقاربات الآخرين. إنك ترى النورسي وهو يتفجر في مناجاته التي أوردها في بعض خلواته بعبارات وأساليب ملؤها التفكر والتدبر الذي ينم عن تغلغل النورسي في أبعد أغوار الكون ملتقطا ما في تلك الأبعاد البعيدة من دلائل الوحدانية وبراهين الصمدانية.[٣٣] فمثلا حينما ترى النورسي يقرأ الكون في ظل اسم الله "القيوم" مستطردا من خلال تلك القراءة المشرقة إلى آثار أسماء الله الأخرى يأخذك العجب كل مأخذ وتستولي على جميع كيانك الدهشة والحيرة، يشرح ذلك في قرابة عشرين صفحة بكلام علمي رصين وأسلوب علمي حكيم[٣٤]. يتغلغل النورسي إلى

أعماق الكون وإلى أدق الموجودات وأصغرها ملتقطا من خلال ذلك الكثير من حقائق التوحيد الإلهي وخصيصا تجليات الاسم الذي هو بصدد بيانه وشرحه وهو اسم "القيوم" الذي يسري في الكون سريان الروح في الجسد.[٣٥] فهو يرى بما يستحوذ على جميع كيانه من الإشراق الروحي أن جميع الأشياء وخصيصا كافة ذوي الحياة كلمة ربانية في غاية الأهمية، ورسالة صمدانية، وقصيدة ربانية، وإعلان إلهي، ومجال لقرائة عامة ذوي الشعور ...[٣٦] إن النورسي حينما يقرأ الكون في ظلال الأسماء الإلهية يكون كبركان عظيم يتفجر بجلاميد عظيمة وصخور كبيرة من بحر حقائق التوحيد، لا يهدأ، ولا ينطفئ، ولا تسكن ساكنته. كما يرى أن الإنسان ذلك الكائن الصغير مع علمه القليل وقدرته الضئيلة وملكه الظاهري فحسب وإرادته الجزئية، وبنائه لمنزله مرآة لملك، وقدرة، وصنعة، وإرادة صانع هذا الكون وبانيه...إذ يري ذلك الإنسان بما في نفسه مما سبق نقوش الأسماء الإلهية المتعددة كلا على حدة.[٣٧] وكمثال آخر لذلك إنه رحمه الله خصص الكلمة السادسة عشرة لقرائة الكون قرائة متأنية بأحداثه وتصاريفه، وذراته إلى مجراته في ضوء اسم الله "النور"[٣٨] ومثلا تأمل هذه التسبيحات المنبثقة مما يتمتع به النورسي من ذلك الإشراق الروحي الذي يستغرق فيه النورسي بكلاكل ذراته: إذ يقول: سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك في فرقانك وأثنى عليك حبيبك بإذنك وأثنت عليك جميع مصنوعاتك بإنطاقك سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف بمعجزات جميع مصنوعاتك وبتوصيفات جميع مخلوقاتك وبتعريفات جميع موجوداتك. سبحانك ما ذكرناك حق ذكرك يا مذكورا بألسنة جميع مخلوقاتك وبأنفس جميع كلمات كتاب كائناتك وبتحيات جميع ذوي الحياة من مخلوقاتك لك وبموزونات جميع الأوراق المهتزة الذاكرة الذاكرة في جميع أشجارك ونباتاتك.[٣٩] ومثلا خذ هذه الجملة الواحدة من النورسي حتى تكون على بينة مما كان يتمتع به من أبعاد إشراقه الروحي وفيضه القلبي: إن تجلي الاسم "الأول" و"الآخر" في الخلاقية الناظرين إلى المبدأ والمنتهى والأصل والنسل والماضي والمستقبل والأمر والعلم مشيران إلى "الإمام المبين" وتجلي الاسم "الظاهر" و "الباطن" على الأشياء في ضمن الخلاقية يشيران إلى "الكتاب المبين".[٤٠] ورسائله مشحونة بأمثال هذه المعلومات الطريفة، وهكذا يستمر النورسي في شرح قراءته للكون في ظلال معظم الأسماء الإلهية المتنوعة في كتاباته المتعددة المتنوعة المتفرقة. وليس ذلك إلا مما يستولي على جميع كيان النورسي من الإشراق النفسي والعرفان الروحي والفيض الرباني حيث يعلم من

كتاباته وأنواع شرحه وبياناته أن النورسي لا يرى في مختلف صفحات الكون وأحداثه، وتصاريفه، وتدابيره إلا ظلال وآثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا إذ يرى أن كل تصريف حكيم وتدبير كريم في هذا الكون ليس إلا أثرا من آثار واحد أو أكثر من أسماء الله الحسنى. فيعلم من ذلك أن النورسي قرب بذاك مما يسمى عند الصوفية بمرتبة "وحدة الشهود" إذ يشهد بشهادة كتاباته وخطاباته في كل شيء آثار علم الله، وحكمته، وعظمته وقدرته.

وهكذا نرى أن النورسي ينفخ في روحانية المؤمن بما كتب ورتب وشرح وأوضح من دلائل التوحيد وبراهين الربوبية وعيا إيمانيا رفيعا يمتلك خصيصتين هامتين وميزتين خاصتين قلما تجتمعان عند أحد. إحداهما أن كتابات النورسي في هذا الصدد في أعلى المستويات العلمية فحوى ومضمونا. وثانيتهما أنها في أعلى المستويات البيانية إقناعا وإلزاما. وهاتان الخصيصتان هما اللتان جذبتا إلى كتابات وخطابات النورسي آلاف القلوب والعقول وجعلتا تلتف حول رسائله في الشرق والغرب مآت الألوف.

وما كوَّنه النورسي من هذا الوعي الإيماني الرفيع أنتج آثارا عظيمة في نهاية الأهمية وغاية نباهة الشأن. وقد لمسنا فيما سبق البعضَ منها بالشرح والبيان لمسات خفيفة لطيفة مثل لمسة نسيم الصبا أو أخف. وليس هذا فقط بل أنتج هذا الوعي الإيماني الرفيع الذي كان النورسي يستهدف منه تكوين جيل قرآني فريد بل كان يستهدف إصلاح الإنسانية جمعاء لو وجد أذانا صاغية وقلوبا واعية أنتج آثارا حميدة ونتائج رشيدة أخرى غير التي سبقت. وهيا بنا نجملها فيما يلي. إن الوعي الذي تكونه كتابات النورسي وخطاباته إذا استقرت في القلوب، وسكنت له النفوس، واطمأنت به العقول تولد لدى المرء من الأثار الحميدة والاتجاهات السديدة والثمرات المباركة آثارا كثيرة تستولي على كيان المرء فتأخذه من حقويه وتجذبه بضبعيه وتجعله:

١. في وسط الصراط المستقيم بالتحلي بفضائل الأعمال، وصالح الأحوال، والاقتداء بأهل الصلاح والنجاح.

٢. ويجعله هذا الوعي على مستوى عال من التقوى ومراقبة الأخرة بحيث لا يركن إلى زخارف هذه الحياة السائلة الزائلة، ولا يغتر بملهياتها ومغرياتها، ويتجنب عن أدناسها وأرجاسها، ويبتعد عن غرورها وشرورها،

٣. التخلق الخليق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة في جميع الملابسات والمناسبات وممارسات الحياة، والعض بالنواجذ على قيم الإسلام الإنسانية والأخلاقية

والإيمانية الرفيعة، التي هي محض الإنسانية وبحت الفضيلة والنبل والكرامة والسعادة للإنسان.

٤. التزود ببصيرة إيمانية مستنيرة من خلال ما يفيض على المرء من بركات الإيمان والإسلام وعمل الصالحات، بحيث يرى بنور تلك البصيرة الإيمانية المستنيرة موارد الحكمة ومخازن الفضيلة ومنابع الهداية ومصادر الاستقامة. إن البصيرة الإيمانية الراسخة لدى المؤمن تجعله مرشد الإنسانية، وناشر الحكمة، وباني الحضارة، وصانع الفضيلة. ومن هنا قال الله سبحانه: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[41]

٥. المقاومة الصلبة الشديدة تجاه ما يواكب المؤمن من خلال أحداث الحياة المعاصرة المرعبة المفزعة من زخارف الحياة وشهواتها ونزواتها ومغرياتها ومحرضاتها، بحيث لا يلتفت إليها هو ولا تستهويه هي.

٦. الصمود في وجه الكفر والباطل والثبات تجاه الفتن والفساد.

فمما نجده عند هذا الشيخ الملهم من إلحاح بالغ على ما أعربنا عنه من الوعي الإيماني الرفيع وجهد جهيد نحو تحقيق آثاره الحميدة يتأتى لنا أن نعلن -ولو بشيء من المبالغة والكناية- على رؤوس الأشهاد وفي كل منتدى وناد: إن كل كلمة، وكل جملة، وكل مقطع، وكل رسالة، وكل كتاب من النورسي بقديمها وحديثها تستهدف إما مباشرة أو بواسطة إلى غرس الإيمان في القلوب، وزرعها في العقول، وبث آثاره الحميدة الرشيدة من التقوى والورع وتجنب المعاصي والمنكرات على جميع صفحات حياة الإنسان المؤمن فردا وجماعة في ضرائها، وسرائها، وبؤسها، ونعيمها، وظاهرها، وباطنها. معظم مساعي الدعاة والمصلحين والعلماء الربانيين عبر التاريخ الإسلامي متوجهة إلى هذا الهدف العالي والغالي. ترى لمحات من ذلك في بعض رسائل حجة الإسلام الإمام الغزالي (ت ٥٠٥) فإن هذا الإمام الهمام اتبع في بعض رسائله كرسالة "الحكمة في مخلوقات الله"، ورسالة "قواعد العقائد في التوحيد" ورسالة "معراج السالكين" نفس الأسلوب الذي اتبعه الشيخ النورسي في مؤلفاته.[٤٢]

بدلا من الخاتمة

إن النورسي نسيج وحده في العلوم الظاهرة والعرفان الباطني والإشراق الروحي والتنور العقلي و البصيرة القلبية. وإلى جانب هذه الثراء المعرفية كان للشيخ النورسي اليد الطولى في الرؤية المستقبلية فيما يسير المجتمع نحوه في غمار أحداث القرن العشرين وتقلباته التي تتكون وتتغير في أقرب من لمح البصر. فرأى ببصيرته المستنيرة أن الإلحاد المطلق أخذ يكشر أسنانه على معظم المجتمعات. فجعل النورسي يعد له عدته ويتأهب له أهبته بتكوين كيان حجاجي واستدلالي متاح لأن يحقق للمجتمع المسلم فرادى وزرافات وعيا إيمانيا عاليا قادرا على تحقيق الصمود في وجه أعاصير الفتن والمفاسد. فاكتشف النورسي في الدعوة أسلوبا جديدا مزيجا من البرهان والخطابة واللغة العرفانية النابعة من الإشراق الروحي والتنور القلبي.

وبذلك الأسلوب الجديد الذي يتميز عن أسلوب الآخرين صياغة ومضمونا استطاع النورسي أن يكوِّن لدى قارءه وعيا إيمانيا رفيعا وثقة إيمانية صلبة انبثق من ذلك الوعي كثير من النتائج الطيبة والآثار الحميدة التي تحمد عقباها من الانضباط النفسي، والتوازن العملي، والاطمئنان الروحي، والإصلاح الخلقي، والاستقامة السلوكية، ومتابعة السنة النبوية، والتخلق بمعاييرها، والصمود في وجه الكفر والباطل، والثبات تجاه الفتن والفساد، والتجنب عن سيآت الأعمال وشرير الخصال وقبيح الفعال.

فجهود النورسي المكثفة في ميادين إثبات العقائد الإيمانية صارت ضربة قاصمة للكفر والإلحاد وذويه ووقعت كجلاميد صخور صلبة في طريق الكفر والجحود.

المصادر والمراجع

الغمراوي محمد الزهري، **السراج الوهاج على متن المنهاج،** تحقيق عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٨.

النورسي سعيد، **السيرة الذاتية،** ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، الطبعة الأولى، إستانبول ١٤١٩\١٩٩٨.

النورسي، **اللمعات،** ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، إستانبول ١٤١٣\١٩٩٣.

النورسي سعيد، **الكلمات،** ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، إستانبول ١٤١٢\١٩٩٢.

النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز،** دار سوزلر، إستانبول ٢٠١١.

الغزالي حجة الإسلام أبو حامد محمد، **الحكمة في مخلوقات الله،** ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٦\١٩٩٦

الغزالي، **معراج السالكين**، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي. دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٦\١٩٩٦

المصادر غير العربية

Nursî Said, **İman ve küfür Muvazeneleri**, Envar Neşriyat, İstanbul 2013.

Nursî Said , Lem'alar, Envar Neşriyat, İstanbul 2014.

الهوامش

١ أستاذ الدراسات العليا (قسم التفسير) أنقرة\تركيا

٢ راجع: الغمراوي محمد الزهري، السراج الوهاج على متن المنهاج، تحقيق عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٨\٢٠٠٨، ص ٥٠٢.

٣ النورسي سعيد، السيرة الذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، الطبعة الأولى، إسطنبول ١٤١٩\١٩٩٨، مع تصرف، ص ٩١.

٤ النورسي، السيرة الذاتية، ص ٦٦.

٥ Nursî Said, İman ve küfür Muvazeneleri, Envar Neşriyat, İstanbul 2013, s.6.

٦ المصدر السابق ص ٦.

٧ إبراهيم:

٨ نفس المصدر السابق.

٩ انظر المصدر السابق ص ٩-١٠.

١٠ النورسي سعيد، السيرة الذاتية، تعريب إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، الطبعة الأولى، إستانبول ١٤١٩-١٩٩٨، ص ٣٩٠.

١١ انظر مثلا: المصدر السابق، ص ٢٠-٢١.

١٢ انظر مثلا: المصدر السابق، ص ٣٠-٣٣.

١٣ انظر مثلا: المصدر السابق، ص ١٤-١٦.

١٤ انظر مثلا: المصدر السابق، ص ٣٥-٤٠.

١٥ النورسي، السيرة الذاتية، ص ٤٢٨.

١٦ النورسي، السيرة الذاتية، ص ٣٠٩.

١٧ النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، مصر ٢٠١١، ص ٣٠-٣١.

١٨ النورسي، إشارات الإعجاز، ص ٣٥-٣٦. وانظر أيضا: ص. ٤٩، ٥٠، ٥١-٥٢، ٥٨-٦٣. وقس على هذا غيره

١٩ النورسي، السيرة الذاتية، ص ٤٠.

٢٠ انظر مثلا: المصدر السابق، ص ٦٢-٦٥.

٢١ الأعراف: ٧\١٥٨

٢٢ الأنبياء: ٢١\٧

٢٣ الأحزاب: ٣٣\٢١

٢٤ الحشر: ٥٩\٧

٢٥ آل عمران: ٣\٣١، ٣٢

٢٦ Nursî Said , Lem'alar, Envar Neşriyat, İstanbul 2014, s. 49-50.

٢٧ المصدر السابق، ص ٥٠.

٢٨ نفس المصدر.

٢٩ نفس المصدر.

٣٠ المصدر السابق، ص ٥٤.

٣١ نفس المصدر.

٣٢ Nursi Sait, Lem'alar, Envar Neşriyat, İstanbul 2014, s. 102.

٣٣ انظر: النورسي، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، إستانبول ١٤١٣\١٩٩٣، ص ٤٥٨-٥١٥.

٣٤ انظر: المصدر السابق، ص ٣٤١-٣٥٦.

٣٥ انظر مثلا المصدر السابق، ص ٣٤١، ٣٤٣.

٣٦ المصدر السابق، ص ٣٤٥.

٣٧ المصدر السابق، ص ٣٥٤.

٣٨ النورسي سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، إستانبول ١٤١٢\١٩٩٢، ص ٢١١-٢٢٠.

٣٩ النورسي، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، إستانبول ١٤١٣\١٩٩٣، ص ٤٦٠.

٤٠ النورسي، اللمعات، ص ٤٨٦.

٤١ البقرة: ٢\٢٦٩

٤٢ فمثلا انظر: الغزالي حجة الإسلام أبو حامد محمد، الحكمة في مخلوقات الله، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٦\١٩٩٦، ص ٧-٤٦، معراج السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ٥٢-٦١.

رسائلُ النور بينَ الواقع المُكتسَبِ والمأمولِ المُرْتقبِ
قراءة في نهج الأستاذ النورسيّ في التبليغ والإرشاد

الملخص:

أ.د عزيز محمد عدمان [1]

لا يستطيع عالم أريب أن يتجاهلَ الاستبصارات الروحيّةَ، والسلوكيةَ التي خلَّفتها رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسيّ – طيّب الله ثراه-؛ فقد كانت منارةً للعلماء والباحثين، وملجأ للعارفين؛ ولم تحز هذه الرسائلُ النورانية هذه المرتبة السنيّة، والحظوة العليّة بكثرة أتباعها، ومريديها وأنصارها فحسب؛ بل من طبيعة الرسائل ذاتها التي عدّها الأستاذ من العلوم الإيمانية؛ و هي مُلك القرآن العظيم، ومعجزته المعنوية.

ولم تكن هذه الرسائل النورانيةُ الناصعة لتبلغَ ما بلغت من ألقٍ روحيّ، وجاذبية معرفية خارقة؛ وألمعية، وتبصّر، وانتشار، وقبول عالميّ واسع بجهود فردية مخلصة صادقة، ومعاناة نفسية، ومكابدة معرفية، وجهاد إيمانيّ متواصل من مؤلفها النورسيّ، ومترجمها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي – فسح الله في مدته- فقط؛ بل صاحبتها أسرار ربانية أمدتها بعناصر الخلود، والبقاء، والاستمرار.

ولكي تبلغ رسائل النور الغاية في الخدمة الإيمانية،ونشر قيم الفضيلة، والوسطية، والاعتدال؛ لا بد من وقفة تأملية في منجزات هذه الرسائل في الواقع المعيش، واستشراف آفاق المستقبل .فما مهمة رسائل النور ؟ وهل تؤدي مهمة الإرشاد في هذا الزمان ؟ وهل تستطيع رسائل النور سدّ حاجات الزمان ؟ وما السبيل إلى نشرها؟ وما نهج رسائل النور في التبليغ والإرشاد ؟

أسئلة محورية ستكشف عن مفهوم الإيمان، وحقيقته، وأركانه، ومقتضياته في الرسائل، وسرّ تأثيرها، واستجلاء طبيعة العلاقة بين الإيمان، والرسائل .ولعلّ بقاءَ الرسائل حيّة متدفّقة في وجدان الأمة العربية، والإسلامية مقرون بإنقاذ الإيمان من أسْر المكاسب الدنيوية العاجلة الفانية.

The Risale-i Nur: A Perfect Example of How to Present Islam to Contemporary Man

Abstract

Pr.dr / Aziz Mohamed Admane

Any eminent scholar would, no doubt, acknowledge the spiritual and behavioural insights left by Said Nursi's *Rasail E-Noor Collection* , may Allah be pleased with his soul. The Noor Letters Collection stood as a minaret for scholars and researchers and provided a shelter for the erudite. Nursi's letters did not earn the privilege of a lofty position from the plethora of its followers, fans, supporters and partisans. Rather, it was from the letters that Nursi included within faith and belief scholarship which pertain to the realm of the glorious Qur'an and its miraculous intangibility.

These immaculate *Nuranic* letters were not to achieve their spiritual illumination, extraordinary cognitive attraction, excellence, vision, and a worldwide proliferation through genuine and dedicated individual efforts, personal anguish، a grappling with knowledge and a perpetual struggle of conviction of its author Nursi and the translator Ihsan Kasim Salhi, but these were also complemented with eternal components for survival and eternity.

For the Letters to achieve the utmost of creedal service, the dissemination of virtues and values, moderation and sobriety; an inevitable reflective stance on the achievements of Nursi is needed in the present life through anticipating future's horizons. Among raising issues are: what is the significance of the *Rasail E Noor Collection*? And what is the methodology of these Letters in communication and guidance? The focal and pivotal questions will reveal about the concept of faith, its reality, its pillars and its requirements in the Nursi's Letters' Compilations and the secret of their impact and the elucidation of the nature of the relationship between faith and the Letters' Compilation. Probably, the survival of the Letters in the sentimental consciousness of the *Ummah* is connected with saving faith from the shackles of the profits of the pressing and finite worldly life.

مقدمة

لقد حقّقت رسائل النور عبر تاريخها محليًا ودولياً انتصاراتٍ مذهلة، وحازت شرف الذِكر، وإعجاب العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء المعمورة؛ فأضحت معينًا خصبًا لجلّ المعارف الشّرعية، والكونيّة.

والناظر في المقاربات الحديثة التي تناولت موضوع الرسائل نشراً، و تقويماً، وتمحيصاً يلفي أنها انقسمت إلى قسمين: قسم من المعالجات يغلب عليها الجانب العاطفيّ الوجدانيّ؛ وقسم آخر اهتم بالجانب المعرفيّ والمنهجيّ في تناول الرسائل .

وفي لجة هذه المقاربات المختلفة منهجاً ومعالجةً؛ يتجلى القاسم المشترك بين أغلب الباحثين في الإقرار بنفاسة هذه الرسائل، وفاعليتها في الدعوة، والإصلاح، والإرشاد.

فما سرّ التأثير في رسائل النور؟ وما جوهر جاذبيتها لدى الباحثين؟ وما سرّ خلودها ؟ وما مصدر خصوبتها؟. وما علاقة الرسائل بخدمة الإيمان ؟ وهل انفرد النورسيّ بمفهوم اللإيمان غير مسبوق؟ وهل يكفي الإيمان التقليديّ لنشر رسائل النور؟ وما علاقة الإيمان التحقيقيّ بفاعلية الإرشاد، والتوجيه الدعويّ؟

لا غرو أن رسائل النور على جلالة قدرها، وسموّ مقامها محوجة إلى وقفة متأنية نستشرف في رحابها مكمن الإبداع الذي أمدها بعناصر البقاء، والتميّز .

أيقن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسيّ – رحمه الله – أن الانتساب إلى الرسائل يعني خدمة الإيمان؛ وهي وظيفة جليلة الشأن، عظيمة القدر، بل يراها مفتاح السعادة السرمدية الأبديّة، ومسلك الطمأنينة الخالدة.

ويجد المتأمل في رسائل النور أن اصطلاح الإيمان من منظور النورسيّ قد شغل حيزا واسعاً من فكره؛ بل امتدت مفاهيمه وأركانه وحقيقته، وأنواعه لتكتسح مساحات واسعة من الرسائل.

ولعل هذه المقاربة ستكشف الأستارَ والحُجبَ عن علاقة رسائل النور بالإيمان؛ دون الغوص في تأصيل مفهومه أو اصطلاحه، وأقسامه إلا بالقدر الذي يستجلي طبيعة الوشائج التي بين الإيمان والرسائل؛ وإنما مدار الطلب على الرسائل التي عدّها الأستاذ ناطقة بالإيمان؛ بل هي مصدر الحقيقة النورانية.

أولاً: الإيمان التحقيقيّ مصدر المعرفة القدسية السامية:

إنّ الإيمان قمّة الكمال البشريّ، والإنسانيّ؛ والرسائل جزء من هذا الإشعاع؛ فكيف تندرج رسائل النور ضمن الإيمان ؟ يرى الأستاذ أن رسالة الحشر مثلاً من: "العلوم الإيمانية التي تتجدد الحاجة إليها في كل وقت كحاجتنا إلى الخبز كل يوم "[٢].

فالإيمان بالحشر تذكير بالحياة السرمدية الأبدية، وقراءة الرسائل حاجة روحية تستمد روحانيتها من الإيمان الذي هو المعرفة السامية العالية؛ و هي محل إجماع العلماء إذ: "اتفق أهل الحقيقة على أن أجلّ العلوم قاطبة وقمة المعرفة وذروة الكمال الإنساني إنما هو في الإيمان والمعرفة القدسية السامية المفصَّلة والمبرهَنة النابعة من الإيمان التحقيقيّ"[٣].

فمصدر المعرفة السامية الإيمان التحقيقيّ الذي هو معايشة روحية، ومخالطة نورانية؛ ذلك أن التحقق هو استغراق في التجربة الإيمانية المعيشة؛ وبهذا حاز هذا النوع من الإيمان شرف القدسية، والسمو المعرفيّ، والكمال البشريّ .

فالعلاقة بين رسائل النور، والإيمان علاقة محكمة، ووشيجة منتظمة؛ ذلك أن من أسمى مقاصد رسائل النور بلوغ مرتبة الإيمان التحقيقيّ؛ لأن الإيمان التقليديّ حجاب دون بلوغ مراتب المعرفة القدسية؛ ولهذا يقرّر النورسي قائلاً: "الإيمان التحقيقيّ الذي تمنحه الرسائل هو أرفع بكثير من الكرامات والكشفيات والأذواق"[٤].

وقد ذهب النورسيّ في تحديد طبيعة العلاقة بين الإيمان، والرسائل إلى اعتبارها مُلك القرآن؛ وليست جهداً فرديا أنجزه في ظروف وملابسات عويصة؛ ومن ثم برَّأ نفسه مما يقع فيها من أخطاء وتقصير .ولما كانت رسائل النور بهذه القدسية والسمو الروحيّ؛ فقد ارتضى الأستاذ لنفسه أن يكون خادماً لهذه الحقيقة النورانية الساطعة. يقول معلنًا إعلانًا صريحاً: "رسائل النور مُلك القرآن العظيم، فأنّى لي الجرأة أن أدّعي تملّكها ! لذا لا تسري أخطائي وتقصيراتي فيها قطعاً، فأنا لست إلا خادماً مذنباً لذلك النور الباهر، ودلاّلاً داعياً في متجر المجوهرات والألماس. فأحوالي المضطربة لا تؤثر فيها ولا تمسها أصلاً"[٥].

وهذا واقع الرسائل المكتسَب شخَّصه الأستاذ تشخيصًا قاطعًا فيه الكثير من التواضع والإقرار بالعجز البشريّ في استجلاء حقيقة القرآن؛ كما أنها شهادة حية تعكس حجم الاضطراب الذي لازم تأليف الرسائل بسبب أحوال النورسي المتقلّبة بين النفي والسجن،

والجهاد، والتضييق الشديد، والمراقبة المستمرة المستديمة، والعزلة التامة عن الناس؛ وهي حالات نفسية لا تفضي إلى الاستواء المنهجيّ لمن يكتب في ظروف هادئة .

ويربط الأستاذ بين الرسائل، والقرآن الكريم للتعبير عن مفهوم الاستمداد؛ إذ يرى أن رسائل النور غذاء روحيّ في مقابل الغذاء البيولوجيّ الذي هو قِوام حياة البشر، وسرّ وجودهم واستمرارهم .يقول الأستاذ في ملحق بارلا مخاطبا السيد رأفت: "إن تلك الرسائل قُوتٌ وغذاء لأنها مستقاة من القرآن الكريم، فكما يستشعر الإنسان الحاجة إلى الغذاء يومياً، يستشعر الحاجة إلى هذا الغذاء الروحاني أيضا .فلا يسأم من القراءة منْ انكشفت روحه وانبسط قلبُه من أمثالكم. فهذه الرسائل القرآنية لا تشبه الرسائل الأخرى، فهي ليست من أنواع الفاكهة كي تُشْئِمُ بل هي غذاء"[٦]. وفي هذه الموازنة البيولوجية، والروحية يتجلى موقع الرسائل بوصفها غذاءً روحياً ، وليست فاكهة لأن الفاكهة من الكماليات؛ والغذاء ركن مكين في بقاء الإنسان، وديمومته؛ ومن ثم أضحت الرسائل معطى وجودياً.

ثانياً: خصوصية رسائل النور، وسرّ تأثيرها:

لا يستطيع متتبع حصيف للمسار التاريخيّ لتحرير الرسائل أن ينكر هذا التأثير البيانيّ، والمعرفيّ الأخّاذ الذي سلب عقول الأعداء قبل الأنصار. ولما كانت العلاقة بين الرسائل والقرآن علاقة وطيدة؛ فقد استمدت رسائل النور ألقها وجاذبيتها من روح القرآن الكريم؛ ومن ثم تميّزت عن باقي الرسائل الأخرى منهجاً، ومضموناً. ويكشف الأستاذ عن سرّ الرسائل في كونها جامعة بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة؛ وهو مزج لم يتوفر لغير القرآن، وتمام وكمال في غير كلام البشر .وفي هذا السياق نشير إلى أن النورسيّ يتحدث عن أبرز خصائص القرآن التي أجمع عليها علماء البيان القرآنيّ .يقول محمد عبد الله دراز – رحمه الله -:"وفي النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير،وقوة وجدان. وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها .فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته،وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم. والبيان التام هو الذي يوفيّ لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوِجدانية معاً."[٧]

لقد أدرك النورسيّ بإحساسه البيانيّ،والجماليّ المرهف، وعقليته الوقّادة طبيعة البيان القرآنيّ، وسرّ إعجازه؛ فرأى أن الرسائل؛ لأنها - مستمدة من القرآن الكريم – استطاعت أن تجمع بين الإقناع العقليّ، والإمتاع النفسيّ؛ سالكة مسلك الرقيّ البيانيّ. يقول الأستاذ: "إنّ الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته

ونظراته،ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معاً وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا وتصل إلى مراقٍ لا يصل إليها نظرُ الفلسفة المهاجمة فضلا عن أقدامها وخطواتها،فتبيّن أنوارَ الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة"[٨].

فبلوغ النهاية في الفضيلة، والغاية في السموّ الإيمانيّ هو منهج الرسائل التي لم تقف عند حدود العقل ومقولاته؛ كما أنها لم تغرق في عالم العرفان الوجدانيّ؛ بل مزجت بين القوتين المركّبتين للطبيعة البشرية العقل والعاطفة. فلو اقتصرت على جانب دون آخر لما بلغت القمة في الرقي الإيمانيّ .وهذا راجع لطبيعة النفس الإنسانية وتركيبتها المذهلة؛ ذلك أن: "القوى العاقلة والقوى الشاعرة في بني الإنسان غير متكافئة"[٩].

ويلح النورسيّ على مسلك الجمع بين العقل والقلب في تجسيد الإيمان التحقيقيّ،ويرى أن من سبل بلوغ مرتبة هذا الإيمان، وطرق الوصول إليه: " هو بلوغ الحقيقة بالولاية الكاملة بالكشف والشهود، وهذا الطريق إيمانيّ شهوديّ يخص أخصّ الخواص. أما الطريق الثاني فهو تصديق الحقائق الإيمانية بعلم اليقين البالغ درجة البداهة والضرورة، وبقوة تبلغ درجة حق اليقين، وذلك بفيض سرّ من أسرار الوحي الإلهي من جهة الإيمان بالغيب وبطراز برهانيّ وقرآنيّ يمتزج فيه العقل والقلب معاً "[١٠].

فواقع الرسائل يشهد بأنها مزجت بين الفكر والشعور؛ لأنها معجزة القرآن المعنوية؛ ولما كانت مستمدة من روح القرآن، وجوهره؛ فقد خاطبت العقل والقلب معاً؛ فانفردت عن بقية الرسائل كما يرى النورسيّ؛ معزوا سر التأثير في رسائل النور إلى عناية إلهية. يقول – رحمه الله – جواباً عن سؤال خاص يتضمن الاستفسار عن سر تأثير الكلمات : "لما كان الفضل في هذا التأثير يعود إلى إعجاز القرآن الكريم وليس إلى شخصي أنا، فسأقول الجوابَ بلا حرج: نعم، هو كذلك على الأغلب؛ لأن "الكلمات":

تصديقٌ وليست تصوراً

وإيمانٌ وليست تسليماً

وتحقيق وليست تقليداً

وشهادة وشهود وليست معرفة

وإذعان وليست التزاماً

وحقيقةٌ وليست تصوفاً

وبرهان ضمن الدعوى وليست ادعاءً"[١١].

فيفهم من هذه الثنائيات أنّ الفضل في انتشار الكلمات يُعزى إلى إعجاز القرآن؛ ولا حظَّ لصاحب الرسائل في هذا السبق المعرفيّ – وهو تواضع جم وأدب رفيع من الأستاذ –، ودليل صفاء روحيّ؛ فالكلمات أثرت في أجيال متلاحقة متتابعة تأثيرًا عقليًا، ووجدانيا؛ لأنها اتسمت بإثبات الحقائق الإيمانية بالدليل، والإخبار عن عيان، وإرادة ويقين، وليست ادعاءً أو تصورا أو تقليداً؛ وهذه سمات الخبر غير اليقينيّ .

ثالثاً: أركان الإيمان في رسائل النور:

لم يُكتب لرسائل النور هذا الخلود المعرفيّ والروحيّ دون الاستناد إلى مقومات، وركائز تشدّ أزرها، وتعضد قوامها؛ فالرسائل استمرت في العطاء، والإنجاز الدعويّ، والإصلاحيّ؛ لأنها آوت إلى ستة أركان شديدة جامعة بين صفاء الروح، ونقاء العقيدة؛ وهي وفق الآتي :

١. " إنها تضع بدلا من حب الجاه، ابتغاءَ مرضاة الله النابعة من الإيمان به سبحانه.
٢. إنها تضع بدلا من الخوف والوقوع في شكوك الأوهام، الإيمان بالقَدَر.
٣. إنها تضع بدلا من الحرص والطمع،الإيمانَ بأنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين.
٤. إنها تضع بدلا من الأحاسيس والمشاعر العنصرية الإيمانَ بالرسل الكرام وفي مقدمتهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.
٥. إنها تضع بدلا من الأنانية وحب الذات، الاعترافَ بعجزنا، ونقصنا [...].
٦. إنها تضع بدلا من الكسل والخلود إلى الدعة والراحة الإسراعَ إلى العمل للقرآن"[١٢].

تؤلف هذه الأركان الستة في مجملها مجموعة من المبادئ العقدية والسلوكية؛ ويأتي في صدارتها الإخلاص لله تعالى وتجنب حب الجاه والشهرة والظهور؛ بل إن الخمول، وعدم ذِكر الرجال فضيلة؛ فقد قال أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): "أصل الجاه: هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم؛ بل المحمود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه"[١٣].

فلِمَ تصدَّر البعد العقديّ أركان الإيمان عند النورسيّ؟ من خلال معايشة النورسي للفضاء الدعويّ في زمانه ومعاينته لمجال الإصلاح في العالم الإسلاميّ أدرك حقيقة جوهرية مفادها: انتشار المتاجرة بالدين وكثرة أدعيائه طلباً للشهرة والصيت والجاه؛ وكثرة المريدين والأتباع والأنصار؛ وهي أمراض مزمنة في العالم الإسلاميّ إلى يومنا هذا؛ ولهذا ركّز على هذه الأركان العقدية التي لازمت طلاب النور؛ ومن ثم كُتب للرسائل البقاء دون غيرها من المؤلفات التي سلكت مسلك الظهور المذموم؛ فالإخلاص في خدمة الدين والابتعاد عن الشهوة الخفية التي تحرّك هاجس الانتشار، والاعتبار هو الذي مكّن الرسائل من ملامسة أرواح مريديها، وأتباعها، وغيرهم ممن قرأها قراءة إيمانية صادقة.

فالبواعث على تحريك حظوظ النفس كثيرة؛ ولهذا يجد الناظر في الرسائل في مواضع متعددة منها اتهام الأستاذ لنفسه بالضعف والعجز والتقصير، والحقارة؛ تجنبًا للرياء؛ وطلبًا للإخلاص؛ إدراكاً منه أنّ الإخلاص سرٌّ من أسرار الله تعالى، والعلماء أقرب البشر وقوعاً في الرياء: "فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول: غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٤].

وهذا واقع المجال الدعويّ في العالم العربي والإسلاميّ؛ ولهذا جعل الأستاذ الإخلاص على رأس أركان الإيمان في رسائله؛ ثم ختمها بأعراض الرياء وهي حب الذات؛ وعلاجها الإقرار بالتقصير والاعتراف بالذنب؛ والمسلك لبلوغ درجة الإخلاص تجنب الكسل والإسراع لخدمة القرآن؛ لأنها خدمة شريفة جليلة قامعة لحظوظ النفس، وشهواتها الخفية. وقد حذّر الأستاذ النورسيّ من الوقوع في الإعجاب بالنفس، وعشق الذات، والسعي وراء سمعة زائلة تحرّكها بواعث الظهور المقيت. يقول؛ مبرزاً الخلاصة التي انتهى إليها من مواعظ الرسائل: "الدرس الذي لقنتنا إياه رسائل النور هو التمسك بحقيقة الإخلاص، وترك الأنانية، ومعرفة أن النفس مقصرة دائماً، والحذر الشديد من الإعجاب بالنفس. فنحن لا نظهر أنفسنا بل نظهر الشخصية المعنوية لرسائل النور ونبيّنها "[١٥]. فدعاة رسائل النور شخصيات ناطقة بمضامينها المعنوية، والروحية؛ ذلك أن القدوة قبل الدعوة، والمضامين قبل العناوين.

ولعل من تجليات هذه الشخصية المعنوية لرسائل النور التي احتضنت مؤلفها، وطلابه؛ تنازل الأستاذ عن قصب السبق، ورسوخ القدم في تحريرها، ومعاناة تسطيرها. وفي هذا الصدد يقول النورسيّ: "فمن يرغب في محاورتي ومجالستي ومقابلتي في

مشرب الحقيقة ما إن يفتح أية رسالة كانت، فإنه لا يقابلني بل يقابل أستاذه الخادم للقرآن. ويستطيع أن يتلقى بذوق خالص درساً في حقائق الإيمان"[١٦]. فقراءة الرسائل تنوب عن محاورة مؤلفها الخادم للقرآن، و مجالسته ومقابلته؛ لأنها حوت خلاصة خدمة إيمانية صادقة تعكس روح الأستاذ النورسيّ، وتنطق بمعاناته في تأليفها.

رابعاً: مهمّة رسائل النور

لا ريب أن الرسائل بحمولتها الروحية، وشخصيتها القرآنية، وشحنتها السلوكية تروم إسعاد البشرية، وإنقاذها من وحل الشهوات، وأسْر الملذات؛ مقتفية منهج الرسل والأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والوسطية؛ ولعل من أبرز مقاصدها نشر الإيمان، وترسيخه في قلوب الناس؛ بإبعادهم عن التعلق بالعاجل، والتمسك بالآجل من منطلق أن الحياة دار تمحل واضطراب، والآخرة دار ثواب وعقاب؛ ولهذا فإن: "رسائل النور التي هي تفسير حقيقيّ للقرآن الكريم،ببيان إعجاز معانيه الجليلة،تُبيّنُ أنّ في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا، كما تُثبت أن في الإيمان نعيماً معنوياً في الدنيا أيضا. وهي تبرهن أن في المعاصي والفساد والمُتع المحرّمة آلاماً معنوية مبرّحة، كما أن في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائذ معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة. فهي بهذا الأسلوب تنقذ من كان له مسكة من عقل من أهل السفاهة وأرباب الضلال من التمادي في غيّهم"[١٧]. فإنقاذ البشرية من أدران الرذيلة، ونقلهم إلى رحاب الفضيلة هو منهج رسائل النور، ومهمتها المركزية؛ وقد أدارَ الأستاذ هذه المهمة الشريفة في نشر الإيمان، وقيم الفضيلة الروحية على أربع مهام رئيسة هي:

١. رسائل النور تؤدي مهمة الإرشاد في هذا الزمان:

لِم ربط النورسي سعادة أهل زمانه، وزماننا بالإيمان؟ ولِمَ عدّهُ أعظم إحسان يقدَّم للإنسان؟

يرى النورسيّ أن رسائل النور تتّسم بخصوصيات جعلتها تنفرد عن رسائل المفسرين، والمتصوفة، والفلاسفة، والمتكلمين وغيرهم منهجًا، ومضموناً؛ لأن زمان القدامى اتسم بكثير من الاستقرار الروحيّ. في حين أن زماننا زمان الفتن والاضطراب، والحروب والتخلف، والرّدة والرداءة، والتكالب على مُتع الدنيا الفانية؛ ومن هذا المنطلق – وبحكم وظيفته الإصلاحية والدعوية – اقتنع بأن الإيمان هو العلاج الشافي لمن طمست فطرته، واختل ميزانه؛ وبالتالي فعلى خادم القرآن: "إذ مهما كان من عامة الناس، إلا أنه يبلّغ أوامر القرآن الكريم باسم القرآن نفسه إلى أعظم إنسان من دون تردد ولا إحجام

ويبيع جواهرَ القرآن الثمينة جداً لأغنى إنسان روحاً،بافتخار واعتزاز واستغناء من دون تذلل وتوسل"[١٨]. هي؛ ذي مهمة رسائل النور المقدسة التي تنشر القيم المضيئة، والمبادئ المنيرة في زمان الجهل، والفرق والملل والنحل؛ وخادمها ناشر المسك بافتخار واقتدار.

٢. رسائل النور كاشفة عن الألم المعنويّ:

إرشاد البشرية في هذا الزمان من أقدس مهام رسائل النور؛ ومن ثم وجب الإقرار بضرورة نشر الوعي بحقيقة الآخرة، وكشف زيف الملذات الفانية من خلال تحسيس الغارق في شهواته بتفاهة هذا المسلك، وحقارته، ورفده للخروج من أوحال الرذيلة يقول الأستاذ النورسيّ: "فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفيه من سفهه، هو الكشف عن ألَمه في لذته نفسها، ومساعدتُه على التغلب على أحاسيسه تلك؛ إذ المرء في زماننا هذا،مع علمه بلذائذ الآخرة ونعيمها الثمين كالألماس يفضّل عليها مُتعاً دنيوية تافهة أشبه ما تكون بقطع زجاجة قابلة للكسر! "[١٩].

فالصورة التشبيهية التي يقدّمها النورسيّ للتعبير عن غفلة الجاهل، واختلال منطقه، وتهافت منهجه تدل على الفارق بين المنهجين: الإيمانيّ والشهوانيّ؛ فالكشف عن وهَن مسلك المُتع الزائلة، وهشاشته، ووهاء مستنده، وضعف معتمده هو السبيل إلى إنقاذ المنحرف ببيان أن الألم الروحيّ في المتعة ذاتها.

ومن منطلق حكمة النورسيّ في الكشف عن أمراض البشر النفسية والروحية؛ يرى أن رسائل النور هي العلاج الشافي؛ لأنها مشبعة بقيم الإيمان، ومشحونة بأدوية الحقيقة القرآنية إذ: "إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان [...] هذه هي مهمة رسائل النور النابعة من الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي تقوم بها في هذا الزمان أتم قيام، فهي تحظى بكونها مدار انكشاف لمراتبَ غير محدودة للإيمان ومصدرَ رقي في مدارجه السامية غير المتناهية"[٢٠]. فإنسان هذا الزمان أنهكته اللذائذ، وحب الجاه والظهور، والشهوات الفانية، والجري وراء حب الزعامة والرياسة؛ وكلها أمراض قلبية أفسدت المزاج؛ فكان الإيمان هو العلاج.

وفضلاً عن وظيفة الرسائل في التوعية والكشف والعلاج؛ فهي تكشف عن مراتب الإيمان، ودرجاته العالية، وتضيء مسالكه في بلوغ مقامات القرب، وأحوال الإقبال على الله تعالى.

٣. رسائل النور تسدّ حاجات الزمان:

طبيعة رسائل النور الإيمانية تؤهلها لنشر الوعي، وإقناع الآخرين بالحجة الدامغة، إذ يرى النورسيّ أنها مصدر إشباع فكريّ في استمالة المخالفين للدين؛ ولا تقف عند حدود العلاج الروحيّ؛ بل تتخطى القلوب إلى العقول السليمة والمنحرفة على السواء ''إن جميع ما في رسائل النور: "الكلمات" و"المكتوبات "النورية إنما هي لحاجة الزمان، وإن لها المَقدِرة على إقناع كل صنف من أصناف أرباب الدين، بل إلزام الملحدين، بشرط ألا يكونوا عنيدين موغلين في العناد"[٢١].

فلِمَ خصّ الأستاذ الكلمات، والمكتوبات دون رسائل النور الأخرى ؟.

من المعلوم أنّ رسائلَ النور تسعٌ، جامعة لمختلف المعارف والعلوم؛ إلا أن تركيز النورسيّ على الكلمات والمكتوبات؛ لأنها أكثر الرسائل معالجة لموضوع الإيمان كما تبيّن فهارس الرسالتين[٢٢]. فقوة رسائل النور الإقناعية، ومتانة حجتها البرهانية قادرة على مخاطبة مختلف الحركات الإسلامية داخل حقل التداول الإسلاميّ، وخارجه. ويجد المنعم للنظر أن النورسيّ ناقش ثلة من الفقهاء، والمتصوفة، واللغويين، والفلاسفة بكثير من القدرة الإقناعية، وحصافة الرأي، ورجاحة الفكر؛ كما جادل الملاحدة من منطلقات فكرية تشهد له بسمو الحُجّة، وشرف الإقناع.

فالرسائل التي هي مزيج من عصارة فكر النورسيّ، وفلذة روحه السامية، وخلاصة نقية لمعاناة قاسية من الدعوة والإصلاح؛ أمدتها بعناصر الإقناع والإمتاع.

حجج رسائل النور الساطعة، وقدسيتها النورانية تسري في عقول محبيها، وأرواحهم، كما لامست مشاعر كثير من المخالفين في العقيدة؛ لأنها سلكت مسلك الاعتدال، والبيان،والبرهان.

وقد اشترط النورسيّ لبلوغ الرسائل درجة إقناع المخالف من الملاحدة الاستسلام للحُجّة،وترك العناد؛ وهو بهذا يؤصل لمفهوم الجدل الشريف الذي يروم الإقناع لا هزيمة الخصم.

ويشهد على قوة الإقناع في رسائل النور أنها استمدت مشروعية الحُجّة من البيان والكشف والتقريب؛ والدليل على ذلك أن النورسيّ أدرك أن إلزام الرسائل للملاحدة قائم ما لم يصل المخالِف درجة الإيغال في العناد والإنكار والجحود؛ وهي مرتبة تضعف من قوة الرسائل في إظهار الحق، وتمحيق الباطل؛ وهذا ما حذّر منه علماء

الجدل، ونصحوا تجنبه. يقول الإمام الجويني (ت ٤٧٨هـ)؛ مبرزاً آداب الجدل: "وعليك ألا تفاتح بالمناظرة مَنْ تعلمه متعنتًا؛ لأن كلام المتعنّت ومن لا يقصد مرضاة الله في تعرّف الحق والحقيقة بما تقوله -: يورث المباهاة والضجر وحُزن القلب، وتعدِّي حُدود الله سبحانه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٢٣]. فهل فعالية رسائل النور جزئية لا تتخطى التأثير المحليّ؟ وهل حدود البناء النفسيّ والروحيّ يقتصر على الأفراد دون المجتمعات؟.

يقرّ النورسيّ بحقيقة جوهرية مؤداها: أن رسائل النور - لأنها نورانية- تبني المجتمعات الإسلامية قاطبة ولا تقف عند حدود البناء الجزئيّ؛ فهي بلسم شاف لجروح أمة بأكملها؛ ومن هنا يتجلى التأثير الروحي والوجداني العميق المتغلغل في جسم الأمة. يقول الأستاذ؛ شارحا آليات البناء الحضاريّ والعلاج الروحيّ: "إن رسائل النور لا تعمرّ تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتا صغيرا مهدماً .بل تعمرّ أيضا تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة –صخورها كالجبال – تحتضن الإسلام وتحيط به .وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى أيضا – وبيدها إعجاز القرآن – لمداواة القلب العام المجروح"[٢٤].

خامساً: السبيل إلى نشر رسائل النور – قراءة في المأمول المرتقب:

أيقن الأستاذ النورسي بأن المشيخة وطلب الولاية ليست السبيل إلى نشر رسائل النور؛ وهي حقيقة تعكس إدراكه العميق بأنه كان عارفا بزمانه، ومتطلبات الدعوة ومقتضياتها؛ ولعله أحس إحساسًا جوهريًا بأن مستقبل الإسلام مرتهن بعشق جنونيّ للمشيخة، والفرح بالاستتباع، والاستبشار بالحمد والثناء؛ وهي علامات الإفلاس الدعويّ؛ ومن ثم كشف عن أولويات الإصلاح الدعوي قائلاً: "هذا الزمان ليس زمان الطريقة بل زمان إنقاذ الإيمان. وكثيرون جدا يدخلون الجنة بغير طريقة، ولكن لا أحد يدخلها بغير إيمان. لذلك ينبغي العمل للإيمان"[٢٥]. فلم عدّ النورسيّ عصره عصر إيمان لا عصر طريقة صوفية ؟

يميز النورسيّ بين حفظ الإيمان، وحفظ الطريقة، ويرى أن الأول أجدر وأكثر نفعاً وتأثيرا من الثاني؛ لأن تجليات الإيمان التحقيقيّ تتعدى الفائدة الفردية إلى سعادة أبدية سرمدية؛ وقد استند الأستاذ في تقرير هذه الحقيقة إلى مفهوم كميّ يجلّي دلالات الفاعلية، والتأثير الإيجابي. يقول: "إن خدمة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان، أما الطريقة والمشيخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية، وأن إنقاذ إيمان شخص من الضلال أهم

بكثير وأجزل ثواباً من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية؛ حيث إن الإيمان يمنح للإنسان السعادة الأبدية (...) أما الولاية فإنها توسع من جنة المؤمن وتجعلها أسطع وأبهر"[٢٦].

لا ينكر الأستاذ المشيخة المعتدلة المفضية إلى بلوغ مرتبة الولاية؛ وإنما مساحة التأثير فيها ضيقة؛ بينما إنقاذ الإيمان من الضلال أولى بالمرء لتعلقه بالفلاح الأخرويّ؛ بيان ذلك أن الضّال أحوج إلى النور منه إلى الولاية. فالدعوة الحقة ينبغي أن تراعي دوائر التأثير، وفضاء الإصلاح العاجل بحسب الأولوية؛ لأن دعوة من هو خارج الملة أولى، وأكثر نفعا من دعوة من هو في دائرة الإيمان.

كما أن إنقاذ الإيمان أولى من المشيخة للاعتبارات السابقة؛ فالسياسة كذلك لا تصلح سبيلاً لعلاج القلوب. يقول الأستاذ: "إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم، وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلبِ وإنقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور، فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر، تدنى أولئك الكفار إلى درك المنافقين، والمنافق – كما هو معلوم – أشد خطرا من الكافر وأفسد منه، فصولجان السياسة إذاً لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً "[٢٧].

فالسياسة وحل من النجاسة؛ لأنها تلوث القلب، وتطمس البصيرة؛ بينما رسائل النور تنقذ الإيمان بنورها الساطع، وشعاعها اللامع، وتجسد هذا النور في حياة المؤمن؛ لأنه بهذا الضياء الروحيّ الذي ينتشر بين دفيته يكون قد ذاق حلاوة النور الإلهيّ.

وفي إنكار السياسة بوصفها سبيلاً لإنقاذ الإيمان له ما يعزّزه في واقع المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة؛ حيث طغت السياسة على كل شيء، وغاب الإيمان؛ وانحسرت الفضيلة وضاعت القيم؛ وإن أحرزت السياسة بعض التقدم - كما هو مشاهد في العالم المعاصر- إلا أن غياب الإيمان أفضى إلى انتشار النفاق بين الدول؛ ومن ثم حدثت قطيعة عند المسلمين بين الدين، والأخلاق كما حدث عند العلمانيين فصل بين العلم والدين. فما السُبل الناجعة لنشر رسائل النور، وإنقاذ إيمان البشرية؟

لم يحدّد الأستاذ النورسيّ سُبلا بعينها لنشر رسائل النور؛ وإنما ذكر بعض الطرق التي تفي بغرض النشر والإرشاد والإصلاح، ورأى أن الرسائل هي مِلك الجميع؛ ومن ثم تقع مسؤولية التبليغ على كل فرد آمن بها ."إن خاصية الطالب هي أن يتبنى العملَ

للرسائل المؤلفة كأنه هو صاحبها، وكأنه هو الذي ألّفها وكتبها فيسعى جاداً لنشرها وإبلاغها إلى من هو أهل لها (...) إنّ المهمة الجليلة في هذا الوقت هي خدمة الإيمان، إذ هي مفتاح السعادة الأبدية"[٢٨].

يحدّد النورسي مفهوم الانتساب إلى رسائل النور؛ وهو مفهوم عمليّ، وليس نظرياً يقف عند حدود الإعجاب؛ بل يتجاوز مجرد الانتماء النفعيّ إلى تحمل مسؤولية التبليغ، والإرشاد؛ وهي مهمة شريفة نابعة من صدق الانتماء، وشرف الانتساب؛ ومتى أيقن طالب النور أن الرسائل هي جزء لا يتجزأ من ذاته أخلص في نشرها وتبليغها؛ وسعى إلى تحمل معاناة التبليغ، وقساوة النشر.

ومن أبرز طرق نشر الرسائل:

١. خدمة الإيمان أول طريق لنشر رسائل النور:

لرسائل النور قيمة روحية، ومعرفية ظاهرة لكل من ذاق حلاوتها، وعايش مضامينها معايشة صادقة في رحاب الإيمان؛ بعيدا عن حظوظ النفس، وشهواتها؛ ومن منطلق هذه الخدمة الجليلة؛ فإنّ قراءة رسائل النور قراءة خاصة؛ تتجاوز إطار التحصيل الماديّ النفعيّ إلى التحصيل الروحيّ؛ ولهذا يقرّر النورسيّ أنّ خصوصية تحصيل العلم بالرسائل منهج غير مسبوق فيقول: "إن قراءة رسائل النور وتحصيل العلم فيها شيء مبتكر وأصيل في الحقيقة ولا يوجد ما يشابهه؛ ذلك لأن أي تحصيل علمي آخر تكون الغاية من الاستمرار فيه هي المنفعة المادية أو الحصول على موقع ما، (...) أما رسائل النور فتشبه جامعة حرة غير منظمة، والذين يداومون في هذه الجامعة بقراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط لا غير"[٢٩]. هي جامعة إيمانية، التحصيل فيها أخرويّ، والمداومة على قراءة رسائل النور -وهي برامج الجامعة الروحية- خالصة تبتغي خدمة الإيمان دون شهرة أو جاه أو سلطان. والتحقيق أن خصوصية التحصيل المعرفيّ برسائل النور هو تحصيل مبتكر بامتياز؛ لأنه يميز علماء الآخرة عن علماء الدنيا، والفرق واضح بين العالمين؛ ولهذا يرى أبو حامد الغزاليّ أن من سمات العالم الربانيّ أنه: "كلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه"[٣٠].

فقراءة رسائل النور بصدق هي مسلك الوصول إلى نشرها، وتبليغها؛ بل إن خلاصة التجارب التي عايشها النورسيّ أثبتت أن الرسائل هي الموصلة إلى إنقاذ الإيمان؛ ولهذا:

"عُلِم بتجارب كثيرة قاطعة أن أقصر طريق وأسهله لإنقاذ الإيمان، وتقويته وجعله تحقيقياً هو في خدمة رسائل النور"[٣١] .

ولأن رسائل النور لها خصوصية التحصيل المعرفيّ،وغرضها تمكين الإيمان التحقيقيّ من طلابها؛ فقد انتشر عبيرها،وامتد أريجها في أرجاء الدولة التركية بين مواطنيها بروح الوسطية والاعتدال، والإخلاص؛ فقد انتشرت بين أوساط الشعب التركيّ انتشاراً مذهلاً؛ لأنها تحمل روحانية خاصة، ولم تحرّكها أغراض السياسة الدنيئة أو شهوات حب التسلط أو الجاه. يقول الأستاذ النورسيّ معلّقًا عن خلاصة تجربته في نشر رسائل النور ومدى الأثر الطيب الذي تركته في نفوس الشعب التركيّ: " إن هذه تسع سنوات ومئات الرسائل التي نسعى لنشرها، أثبتت تأثيرها في هذا الشعب الصديق المبارك الطيب، وأظهرت مفعولها الفعلي والمادي في حياته الأبدية وفي دعم قوة إيمانه وسعادة حياته، ومن غير أن تمس أحداً بسوء أو تولد أي اضطراب أو قلق كان، إذ لم يشاهد منها ما يومئ إلى غرض سياسي ونفع دنيوي مهما كان"[٣٢]. فالوسطية، والاعتدال، والقدوة، والحكمة قبل الدعوة؛ ولا غرو أن النفس البشرية مجبولة على حب الإحسان؛ وإنقاذ الإيمان هو أعظم إحسان قُدِّم للشعب التركيّ؛ ولهذا استجاب لرسائل النور طواعية، وانقاد لمضامينها السلمية؛ لأنها بريئة من أدران السياسة، وأطماع أصحابها.

فخدمة الإيمان سبيل فعّال من سبل نشر رسائل النور؛ ذلك أن هذه القوة الروحية هي التي تحرّك الرغبة في التبليغ؛ وتنشر الوعي الدينيّ المستقيم الذي يفضي إلى السعادة الأبدية .يقول الأستاذ: "إن إيمان شخص واحد إنما هو مفتاح ونور لعالم خالد أوسع من هذه الدنيا .ولهذا فإن رسائل النور تُكسب المتعرضَ إيمانُه للهلاك مُلكاً أعظم من هذه الكرة الأرضية، وتورثه سلطنة أجدى منها، وتمنحه فتوحات أعظم منها "[٣٣].

٢. استنساخ رسائل النور، والدعوة إلى تحريرها:

لا جدال في أن الإيمان طاقة روحية خلاّقة، ولا تؤتي هذه الطاقة ثمارها العملية إلا بنقل هذه الأحاسيس الإيمانية، وتحويلها إلى واقع ملموس. ولمّا كانت رسائل النور مستوفية للخدمة الإيمانية؛ فكان لزاما على طلابها السهر على تحريرها؛ لتعم فائدة النشر والإرشاد والتبليغ؛ ذلك أن تجربة الرسائل لا تحقق المقاصد الشرعية، والأهداف المعنوية والتربوية التي من أجلها ضحّى الأستاذ النورسيّ - رحمه الله- وأتباعه إلا بكتابتها، وهي: "أهم وظيفة للمنتسب إلى رسائل النور، كتابتها،ودعوة الآخرين إلى كتابتها، وتعزيز انتشارها؛ فالذي يكتبها أو يستكتبها، يكسب عنوان "طالب رسائل النور"؛

فيغنم بهذا العنوان حظاً من مكتسباتي المعنوية، ومن دعواتي الخيرية"[٣٤]. فَلِمَ شرفت كتابة رسائل النور؟ ولِمَ عدّها النورسيّ من مكتسباته المعنوية؟

إنّ للكتابة شرفاً، وفضلاً عظيماً؛ لأنها وعاء جواهر الألفاظ، وحلية الأسنة؛ وقد علت مكانتها بين الشعراء والأدباء والبلغاء حتى قيل: "كل صناعة تحتاج إلى ذكاء، إلاّ الكتابة فإنها تحتاج إلى ذكاءين: جمع المعاني بالقلب والحروف بالقلم" [٣٤]. ويكفي الكتابة شرفا وتيها أن الله تعالى وصف بها الحفظة من الملائكة فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[٣٥].

إنّ الكتابة هي القيد الذي يمنع من انفلات المكتوب، وضياعه؛ ولهذا أدرك النورسيّ بحسّه الإنشائي مرتبة الكتابة في نشر رسائل النور، وتعزيز بقائها واستمرارها؛ بل إن الانتساب الشرعيّ للرسائل موقوف على كتابتها أو استكتابها؛ ويرى في هذا الجهد مكسبًا روحيًا، وأجرًا أخروياً.

ينال كاتب رسائل النور دعوة صاحبها، ودعوة إخوانه من طلاب النور؛ وهي مكتسبات معنوية؛ مما يعني أن الأجر الروحيّ هو المحرّك للكتابة والتحرير؛ فالرسائل لها قدسية وروحانية خاصة، وكتابتها تستمد الفضل من هذه القدسية .

٣. طرق استنساخ الرسائل ونشرها:

تناول الأستاذ النورسيّ قضية كتابة رسائل النور من المنطلقات الآتية:

١. **الاستنساخ اليدوي:** طرح النورسيّ مسألة الاستنساخ في رحاب السؤال الآتي: هل حفظ القرآن أفضل أم استنساخ الرسائل؟

لم يطرح الأستاذ هذا السؤال من زاوية الموازنة أو المفاضلة؛ وإنما من باب ترتيب الأولويات؛ وهو يدرك إدراكا كاملاً أن تلاوة القرآن، وحفظه أشرف مقام في هذا الوجود؛ إلا أنه يرى في رسائل النور الأداة المعينة على تفسير حقائقه وفهم معانيه. يقول الأستاذ معللاً: "لأن رسائل النور براهين لحقائق القرآن العظيم الإيمانية وحججه، ولكونها وسيلة إلى حفظ القرآن الكريم وتلاوته، ومفسّرة لحقائقه وموضحة لها، ينبغي السعي لها أيضا جنبا إلى جنب حفظ القرآن"[٣٦]. فحفظ القرآن أولى ثم قراءة رسائل النور الدالة على حقائق القرآن، وبراهينه الساطعة .

ومما هو معلوم في سلم التحصيل المعرفيّ في الثقافة العربية الإسلامية أن حفظ القرآن مدخل كل تحصيل علميّ رصين، وبداية كل ناشئ غُمر رام التبحر في العلوم.

يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم"[٣٧]. فحفظ القرآن هو المدخل الطبيعيّ في التعليم حتى: "صار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصُل بعدُ من الملكات"[٣٨].

يصوّر الأستاذ النورسي تجربة طلاب النور في استنساخ الرسائل؛ مبرزاً تضحياتهم الجسيمة، ومعاناتهم الجليلة في سبيل نشر الوعي والهدي القرآنيّ قائلا: "بدأت عشرات، ثم مئات،ثم آلاف من طلبة النور رجالاً ونساءً في الانكباب على استنساخ رسائل النور ساعات عديدة من الليل والنهار حتى إنّ بعضا منهم قضى سبع سنوات لم يغادر منزله وهو مكبّ على هذه المهمة. حتى كان في قرية "ساو"القريبة من إسبارطة ألف من مستنسخي الرسائل"[٣٩].

لا يمكن لهذه المعاناة أن تبلغ درجة من التخلي عن الأقارب لو لم يكن طلاب النور على يقين بقداسة هذه المهمة الشريفة النبيلة؛ إذ انكبوا على استنساخ الرسائل بشوق لتعم هذه الأنوار الإيمانية الأصقاع والبقاع؛ ذلك أن الكتابة هي وسيلة التواصل الناشرة لأسرار حقائق النور، ومضامينها: "فهي تُطلع على ما في الضمائر وتتأدّى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات"[٤٠].

ولم يكن استنساخ الرسائل بالأمر الهين المتاح لغياب المطبعة، وتبدل الحروف؛ والظروف السياسية والأمنية التي صاحبت عملية النشر؛ ومع ذلك انتشرت هذه الأسرار القرآنية، والأنوار الإيمانية بفضل الله تعالى، وجهود طلاب النور المخلصة؛ إذ عدّ النورسيّ هذه الخدمة: "كرامة قرآنية واضحة وعناية إلهية ظاهرة ليس إلا "[٤١].

٢. **سُعاة بريد النور:** ما وسيلة نقل رسائل النور إلى القرى،وإبلاغها إلى جميع المدن؟.

طبيعة رسائل النور الروحانية وجوهرها الربانيّ، وحرص طلابها على نشرها؛ فضلاً عن المضايقات التي لازمت دعاتها جعلها تسلك مسلك السرية في نشرها؛ إذ: "تنقل سراً، ثم تستنسخ باليد ثم توزع على القرى والنواحي والمدن القريبة، فتشكّلت بهذا "سعاة بريد النور "الذين كان واجبهم ينحصر في نقل الرسائل من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة "[٤٢]. هي استراتيجية مناسبة تعكس قيمة رسائل النور الإيمانية، ومسؤولية حملها ونشرها،وأهلية حاملها؛ وفي كل مراحل النشر والتوزيع تبقى الخدمة الإيمانية هي المحرّك لهذه المهمة الصعبة .

٣. **الشعور الذي ينجز الخدمات:** يتعمق الأستاذ في استجلاء حقيقة نشر رسائل النور، ويبّين الكرامة الإلهية التي لازمت إنجاز هذه المهمة المقدسة؛ معزوا إياها إلى حقيقة نورانية أمدت هذه الجهود المادية الصادقة بإشعاع ربانيّ؛ مما ولّد الافتخار بالخدمة الإيمانية؛ لأنها طوعية نابعة من إيمان صادق لا تحرّكه مطامع الدنيا الزائلة، ولا الأغراض الدنيوية الفانية. يقول النورسيّ: "إن الذين يحملون على أكتافهم أعباء خدمة الإيمان والقرآن والتي هي بمثابة خزينة الحق والحقيقة العظيمة الرفيعة يفتخرون كلما انضمت إليهم أكتاف قوية متعاونةً معهم"[٤٣]

عدم هجر الرسائل: يخاطب الأستاذ النورسيّ طلاب النور من منطلق القائد العارف بأسرار القيادة الرشيدة التي تعي مسؤولية تحمل الخطأ غير المتعمد؛ مؤمنًا إيمانا جازمًا بأن المصيبة قَدَر إلهيّ؛ وهو بهذا الخطاب الموجه لإخوته يعكس الحقيقة الآتية: أن القائد مهما أوتي من حصافة الرأي، ورجاحة العقل قد يخطئ في تقدير الأمور أحيانا؛ ومن ثم لا تثريب عليه؛ فقد دافع الأستاذ عن طلابه في كل المحافل؛ إذ يرى –رحمه الله– أن قيمة هذا الدفاع هي عربون الوفاء لرسائل النور وطلابها .يقول النورسيّ: "إن شرط الحفاظ على ما في دفاعي من قيمة، هو عدم هجر رسائل النور بمضايقات هذه الحادثة وأمثالها، وعدم استياء الأخ من أستاذه، وعدم النفور من إخوانه مما يسببه الضيق والضجر، وعدم تتبع عورات الآخرين وتقصيراتهم"[٤٤].

هي حقيقة ناصعة في مجال الدعوة الإسلامية، وهو توجيه تربويّ نبيل من الأستاذ لإخوانه؛ بغية تثبيت العهد والوفاء والثبات على الحق، وشدّ الهمّة في نشر رسائل النور؛ فالخدمة الإيمانية حجاب دون الاستسلام لحظوظ النفس جرّاء سوء تقدير من قائد حصيف أمين .

إن هجر رسائل النور بسبب حادثة عابرة هو دليل على هشاشة علاقة طالب النور بأستاذه وإخوانه؛ ولا يمكن

أن يصرف النظر طلاب الرسائل عن تقصير بعضهم؛ إلا إذا أيقنوا بقداسة المهمة الشريفة الموكلة إليهم، والاعتقاد الجازم بأن المصائب منح إلهية، وعطاء ربانيّ .

فأمر طبيعيّ أن يشعر أصحاب الدعوة الإسلامية بضيق، وضجر مما يعتريهم من حوادث مؤلمة؛ وهو مسلك الأنبياء في الدعوة إلى الحق، وما يلحقهم من الأذى والهجر؛ ولكن النفوس الأبيّة تقابل المصائب بالتمسك بالإيمان؛ وما من شيء يدفع الضيق، والغم، والكدر إلا التسليم للقضاء، والقَدر.

خاتمة:

لا جرم أنّ الإيمان الصادق هو العنوان الحقيقيّ على تدين راسخ،ومصدر ثبات على عوائق الدعوة وعلائقها؛ فهو نهر معطاء يجود بأسرار الحقيقة، وأنوار الطريقة. وقد كان طريق رسائل النور مثقلاً بهموم الدعوة، ومعاناتها وآلامها؛ وهو واقع أكسب طلاب النور متانة، وصبراً وجَلداً، وأفضى إلى انتصارات مذهلة في مجال التربية الروحية، والمعرفية. والحاصل من هذه المقاربة جملة من النتائج نجملها في سبع نقاط:

١. الإيمان التحقيقيّ هو مصدر معرفة قدسية جليلة، و منبع جميع السعادات، ومفتاح السعادة الباقية، والإيمان التقليديّ حجاب دون بلوغ مراتب الصفاء الروحيّ .

٢. إظهار الحقيقة الإيمانية، وتجسيد الإيمان التحقيقيّ هو غاية رسائل النور، ومقصدها الأسمى .

٣. استمدت رسائل النور خصوصيتها، وتأثيرها، وجاذبيتها من روح القرآن الكريم؛ ومن ثم اختلفت عن كل الرسائل مضموناً، ومنهجاً .

٤. الإخلاص لله تعالى، ونكران الذات، وتجنب الشهوات الخفية، وحظوظ النفس الشقية هي أركان الإيمان التحقيقيّ، وعدم الإحساس بالإحسان هو الإحسان ذاته .

٥. تنحصر مهمة رسائل النور في الإرشاد، والتبليغ، وكشف الآلام المعنوية .

٦. خدمة الإيمان هي المدخل الطبيعيّ لنشر رسائل النور .

٧. استنساخ الرسائل، واستكتابها آليات عملية فعّالة في تبليغ مضامين رسائل النور.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي،مجمع الملك فهد لطباعة القرآن بالمدينة المنورة،المملكة العربية السعودية،الإصدار الثاني .

ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ضَبَط المتن ووضَع الحواشي والفهارس جليل شحادة،مراجعة سهيل زكار، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، بيروت –لبنان .

الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، حقَّقه وضَبط نصوصه وعلَّق حواشيه عمر الطبّاع، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٠م، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان.

الجويني،أبو المعالي إمام الحرمين، الكافية في الجدل، تقديم وتحقيق وتعليق فوقية حسين محمود، مطبعة البابي الحلبي وشركاه،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، القاهرة.

درّاز، محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، اعتنى به وخرَّج أحاديثه عبد الحميد الدخاخني، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض .

الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، حقَّقَه واعتنى به فوّاز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان.
الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار،الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، دار ابن حزم، بيروت – لبنان .
النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية،إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة السادسة،٢٠١١م، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.
النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،الطبعة السادسة،٢٠١١م، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.
النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق إحسان قاسم الصالحي،الطبعة السادسة،٢٠١١م، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.
النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،الطبعة السادسة،٢٠١١م، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.
النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،الطبعة السادسة،٢٠١١م، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.
النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،الطبعة السادسة،٢٠١١م، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.
النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،الطبعة السادسة،٢٠١١م، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.

الهوامش

١ باحث أكاديميّ جزائريّ، جامعة الجزائر ٠١ بن يوسف بن خدة.
٢ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق بارلا، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦، ص٧٣.
٣ م ن، ص٢٦٢.
٤ م ن، ص٧٣.
٥ النورسي، سيرة ذاتية، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦، ص٤١٦.
٦ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق بارلا، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦، ص٧٨-٧٩.
٧ دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٧/١م، ص١٤٣.
٨ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطموني، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦، ص٩٩
٩ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٩٩٥، ص٢٨٤.
١٠ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطموني، ص١٠٤-١٠٥.
١١ النورسي، المكتوبات، ص٤٧٦-٤٧٧.
١٢ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق بارلا، ص٥١-٥٢.
١٣ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢٠٠٥، ص١١٨٣.
١٤ م ن، ص١٧٥١.
١٥ النورسي، سيرة ذاتية، ص٤١٦.
١٦ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطموني، ص١٠٩.
١٧ النورسي، صيقل الإسلام، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦، ص٤٥٤-٤٥٥.
١٨ النورسي، المكتوبات، ص٤٤٤.
١٩ النورسي، صيقل الإسلام، ص٤٥٥.
٢٠ النورسي، الشعاعات، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦، ص٢١١.
٢١ النورسي، الملاحق في دعوة النور ملحق بارلا، ص٢٦.
٢٢ النورسي، الكلمات، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦، ص٩٣٨ والمكتوبات، ص٦٤٤.
٢٣ الجويني، الكافية في الجدل، ١٩٧٩، ص٥٣٢.

٢٤ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، ص١١١.
٢٥ النورسي، سيرة ذاتية، ص٣٠٤.
٢٦ م ن، ص٣٥٥.
٢٧ النورسي، اللمعات، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦، ص١٤٥-١٤٦.
٢٨ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطموني، ص١٠١.
٢٩ النورسي، الشعاعات، ص٥٦٣.
٣٠ الغزالي، إحياء علوم الدين، ص٤٩.
٣١ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ملحق قسطموني، ص١٢٨.
٣٢ النورسي، اللمعات، ص٢٣٦.
٣٣ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، ص١٠٨.
٣٤ النورسي، سيرة ذاتية، ص٣٤٥.
٣٥ سورة الإنفطار:: ١٠-١١.
٣٦ النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، ص١١٦.
٣٧ ابن خلدون، المقدمة، ٢٠٠١، ص٧٤٠.
٣٨ م ن، ص٧٤١.
٣٩ النورسي، سيرة ذاتية، ص٢٩٠.
٤٠ ابن خلدون، المقدمة، ٢٠٠١، ص٥٢٤.
٤١ النورسي، سيرة ذاتية، ص٢٩٢.
٤٢ م ن، ص٣٥٣.
٤٣ م ن، ص٣٩٣.
٤٤ النورسي، سيرة ذاتية، ص٣٤٧.

الحقيقة، الوحي والعقل
قراءة نقدية لمسلمات وقواعد التأويل في القراءات الحداثية للوحي
دراسة أنموذج

د. عطية بن عطية

الملخص:

في العدد ١٩ من مجلة النور، أشرنا إجمالا إلى أن القراءات الحداثية امتازت بشيء من الضبابية في تحليلاتها وغموض في مفاهيمها وخلل في مصطلحاتها وتناقض في مناهجها. في هذا المقال سنعرض نموذجا ننتقد فيه بعضا من هذه القراءات. فالسيد محمد شحرور في قراءته التي يصفها بالموضوعية العلمية والمعاصرة، تناول النص القرآني المقدس وحاول من خلال هذا التأصيل لمنهج تأويلي نتمكن باستخدامه من فهم القضايا الميتافيزيقية التي اشتمل عليها القرآن، وبذلك زعم أننا نستطيع مسايرة التطور العلمي الذي يرجع الفضل فيه إلى استخدام الدراسات الحسية التجريبية في فهم الوجود، وهو ما كان غائبا في كامل المدونة التراثية عبر التاريخ. غير أن المتفحص في آثار السيد محمد شحرور، لا يكاد يظفر من ادعاءاته إلا بشيء من اللبس والتناقض، مما يوصل إلى الفهم المغلوط المؤدي إلى انحراف عملية الفهم والتأويل. فإذا كانت المناهج فيما تعارف عليه الإبستيمولوجيون، ينبغي أن تتطابق مع طبيعة الموضوعات المدروسة، فإننا نجد عند السيد شحرور ركاما لامتجانسا من البيانات والأفكار، أقل ما يمكن وصفها به، هو أنها اجتهادات مغلوطة أعطت نتائج متناقضة مرفوضة، فكيف تعاملت القراءة الموضوعية المزعومة مع النص المقدس؟ وما علاقة هذه القراءة بما جاء في المدونة التراثية؟ ثم ما هي القيمة العلمية التي يمكن أن نثمنها فيما جاء به السيد محمد شحرور من القواعد التأويلية؟

الكلمات المفتاحية: الوحي ـ العقل ـ الحقيقة ـ التأويل ـ التفسير ـ التنزيل ـ القرآن ـ الكتاب ـ المنهج الموضوعي ـ المادية ـ التجريب ـ الفهم.

Truth, Revelation and Reason
A critical reading of the postulates and rules of interpretation in modern readings of revelation
study model

Dr. Atia Ben Atia

Abstract

In Issue 19 of the Al-Nour magazine, we did point out as a whole that the modernist readings were characterized by some blurring in their analyzes, ambiguity in their concepts, error in their terminology, and contradiction in their approaches. In this article, we will present a sample in which we criticize some of these readings. Mr. Muhammad Shahrour, in his reading, which he describes as contemporary objective and scientific, he dealt with the Holy Quranic text and tried through it, to originate an interpretative approach that we can use to understand the metaphysical issues, included in the Quran. By this he claimed that we can keep pace with the scientific development which relies on the use of experimental sensory studies in understanding existence and this has been absent from the entire heritage blog throughout history. However, whoever examines the after effects of Mr. Muhammad Shahrour, can hardly gain from his allegations anything that is not clothed in some ambiguity and contradiction, which leads to misunderstandings that deviate the understanding and interpretation processes. If the curricula are what epistemologists are familiar with, that they should correspond to the nature of the topics studied, then we find a rubble of a homogeneous amount of data and ideas with Mr. Shahrour, the least that can be described by, is that they are false diligences that gave rejected and contradictory results. So how did the alleged objective reading deal with the holy text? And how is this reading related to what the heritage blog states? Also, what is the scientific value that we can treasure in what Mr. Muhammad Shahrour brings in the interpretation rules?

Key words: Inspiration – Reason - Truth, Interpretation – Explanation – Revelation - The Qur'an - The Book - The Objective Approach - Materialism - Experimentation - Understanding.

في كتاب "الحقيقة والمنهج"خلص هانز غيورغ غادامير إلى أن طبيعة المنهج العلمي قاصرة عن إدراك الحقيقة في مجالات واسعة من المعارف الإنسانية، ويقصد بذلك المنهج العلمي في صورته التجريبية التي لا تحتكم إلا لنتائج التجريب الحسي. ويبدو أن عنوان هذا البحث يوحي بوجود مقابلة مماثلة إذا ما نظرنا إلى المفاهيم التي تشكل

عناصر العنوان من زاوية العلم التجريبي. فالوحي والحقيقة لا يتقاطعان إذ هما من زاوية النظر التجريبية. مفهومان يغطي كل منهما دائرة معرفية مغايرة، والكلام عن حقيقة الوحي، هي بقيا من وجهة نظر نقدية خارجية انصبت على المعطى التاريخي للوحي، وهي تركيبة معرفية ترتكز على خلفية معرفية تحيل إلى الإرث الثقافي الذي ينسحب على جملة المفاهيم والتصورات التي طغت على الفكر الحديث، إذ لفظ الحقيقة في الاستخدام الحداثي، خاصة ما تعلق بتأويلات النص الديني، لا ينفك عن المعنى العقلاني الذي انتشر مع ظهور العقلانية والتنوير الغربي.

وقد توحي المقابلة بين الحقيقة والوحي والعقل بقراءة مغايرة، تتمثل في مقاربة تقوم على إيجاد تمفصل معرفي يكاد ينتهي بالإقرار أن هذه الألفاظ مرادفات لبعضها، يحيل معنى أحدها إلى نفس المعنى الذي يحيل إليه الآخر كما شاع في الفكر الفلسفي في العصور الوسطى. غير أننا بداية، نستبعد هذه المقاربة مؤقتا، سيرا مع المبدأ الأساسي الذي أقام عليه السيد محمد شحرور مشروعه الحداثي في قراءة النص الديني، والمتمثل في نفي فكرة الترادف بين الألفاظ من حيث دلالاتها ومعانيها في اللغة العربية، التي هي ـ كما يقول روني غينون ـ لغة مقدسة بامتياز لارتباطها بالنص المقدس، القرآن الكريم.

١. الحقيقة ودلالاتها في نصوص الكتابات المقدسة:

إذا كانت لفظة "الحقيقة" في مدونة الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد، تتسع وينسحب معناها ليشمل التجليات المختلفة لما يمكن أن يشير إليه لفظ الوحي، فإننا كثيرا ما نجدها تقترن بألفاظ عديدة منها: التجلي، الخفاء، السّر، الكشف وغيرها. وقد ورد في العهد القديم هذا الاقتران كثيرا، كما جاء في الإصحاح ١٢ من سفر طوبيا: سأُخبِركُما بالحَقِيقَةِ كُلِّهَا ولن أُخْفِيَ عَنْكُمَا أيَّ شَيْءٍ كان. سَبَقَ أَنْ أَعْلَنْتُ فَقُلْتُ لَكُمَا: خير أَنْ يُكْتَمَ سِرُّ المَلِك، أَمَّا أَعْمَالُ اللهِ فَلاَ بُدَّ مِنَ الاِعْتِرَافِ بِهَا بِمَا يَجِبُ مِنَ التَّمْجِيدِ [1]. إذ في هذا النص تقترن الألفاظ الثلاثة: الخفاء، السر والتجلي تحت نفس المعنى. وفي سفر دانيال ورد: فَأَجَابَ الْمَلِكُ دَانِيآَلَ وَقَالَ: إِنَّ إِلهَكُمْ إِلهُ الآلِهَةِ حَقًّا وَرَبُّ الْمُلُوكِ وَكَاشِفُ الأَسْرَارِ، إذ قد اسْتَطَعْتَ كَشْف هذَا السِّرِّ [2] . وهنا يقترن الحق بالسرّ والكشف. ويتوالى اقتران الألفاظ الثلاثة للدلالة في كل مرة عن ارتباط بين مفهومي: الحقيقة والوحي. غير أن ورود لفظ " الحقيقة" بهذه الصيغة والدلالة على الوحي فلا أثر له إلا بما يقابله أو يحمل معناه. ولعل أكثر الألفاظ اقترانا بهذا المعنى لفظ الروح. وهذا اللفظ ورد في سفر أيوب «وَلكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا، وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تجْعَلُهم أَذْكِيَاء [3]». كما أن لفظ الوحي يقترن بلفظ الحق الذي هو الكلمة الإلهية التي يخفى فهمها إلا بتجلية إلهية

عبر رؤيا أو وحي يوحي به، وهذه الحقيقة ترتبط في النص التوراتي إجمالا بالخلاص والسلام الدائم.

ويستمر سريان التأثير التوراتي في نصوص العهد الجديد، مشكلا الخلفية العقائدية للدين الجديد، فمع القديس بولس، تتغير لفظة "كلمة الحق" المرتبطة بالتشريعات التوراتية، إلى "حقيقة الإنجيل": وفِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، أَي بِشَارَةَ خَلاَصِكُمُ، وفِيهِ أَيْضًا آمَنْتُمْ فَخُتِمْتُمْ بِالرُّوحِ الْمَوْعُودِ، الرُّوحِ الْقُدُسِ[4]»، لتصبح بعد هذا كلمة الحق في "الرسالة إلى أهل أفسوس" هي الكلمة التي تتجلى في شخص المسيح المخلِّص كما في النص المشار إليه. وباستقصاء بسيط لإنجيل يوحنا نجد أن لفظ الحق ـ الذي لا يشير إلى الإله المطلق بتاتا ـ يرتبط ارتباطا وثيقا بالوحي، الذي لا يتجلى إلا عبر الرسالة الزمنية التي تنتهي بشخصنة تاريخية لذات المسيح، ففي الإصحاح الرابع عشر ورد النص الآتي: قال له يسوع (أَنَا الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لاَ يَمْضِي أَحَدٌ إِلَى الأَبِ إِلاَّ بِي. فَلَوْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمُنْذُ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ[5]. وهكذا تتخذ لفظة الحقيقة في المدونة الإنجيلية معنى يتدرج بين الوحي والكون، ليتجسد المعنى أخيرا في شخص المسيح، بصفته الحسية وبعده التاريخي، حاملا معه في هذا التجسد فكرة الخلاص التي غصت بها نصوص العهد القديم.

أما لفظ الحقيقة فقد ورد في العهد الجديد مرة واحدة في الإصحاح ٢٤ من إنجيل لوقا في نسخة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، لكن الدلالة المكتسبة من اللفظ توحي بالتجسيد والظهور الحسي لشخص المسيح، كما ورد في النص التالي:«وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ! وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يُخْبِرَانِ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفَ عَرَفَاهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ)[6]. ولم ترد لفظة الحقيقة بتجلياتها ومعانيها الدالة على نسبة الكلام الإلهي الموحى به إلى أنبيائه إلا بصيغة "الحق"، لكن المعنى المكتسب من التعبير بهذا اللفظ، لا نجده يحمل بعدا ميتافيزيقيا ولا يحيل إلى الذات الإلهية ولا إلى الوحي باعتباره خطابا إلهيا ألقي في روع الموحى إليه قصد تبليغه لغيره، إنما ورد اللفظ دالا على نعت الخطاب النبوي بالصدق في مقابل لفظ الكذب، أو دالا على نعت الفعل الصادر من المستمع للخطاب في مقابل الباطل. والملاحظ أيضا من هذا الاستقصاء السريع لنصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث، يجعلنا نخلص إلى القول بأن دلالة لفظ الحق ولفظ الحقيقة معا، إنما يشيران إلى الطبيعة الحسية والمادية التي سرى تأثيرها في تحديد طبيعة الحقيقة في الفلسفة الغربية عبر أطوارها المتأخرة على

الأقل، وهذا بتأثير من النصوص الدينية خاصة، والتي ساهمت بقسط وافر في ربط دلالة الحقيقة بالبعد المادي الحسي في الفكر الحداثي أيضا.

إن هذه النظرة الإنجيلية التي تزيح المعنى الميتافيزيقي للفظ الحقيقة لإحلال المعنى الطبيعي للفظ محلها، بقيت رواسبها في التراث الثقافي الغربي كله، مشكّلة الخلفيةَ الكامنةَ وراء الأفكار والتصورات التي أَسَّسَت هيكل الفلسفة الحديثة والمعاصرة في الغرب. كما أنها حصرت مقررات العقل في البعد الطبيعي المادي المدرك حسيا وفق مقولتي المكان والزمان، كما شاع مع الفلسفة المادية والوجودية والبراغماتية، بل وحتى الدراسات الدينية والفلسفية التي تزعم إقامة أسسها على نمط ميتافيزيقي أو روحي، على غرار البرغسونية التي كانت أقرب في منطلقاتها وتصوراتها إلى المادية والطبيعانية منها إلى الفلسفة الروحية الخالصة.

وباستقصاء سريع للقرآن الكريم نصادف ورود لفظ "الحق" بشتى اشتقاقاته، ما يربو عن ١٨٠ مرة، بدلالات مختلفة، أبرزها نعت الذات الإلهية بالحق، كما فى سورة طه فى قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[7] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[8] وهو ما لا نجد له مقابلا في العهدين القديم والجديد. كما ورد اللفظ بمعان مختلفة منها ما تعلق بالحديث كمقابل للكذب، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[9]، ومنها ما تعلق بالفعل كمقابل للباطل، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[10]. ومنها ما كان مرتبطا بحدث غيبي أو طبيعي، وهو ما عبرت عنه الآيات التالية كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[11] وفى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾[12] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[13]. ومحل الشاهد من هذه الآيات، هو ارتباط دلالة لفظ الحق بالوحي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو حدث غيبي، بمعنى أن لفظ الحق في هذه الآيات يستمد دلالته من البعد الميتافيزيقي الذي يحيل إليه، وهو ما لم نجد له مقابلا دلاليا في نصوص الكتاب المقدس بعهديه.

٢. الروح والوحي في نصوص القرآن

عند مقارنة الامتداد الدلالي للفظ نسمة في اللغة العبرية والتي تلفظ" نشما" نجد أنها لا تمتلك متسعا من الدلالات التي تجعلنا نقارب بين مفهومي الروح والوحي في نصوص الكتاب المقدس بعهديه وفي نصوص القرآن من جهة ثانية. لكن لفظ "نسمة" الوارد في التوراة نجد معناه ينسحب اتساعا ليدل على الروح في اللفظ العربي ونصادفه وهو تحمل نفس الدلالة، إن في النص القرآني أو في الحديث النبوي الشريف، كما يحمل دلالة أخرى لا نجدها في نصوص الكتاب المقدس. فلفظ الروح بما يحمله من دلالة الخفاء ورد في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلعَرشِ يُلقِي ٱلرُّوحَ مِن أَمرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَومَ ٱلتَّلَاقِ﴾[14]، كما ورد اللفظ بنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ رُوحا مِّن أَمرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدرِي مَا ٱلكِتَٰبُ وَلَا ٱلإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلنَٰهُ نُورا نَّهدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِن عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰط مُّستَقِيم﴾[15]. وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ[16]﴾. ولعل الدلالة التي نفقهها من الآيتين الأوليين تظهر بجلاء الاقتران بين الروح والوحي الدال على المعرفة والكشف والاعلان، في حين أن دلالة الروح في الآية الثالثة من سورة الحجر، إنما تقترن بالسر والخفاء، وهي التي نجد الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿ وَيَسلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلعِلمِ إِلَّا قَلِيلا[17]﴾. وفي هذا السياق ما يجعلنا نفقه من دلالة هذا الاقتران، وجود ارتباط بين لفظ الروح المقترن بالسر والخفاء من جهة، وبين الروح والوحي المرتبط بالكشف والإعلان من جهة ثانية، والذي عبرت عنه الآية من سورة غافر بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾ وأشارت إليه الآية من سورة الحجر بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلنَٰهُ نُورا نَّهدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِن عِبَادِنَاۚ ﴾. وهي دالة بوضوح على ارتباط وثيق بين لفظي الروح والوحي.

أما في الحديث النبوي الشريف، فلفظ النسمة الذي يتقاطع من حيث الدلالة مع لفظ الروح، فقد ورد في حديث العزل الذي رواه البخاري في باب النكاح، عن أبي سعيد الخدري، جاء فيه: (مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ)[18]. وأورد ابن عبد البر في التمهيد رواية عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أنه أخبر أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه". ويعلق ابن عبد البر على هذا الحديث قائلا: " وأما قوله: نسمة المؤمن، والنسمة هاهنا الروح، يدلك على ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – في

الحديث نفسه: "حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة"، وقيل: النسمة: النفس، والروح، والبدن، وأصل هذه اللفظة أعني النسمة الإنسان بعينه، وإنما قيل للإنسان نسمة – والله أعلم –: لأن حياة الإنسان بروحه فإذا فارقته عُدم أو صار كالمُعدم، والدليل على أن النسمة هي الإنسان قوله – صلى الله عليه وسلم :- من أعتق نسمة مؤمنة".[19]

على أن الدلالة التي نفقهها من لفظ النسمة أو الروح في هذا الحديث هي نفسها التي نجد الإشارة إليها في الحديث رقم:٤٤٤٤ من صحيح البخاري الذي ورد بالصيغة التالية: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي، حدثنا الأعمش قال: حدثني إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح. فقال ما رأيكم إليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلعِلمِ إِلَّا قَلِيلا[20]﴾. قال القرطبي في معنى الروح المقصود في سؤال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم بعد إيراد العديد من الآراء:(...) وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سألوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد. وقال أهل النظر منهم: إنما سألوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل)[21]. وعلق ابن حجر العسقلاني بعد إيراد ما ذكره القرطبي من آراء قائلا: (الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ولا تجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح. وقال الإمام فخر الدين الرازي: المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه)[22].

أما دلالة لفظ الروح على الوحى، فنفقهها من الحديث الذى أورده أبو نعيم الأصبهانى فى حلية الأولياء من حديث أَبى أمامة (قال: قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعِى أنّ نَفْساً لنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَكْمِلَ أجَلَها وَتَسْتَوْعِبَ رزْقَها، فأجْمِلُوا فى الطَّلب، ولا يَحْمِلنَّ أحَدَكُمُ اسْتِبْطاءُ الرّزْقِ أنْ يَطْلُبَهُ بمَعْصِيَةٍ، فإنّ الله تعالى لا يُنالُ ما عِنْدَهُ إلاّ بطاعَتِهِ)[23]. ويتضح من الآيات والأحاديث المذكورة أن من دلالات الروح في مدونة النص المقدس القرآن الكريم والحديث الشريف الوحي والحقيقة معا.

وعلى ضوء هذا الاستقصاء المقتضب، يمكننا القول بإمكانية التسليم بوجود ارتباط وثيق بين الحق والحقيقة والوحي، وأن البعد المادي لهذه الألفاظ بعدما ثبت لنا وجود أثر له في نصوص الكتاب المقدس بعهديه، فإننا لا نجد أي مبرر منهجي ولا سند معرفي يجيز لنا التسليم بوجود مثل هذا الارتباط الحسي المادي في نصوص القرآن الكريم ولا الحديث الشريف. وانطلاقا من هذه المسلمة التي يمكننا اتخاذها كمحور للرد على ادعاءات بعض الحداثيين في تأويلاتهم لنصوص القرآن الكريم، لا يسعنا إلا انتهاج السبيل الذي نرى أنه الأقرب إلى فهم النصوص الدينية، وتبيان حقيقة التأويل الذي يتناسب مع طبيعة النصوص المؤولة، دون الخوض في متاهات النقد والتجريح لأشخاص المؤولين، وهذا بالاعتماد على أقوالهم وتأويلاتهم فقط.

٣. النص، الخبر والنبأ عند محمد شحرور

يسترسل السيد شحرور في سرده الذي يسعى من ورائه إلى تبيان طبيعة الفرق بين الخبر والنبأ، ليخلص إلى توضيح الفرق بين التأويل والتفسير. لكن هذا الجهد المبذول سرعان ما يتوقف عند مجرد العرض السطحي والذي بالكاد يلامس عموم المعنى. فالخبر عنده مشروط بأمرين اثنين:

الحضورية أولا، أي يستلزم على المخبر أن يشهد ما يخبر عنه مثل المراسل الصحفي الذي ينقل الأخبار مباشرة. الشرط الثاني هو احتماله الصدق أو الكذب لأن المخبر قد يكون صادقا أو كاذبا فيما ينقله من أخبار[24].

ولا شك أن هذين الشرطين يرتبطان بالدلالة البلاغية للفظ الخبر. وقد ورد لفظ الخبر في القرآن الكريم أربع مرات، مرتين في سورة الكهف على لسان العبد الصالح في حواره مع موسى عليه السلام، ومرة في سورة النمل ورابعة في سورة القصص وكلاهما على لسان موسى في حديثه لأهله. فإذا كان المعنى الذي تشير إليه اللفظة يقتضي كما قال: الحضورية، واحتمالية صدقه أو كذبه، فإن ما غاب عن السيد شحرور هو أن هذه المعاينة أو الحضورية كما قال، ليست هي التي تعطي للخبر صدقه أو كذبه، إنما الذي يؤدي تلك الوظيفة هو مطابقة الحدث المخبر به للواقع ومنه يأتي الحكم بالصدق أو الكذب على الحدث لا على المخبر به، وقد أشار الرازي إلى هذا بقوله في تعريف حد الخبر: (بأنه المحتمل للصدق والكذب المحدودين بالخبر)[25] ولم يربط الرازي ولا غيره من البلاغيين بين المخبر بالخبر وبين الصدق والكذب.

إن الخبر باعتباره إبلاغ عن حدث تم بالفعل أم لم يتم، هو نقل خبرة عَلِمَهَا ناقلُ الخبر بالسمع أو بالبصر أو غيرهما من وسائط الاطلاع على الحدث ثم نقلها لغيره على سبيل الإبلاغ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[26] وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[27]، وهذه أخبار ترتبط بحدث حدث بالفعل، ولو أن هذا الخبر متعلق بالعلم الإلهي الذي هو من الصفات الذاتية، وسماع القول خبرة علمها الله بعلمه القديم وعلمها بسمعه عند حدوثها، إذ لا فرق بين علمه وسمعه أو بصره عند أغلب الفرق الكلامية، وقد أوضح الشهرستاني رأي أبي الحسن الأشعري في صفة العلم فقال: (لا يتجدد لله تعالى حكم ولا يتعاقب عليه حال ولا تتجدد له صفة. بل هو تعالى متصف بعلم واحد قديم متعلق بما لم يزل ولا يزال وهو محيط بجميع المعلومات على تفاصيلها من غير تجدد وجه العلم أو تجدد تعلق أو تجدد حال له لقدمه. والقدم لا يتغير ولا يتجدد له حال)[28]. وقد قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[29]، والعلم في الآية لا ينفصل عن قوله: "ونبلو أخباركم" إذ علمه بأخبارهم لم يحدث له تعالى عند وقوع الحدث، وإنما له بهذه الأخبار علم قديم قبل حدوثها فهو تعالى منزه عن الحوادث. قال الرازى فى تفسير هذه الآية: (أَيْ لَنَأْمُرَنَّكُمْ بِمَا لَا يَكُونُ مُتَعَيِّنًا لِلْوُقُوعِ، بَلْ بِمَا يَحْتَمِلُ الْوُقُوعَ وَيَحْتَمِلُ عَدَمَ الْوُقُوعِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُخْتَبِرُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ أَيْ نَعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ غَيْرِ الْمُجَاهِدِينَ وَيَدْخُلُ فِي عِلْمِ الشَّهَادَةِ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ عَلِمَهُ عِلْمَ الْغَيْبِ)[30]. فالخبر إنما ذكر هنا ليس بدلالة المعاينة والحضور الحسي الآني، إنما هو من المعلوم علما غيبيا لله تعالى، خرج عن الحضورية التي اشترطها السيد شحرور. والحضورية في هذا الخبر تقتضي الانتقال، من كون الحدث غيبا في العلم الإلهي الذي ليس بمتحيز ولا يحده زمن، إلى الوجود المتعين في عالم الشهادة، وهذا الأخير يقتضي من جهته التحيز في المكان والزمان، غير أن علم الله به ليس علما منقسما ولا متعددا إذ حضوره بعلمه تعالى، وليس بذاته وإلا اقتضى الحضور هنا الحلول في المكان والزمان وهو تعالى منزه عن ذلك، وحضوره بعلمه الذي (هو علم غير مستفاد مما عليه المعلومات فيما اقتضته من نفسها بحسب حقائقها، غير أنها اقتضت في نفسها ما علمه سبحانه منها)[31]. وهذا ما عليه جمهور الأشاعرة والماتريدية[32].

إن العلم الإلهي يسبق إرادة الإيجاد وفعل الإيجاد سبقا اعتباريا لا زمنيا، إذ إرادة الإيجاد كما يعرفها عبد الكريم الجيلي إنما: «هي صفة تجلي علم الحق على حسب المقتضى الذاتي فذلك المقتضى هو الإرادة وهي تخصيص الحق تعالى لمعلوماته بالوجود على حسب ما اقتضاه العلم»[33] ولذا نجد الإشارة إلى هذا السبق في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَولُنَا لِشَيءٍ إِذَآ أَرَدنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[34]. وخطاب الأمر في قوله تعالى: "أن نقول له كن" وهو عدم لم يوجد بعد، إنما المراد به خطاب الموجودات وهي في العلم الإلهي متعينة باعتبارها معلومات له. وهذا هو المعتقد الذي عليه جمهور أهل السنة أشاعرة كانوا أو ماتريدية، وقد قال الأشعري في اللمع: (إن معنى العلم عندي أن له علما، ومن لم يعلم لزيد علما لم يعلمه عالما)[35]، بل وحتى ما صح عند المحققين من فلاسفة المتصوفة كابن عربي والجيلي، وعند هؤلاء: العلم الإلهي يتعالى عن معايير وأبعاد الأزمنة، وما الماضي والحاضر والأمر في الخطاب الإلهي إلا باعتبار تجليات الأفعال المرتبطة بالخلق والإيجاد والمصير، وقد ذكر هذا جمهور الأشاعرة كالإمام الجويني في العقيدة النظامية إذ قال: (فالمعاني التي سيوردها عند جريان الجواز يجدها بأعيانها قائمة في نفسه، ثم إذا حان الوقت أداها فأنهاها)[36]. وهذا ما سنناقشه في معرض الرد على كتاب السيد شحرور والموسوم: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، الذي سنفرد له مقالا مستقلا.

أما في معرض كلامه عن الفرق بين الخبر والنبأ، فإن السيد محمد شحرور يستدل بالآية الثالثة من سورة التحريم ليثبت بها مغايرة النبأ للخبر، لكنه أغفل أواخر الآية التي تشير إلى الخبرة الإلهية بالحدث في قوله تعالى: "نبأني العليم الخبير" وهي العبارة التي تعزز ما ذهب إليه هو نفسه من اقتضاء الخبر للحضورية لكنها حضورية علم لا حضورية معاينة حسية، كما أن الارتباط في آخر الآية بين العلم والخبرة (بالسمع أو بالبصر) هو ما ذهب إليه أغلب علماء الكلام من الأشاعرة، وهو ما عبر عنه الإمام السنوسي بقوله في أم البراهين: (السمع والبصر المتعلقان بجميع الموجودات) ولا شك أن ما تعلق به سمعه وبصره قد تعلق به علمه القديم، لأن هذه الثلاث: أوصاف ذاتية، أي صفات قديمة قائمة بذاته تعالى، وهذه من دقائق المسائل الكلامية، والتي سنتعرض لها بالتفصيل في معرض الرد على تاريخية النصوص الدينية في نقدنا للقراءات الحداثية للنص الديني لاحقا. غير أن محل الشاهد من هذا الكلام، هو لفت النظر إلى تهافت الفكرة التي عرضها السيد شحرور والتي مفادها ارتباط الخبر بالصدق أو الكذب وارتباط النبأ

بالحقيقة والوهم، إذ يمضي بإسهابه ليقر أن هذا الأخير يرتبط بغياب الحضورية على عكس الخبر[37].

وإذا تبين أن الخبر غير النبأ، تماشيا مع الفكرة التي جعلها من مسلمات اجتهاداته وهي الفكرة القائلة بنفي الترادف في اللغة، فإن هذا لا ينفي وجود تضمن دلالي يفهم من دلالة الكل على الجزء كما يسميه البلاغيون، وحتى اعتبرنا الخبر مقصورا على اقتضاء الحضورية، إذ يعد الحضور الحسي فيه أمرا أساسيا في نقل المعلومة بحسب ما يقتضيه العلم البشري، والذي لا يعد من مقتضيات العلم الإلهي، فإن النبأ من جهته لا ينفي اقتضاء التعلق الحسي في نقل المعلومة أيضا، وعلى هذا قد يتضمن النبأ خبرا أو أخبارا، كقوله تعالى في سورة التوبة من الآية ٩٤: (قد نبأنا الله من أخباركم)، ما يعني أن النبأ باعتباره معنى كليا يتضمن الخبر باعتباره معنى جزئيا، وبغض النظر عن الدلالة البلاغية التي يحملها الخبر والنبأ معا، فإن ربط النبأ بالحقيقة والوهم ينطوي على تناقض أو على الأقل، لُبْسٍ غير مبررٍ من ناحية منهجية ومن ناحية معرفية أيضا. ولأن الحقيقة لا تقابل الوهم، بحال من الأحوال، إذ الحقيقة لو كانت كما فهمها السيد محمد شحرور، اقتضاء حسي مادي ولا يمكن ربطها إلا بالعالم الموضوعي، فإن الوهم بهذا المقتضى يصبح اقتضاء لا ماديا ولا حسيا، فيدخل تحت هذا الاقتضاء كل ما هو ميتافيزيقي غيبي، وربما يدخل تحت هذا الاقتضاء كل ما هو نفسي شعوري، وربما حتى ما هو عقلاني خالص.

كما يقرن بين التشريع والإخبار ليجعل ما يسميه "الرسالة" آيات محكمات في حين أن المتشابه منها فيرتبط بالإنباء ويقتضي التأويل. «وهذا ما يجعل فهم الآيات المتشابهات ليس سهلا لأنها تحمل أنباء أي حقائق موضوعية تحتاج إلى ممارسة التأويل لفهمها»[38]. وهنا نجد مرة أخرى شيئا من اللبس غير المبرر، إذ كيف يكون التشريع إخبارا يتضمنه المحكم من الآيات، وقد سبق وقال بأن الخبر هو ما يقتضى الصدق والكذب؟ فلو أخذنا آية من آيات التشريع كقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَومِ ٱلجُمُعَةِ فَٱسعَواْ إِلَىٰ ذِكرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلبَيعَ ذَٰلِكُم خَيرٌ لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾[39]. هل يعد هذا التشريع خبرا يوصف بالصدق أو الكذب؟ مع العلم أن كل التشريعات هي أوامر بالفعل أو الترك، ومن المعلوم أن بديهيات البلاغة تعتبر الأمر من الأساليب الإنشائية لا الخبرية وهي التي لا يمكن أن يحكم عليها بالصدق أو الكذب.

وإذا كانت النبوة كما قال، تشتمل على بيان حقيقة الوجود الموضوعي، وتفرق بين الحق والباطل، أي الحقيقة والوهم[40]، وكان النبأ الذي هو غير الخبر ويشترط فيه غياب

الحضورية[41]، فكيف نفهم قول الله تعالى في سورة التحريم: ﴿وَإِذ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعضِ أَزوَٰجِهِۦ حَدِيثا فَلَمَّا نَبَّأَت بِهِۦ وَأَظهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيهِ عَرَّفَ بَعضَهُۥ وَأَعرَضَ عَن بَعضٖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَت مَن أَنبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلعَلِيمُ ٱلخَبِيرُ﴾[42]، إن حضور السيدة حفصة واضح جلي ساعة أسرَّ لها النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث، لكنها "نبأت به" أي بما سمعت من النبي فحدثت السيدة عائشة به، ولو كان النبأ يشترط فيه غياب الحضورية لما استقام المعنى. إن اشتراط مثل هذا الشرط لم يزد التمييز بين الخبر والنبأ إلا غموضا. كما أن النبأ الذي تلقاه النبي من العليم الخبير لا يتعلق بوجود موضوعي، وهو الوجود الذي ربطه السيد محمد شحرور بالوجود الكوني، إنما كان نبأ حدث ذاتي ورغم ذلك فهذا الحدث الذاتي ليس من القضايا التشريعية التي تتعلق بالسلوك، فأين يمكننا تصنيف هذا الحديث؟

السيد شحرور يرى بأن القرآن هو الجزء الموضوعي من الكتاب(المصحف) وهو ما يعتبر آياته من المتشابهات، والذي يضم أيضا كتاب السبع المثاني، وهو ما بمقتضاه أصبح محمد صلى الله عليه وسلم نبيا. في مقابل كتاب المحكم الذي يعتبر آياته محكمات، وهو الجزء الذاتي من الكتاب(المصحف) المتعلق بتنظيم قواعد السلوك الإنساني، والتي بمقتضاها أصبح محمد صلى الله عليه وسلم رسولا. أما القسم الثالث من الكتاب فهو ما يسميه: تفصيل الكتاب. وما يهمنا في هذا العرض الموجز من هذه التقسيمات، هو ما يتعلق بالنصوص التي قصر تسمية القرآن عليها. ولو سلمنا معه في هذا التقسيم فإن ما ينبغي أن نشير إلى ما فيه من مغالطة هو ما تعلق بتعريفه للقرآن فهو في رأيه: (موضوعي لأنه يفرق بين الحق والباطل (الحقيقة الموضوعية والوهم))... فالقرآن حقيقة موضوعية مطلقة في وجودها خارج الوعي الإنساني. وفهم هذه الحقيقة لا يخضع إلا لقواعد البحث العلمي الموضوعي، وعلى رأسها الفلسفة وكل العلوم الموضوعية من كوسمولوجيا وفيزياء وكيمياء وأصل الأنواع وأصل الكون والبيولوجيا وسائر العلوم الطبيعية)[43]. فإذا كان القرآن حقيقة موضوعية والمقصود بها هنا، كل ما هو خارج الوعي الذاتي. فكيف نقصر فهمها على فقط على قواعد البحث العلمي التجريبي؟ بل كيف يمكن للبحث التجريبي الحسي البحث في قضايا هي من صميم موضوعات البحث العقلي المجرد أو الميتافيزيقي؟ فكيف مثلا لأصل الأنواع أو البيولوجيا أن تبحث في حقيقة الملائكة أو الجن؟ وعن أي فلسفة يمكننا أن نتكلم إذا كان الوجود الموضوعي المعرف في نص السيد محمد شحرور، لا يرتبط إلا بالحقيقة الواقعية المادية الحسية؟

هذا التعليل للتمييز بين ما يؤول وما لا يؤول، وبين الحقائق الذاتية والموضوعية، من زاوية الإقناع اللفظي يحمل في طياته ضبابية لم يحسن التعبير عنها رغم السيل الهائل من الاستشهادات والتبريرات التي قدمها، إن لم نقل إن هذا التعليل يشتمل على مغالطات منطقية أقل ما يمكن أن توصف به، أنها واضحة في ذهن صاحبها فقط، غامضة في صيغ التعبير عنها وركام الشروحات والتفسيرات التي قدمها لتوضيح فكرة الاختلاف بين الخبر والنبأ والربط بينهما وبين المحكم والمتشابه وبين تقسيمه لنصوص الكتاب(المصحف).

وإذا كان النبأ الذي يربطه بما جاء من آيات متشابهات هي التي تحتاج إلى تأويل، وإذا صح أن المتشابه يقتضي التأويل بغرض فهمه وفقهه، فإن ما لا يصح في عبارة السيد محمد شحرور، هو حصر النبأ في ما أسماه بالحقائق الموضوعية. إن هذه الحقائق التي يشير إليها والتي تخبر عنها الآيات المتشابهات التي يجعلها وفق تعبيره مرتبطة بالإنباء، هي الحقائق الكونية أي تلك المتعلقة بما هو خارج الوعي الذاتي، وما هو خارج الوعي الذاتي بالمنظور المادي هو الطبيعة بقوانينها التي تنتظم وفقها. أما بالمنظور الفلسفي، فما هو خارج الوعي أعم وأشمل، بل حتى القوانين التي تنتظم الطبيعة وفقها، إنما هي امتداد لما ينتظم في الذهن من أفكار، وهي بدورها تستند في وجودها وانتظامها إلى البعد الماورائي، لأن قوانين الطبيعة نفسها لا تأخذ انتظامها وشرعيتها إلا إذا كان لها سند ميتافيزيقي، لأن الميتافيزيقا تعد مجالا للثابت الذي يستند إليه كل ما هو طبيعي وخاضع لمبدأ التطور[44]، في رأي روني غينون.

إن الوجود الميتافيزيقي: وجود موضوعي، باعتبار إمكانية قيام وجود خارج الوعي والمعرفة بقضاياها هي المعرفة العقلية الخالصة والمفارقة. ومادام العلم الطبيعي ليس سوى معرفة عقلية Rationnelle، فإن الميتافيزيقا تعتبر بالأساس، معرفة فوق عقلية Supra-rationnelle، وإذا كانت خاصية العلم استدلالية من حيث كونها عقلية، واستقرائية من حيث كونها تجريبية، فإن خاصية الميتافيزيقا حدسية خالصة. (إن العلم معرفة عقلية استدلالية، وغير مباشرة على الدوام، إنه معرفة انعكاسية؛ بينما الميتافيزيقا معرفة فوق عقلية، تمتاز بكونها حدسية وسريعة[٤٥]). ولذا فإنه بدون هذا الحدس العقلي الخالص لا يمكننا الكلام عن وجود ميتافيزيقا حقيقية. وإذا كان هناك نوعان من الحدس: عقلي وحسي؛ فإن الأول أعلى درجة من درجات العقل، بينما الآخر هو في الترتيب الأدنى من العقل، وهذا الأخير (لا يمكنه أن يستوعب غير عالم التغير والتطور، بمعنى (أنه ينحصر) في الطبيعة، أو بالأحرى، في جزء يسير من الطبيعة، أما ميدان الحدس العقلي،

فهو على النقيض من ذلك، ميدان المبادئ الأزلية والثابتة، ميدان الميتافيزيقا»[٤٦]. وعليه لا يمكننا الإقرار مع السيد محمد شحرور بأن الحقائق الموضوعية هي المشار إليها بالأنباء، وهي التي تشير إلى الحقائق الكونية، إذ هذه الأخيرة كما قلنا هي حقائق حسية وهي ليست كل الحقائق، إنما هي جزء مما نصطلح عليه باسم الحقيقة الكلية، وإلا فنحن هنا نبني استنتاجاتنا على أساس النظريات المادية في المعرفة، وهي ليست كل المعرفة.

جزئية أخرى ينبغي أن نوضحها قبل الخوض في مفهوم التأويل ومجالاته، وهو ربط الأنباء بالحقيقة والوهم. لو سلمنا فرضا مع السيد محمد شحرور بأن الحقيقة إنما تشير إلى الحقائق الكونية في ثوبها المادي الحسي، فهذا يعني أن كل ما هو خلاف الحقائق الكونية هو مجرد وهم لا وجود له، وبالتالي نكون قد نفينا وجود كل النصوص الدينية باعتبار مصدرها وكيفية تنزلها وكل ما تعلق منها بما لا علاقة له بالصبغة المادية الحسية. إن قصر الحقيقة في البعد الكوني المادي نفي للبعد الروحي أو المجرد للحقيقة، وشرط معرفتها بتطور العلوم التجريبية يقتضي اعتبار الحقيقة المطلقة التي قال بأن القرآن يمثلها مجرد وهم لا وجود له، ولما كان الله هو الواحد المطلق، فما الداعي لمناقشة كلامه وتفسير محكمه أو تأويل متشابهه؟

٤. مفهوم التأويل ومجال ممارسته:

أ. تحديد موضوع التأويل:

كل معرفة قيد التأسيس تقتضي ثلاث محاور أساسية، الموضوع الذي تبنى المعرفة حوله، والمنهجُ المستندُ إليه في دراسة هذا الموضوع لغرض فهم قضاياه وتشابكاتها، وثالث الأثافي ينصب على طبيعة النتائج التي تم التوصل إليها عبر مطابقة المناهج واستخداماتها بالموضوعات وتشعباتها، فإذا تم للباحث الإلمام بالثلاث ومراعاة الانسجام بينها، أمكن له حينها الادعاء بأنه ساهم في وضع قانون بمقتضاه يتم التحكم في عملية فهم الموضوع المدروس وتحديد جزئياته.

ولكن السيد محمد شحرور يقفز إلى القانون مختصرا كل الطريق إلى بناء معرفة علمية بالنص الديني الذي يريد تأويله، ولغرض تأسيس مفهوم مبتكر لهذا التأويل، يفترض السيد تأويل الآيات المتشابهات لاستنتاج قانون ينطبق مع العقل والحقيقة، بمعنى أنه يعكس العملية المعرفية والتي منطقيا تبدأ من المقدمات للوصول إلى النتائج،

بانتقاله من النتيجة إلى بناء مقدمات لها، وهنا يأتي بمسلمتين يعتبرهما قاعدتين أساسيتين في هذه العملية:

- أن الوحي لا يناقض العقل Revelation does not contradict with reason
- أن الوحي لا يناقض الحقيقة Revelation does not contradict with reality

ويبدو أن منطلق هذا التأسيس يعكس طبيعة القلق الإبستيمولوجي، في ما يريد أن يبني عليه قانونه الخاص بالتأويل. إذ كان الأحرى ليكون مسار المنهجية التي يشير إليها سليمة من الوجهة الإبستيمولوجية، هو بناء قانون للتأويل أولا، وهذا وفق فرضيات أو مسلمات يؤسسها، إما على أساس الوحي أو على أساس العقل، ليتم وفق هذا المقتضى، تأويل الآيات المتشابهات، وليس العكس. فعلى أي أساس نلجأ إلى هذا التأويل ـ للمتشابهات ـ ونحن لم نصل بعد إلى استنتاج القانون الذي بمقتضاه يكون التأويل الذي يصفه بأنه ينطبق مع العقل والحقيقة؟

إن الكلام في هذه المرحلة الأولى من تأسيس المعرفة، عن بناء قانون للتأويل يقوم على أساس قواعد لا يستقيم إلا وفقها، كلام ينطوي على تناقض منهجي فاضح، لأن القانون هو الصياغة النظرية لجملة من القواعد، ينبغي أن تستند في بنائها إلى فرضيات أو مسلمات تتخذ منطلقا في البرهنة على غيرها داخل نسق مفاهيمي متجانس. على أن تبنى هذه الفرضيات أو المسلمات من داخل النسق ذاته، وإلا تفقد كل مشروعيتها في إقامة القانون، الذي يعد آخر مرحلة يتم بمقتضاها فهم النص. وإذا كانت الفرضية في العلم التجريبي تتبع الملاحظة الحسية، فهي في العلوم المجردة كالرياضيات مثلا، تتبع التأمل العقلي، وإذا كان للفرضية في العلم التجريبي شروطا أقلها: أن تكون قابلة للتجريب، فإن لها في العلم المجرد شروطا كذلك، أدناها ألا تنطوي على تناقض في ذاتها وداخل النسق الذي تنتمي إليه. لكننا حين نستعرض قاعدتي التأويل عند السيد شحرور نجد أنفسنا في حيرة من الأمر: أين يمكننا تصنيف هتين القاعدتين؟

ب. النص الديني ليس وقائع حسية تجريبية

بالطبع، لأننا لسنا أمام بناء معرفة علمية حسية تجريبية، وإذن لا يمكننا اعتبار هاتين القاعدتين من الفرضيات العلمية التجريبية بحال من الأحوال. وحتى لو اعتبرناها كذلك تجوزا، فإن موضوع هذه المعرفة ليس وقائع تجريبية، ولا هي بالقابلة للتجريب عليها، إذ نحن هنا، أمام نصوص كتابات مقدسة، نصوص لا علاقة لها بالواقع المحسوس بتاتا، إنها نصوص لا تتجلى بذاتها في العالم الخارجي، إنما تأخذ تموضعها داخل اللغة،

بل لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون لها وجود أو يتضح لها معنى إلا ضمن اللغة التي تنزلت بها والتي دونت بها.

إن نصوص الكتابات الدينية، ينبغي أن تعالج من زاويتين: زاوية فلسفية، يتم من خلالها تناول هذه النصوص من حيث كونها بناء لغويا متجانسا. وعندما ننطلق من هذه المسلمة، ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا كونها لغة مقدسة. ثم إنها ليست مجرد حروف وألفاظ، بل هي تحمل دلالات ومعان، لا تتضح إلا من خلال عملية استجلاء معرفي، تحدده بنية الثقافة التي تتداوله. فالمعاني الكامنة خلف ثوب اللغة ـ سواء في صورتها المباشرة أو الرمزية ـ تتجدد باستمرار بحسب سقف المعرفة القائم في زمن ما وهو لب ما كان يراه السيد شحرور أيضا. غير أن هذه النصوص التي يراد استجلاء معانيها، ليست مجرد نصوص تخاطب المؤمنين بها، إنما هي نصوص مقدسة، قداستها تنبع من مصدر تلقيها. وهنا يتضح البعد الفلسفي أكثر، ويأخذ عمقا يتجاوز البعد اللغوي، إنه البعد الميتافيزيقي الذي لا يكاد بناء معرفي أن يتجاوزه أو يستغني عنه.

وإذا كان هذا البعد الذي يتخذه المعنى هو في جوهره المعنى الميتافيزيقي الذي تتعلق به معطيات متعددة لعبارة ما، فإن إهمالنا لهذا المعنى الخفي أو تجاهلنا له، يجعل من بقية المعاني عبارات يتعذر فهمها جزئيا، لأن ذلك المعنى الميتافيزيقي يعتبر بمثابة المبدأ الأول الذي تقوم عليه البقية، ووجوده يضفي عليها سمة التقارب ويركب تعدديتها أو تنوعها في وحدة وتكامل. ويعتقد روني غينون، أن الميل إلى التفسير الظاهري لعبارات لغة ما، يرجع إلى الجهل بطبيعة المعنى الميتافيزيقي الكامن خلف النص والذي لا ينبغي إسقاطه من عملية فهم النصوص ذات الطابع الرمزي وخاصة نصوص الكتابات الدينية، ذلك لأن الميتافيزيقا تمتاز بالكلية والشمولية، وأن الغموض أو الأسرار التي يبدو أن نصوص الكتابات الدينية تنطوي عليها، لا يمكن التعبير عنها إلا بصيغة ملغزة تتخذ من الرمزية وسيلتها في التعبير، وهو الذي يتخذه الظاهريون دوما ذريعة لرفض فكرة خفاء المعنى في اللغة. وعليه فإن رفض فكرة المجاز اللغوي الذي تبنى عليه كل العمليات التأويلية للنصوص المتشابهات في القرآن الكريم، تجعلنا نبتعد عن الروح الكامنة وراء النص الديني.

إن الجهل بالمعنى الميتافيزيقي الكامن وراء النص المعلن، غالبا ما يتخذ ذريعة لرمي الذين يقومون بإفشائه في غير مواضعه بالكفر والزندقة، لأن هذه المعاني التي تعبر عن حقائق عليا، يتعذر فهمها من الذين لا يمتلكون المهارات العقلية العليا من العامة، لذا فهي تحدث ضربا من الفوضى العقائدية والاجتماعية بينهم. وقد كان حظرُ مثل هذه

التأويلات وتحريمها من قبيل إلجام العوام عن علم الكلام، على حد تعبير الغزالي، ميزة التفكير في العصور الوسطى. ويقابل روني غينون هذا بما حدث مع الحسين بن منصور الحلاج في بغداد. فالعبارة التي تحمل أوجها من المعنى تبدو متناقضة في ذهن من يجهل بعدها الميتافيزيقي. بل إن الكثير من الحالات التي كانت ترفض فيها المعاني الخفية وراء ظاهر العبارات اللفظية، ويتهم القائلون بها بالكفر والزندقة، إنما كان بدافع سياسي كما حدث مع السهروردي المقتول، الذي كانت ميوله السياسية توحي بموالاته لآل البيت، وكما حدث في فرنسا مع تنظيم فرسان الهيكل l'Ordre du Temple الذي انتهى وجوده بحرق كل المنتمين إليه، بأمر من البابا كليمنت الخامس Clément V الذي حكم عليهم بالخروج عن تعاليم الكنيسة واتهمهم بالهرطقة، وكان ذلك بإيعاز من الملك فيليب لوبيل Philippe le Bel سنة ١٣١٢.[47]

إن المعنى الميتافيزيقي الكامن وراء النصوص هو في حقيقته المعنى المشكل لطبيعة النصوص المقدسة، هذه النصوص التي لا يمكن الغوص فيها واستجلاء معانيها، مع إهمال هذا البعد، أو هذا المعنى الخفي وراء العبارات المكونة للنصوص[48]. هذا البعد الميتافيزيقي هو الذي نجد بول ريكور فيما بعد يقيم على أساسه "هرمينوطيقا فلسفية" تبدأ من الامتداد الميتافيزيقي للغة. فاللغة كما يرى: هي القوة الرئيسية التي نمتلكها لإثبات الوجود، وإثبات طبيعة علاقتنا بهذا الوجود. إذ (كان أفلاطون يعتبر الماهية الحقيقية، والوجود الحقيقي يبدي نفسه في اللغة، واللغة قادرة على التوصيل بالكلمات الموجودة[49]).

كما تنبغي الإشارة إلى أن ما يجب عدم إهماله في تناول النصوص المقدسة، هو البعد البيولوجي لهذه النصوص، إننا حين نتكلم عن نص مقدس، نتكلم عن المعنى الكامن خلف اللغة، لكن اللغة التي نتكلم عنها هنا هي اللغة المقدسة، اللغة المنسوبة إلى المطلق الذي تكلم بها، إنها الكلام الذي يعد صفة ذاتية من صفات الإله. وهنا تظهر إشكالية بيولوجية، كانت طيلة التاريخ الفكري في الإسلام محور تفصل الصراع الإيديولوجي السياسي مع الصراع العقائدي الديني الخالص والمرتبط بأحد أعقد المسائل الكلامية ألى وهي طبيعة العلاقة بين الذات والصفات من مبحث الألوهية والجهل بهذه الأبجديات الكلامية يجعل المتكلم في القضية كحاطب الليل لا يكاد يميز بين ما هو جوهر يتسم بطابع الإطلاق وما هو عرض يتسم بسمة النسبية، والقابلية للإضافة، وهي القضية التي امتد أثرها من الدراسات الكلامية في الفكر الإسلامي، لينسحب على الدراسات البيولوجية في الديانات السماوية كما هو الحال مع موسى بن

ميمون وسعديا الفيومي في الدراسات اللاهوتية اليهودية، بل وحتى عند اسبينوزا في العصر الحديث، أو مع اللاهوتيين النصارى، أمثال توما الأكويني إلى غاية غوتفريد ليبنيتز في العصر الحديث.

إن موضوع التأويل إذن، هو النصوص المقدسة وتحديدا المتشابهات منها، ومادامت كذلك فهي ليست بالنصوص التي تتناول قضايا حسية تجريبية لوجود البعد الميتافيزيقي الذي يحدد جوهرها وهويتها.

ت. طبيعة الآيات موضوع التأويل

إن ما استدل به السيد شحرور من الآيات التي رأى بأن العلم الحديث أتى بتأويلها، خطأ منهجي، فهذه الآيات التي عدها من المتشابهات، إنما هي من المحكمات التي جاء العلم الحديث بتفسيرها، أو لنقل بلغة العلم التجريبي أنه أقام بالتجريب حجة صدقها. فهي لم تكن أنباء ولا تنبؤات كما لم تكن نبوءات، تخضع لمعيار الحقيقة والوهم إنما هي أخبار تخضع لمعيار الصدق والكذب، والتجربة العملية الحسية هي محك ذلك المعيار.

إن كفار قريش لم يكذبوا النبي في أمور الخلق والإيجاد ولم يكذبوه في أخبار الوجود المادي أو تشكلات الطبيعة ومظاهرها، ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[50]، لقد كان تكذيبهم له في نبوءات الغيب المرتبطة في الآيات بأخبار الوجود الحسي، كالموت والبعث والنشور وهي من قضايا المعاد، كما كان تكذيبهم له في قضايا الألوهية والنبوة، لارتباطها بنقض عقائدهم التي لم تستطع الفكاك من إسار الحس والفكاك من عالم المادة، وهي القضايا التي تناولها علماء الكلام بالبحث وفق المنهج الجدلي كما تناولها الفلاسفة المسلمون وفق المنهج العقلي الاستدلالي، وهي مناهج تحتاج منا اليوم إلى إمعان النظر فيها بشكل يتطابق مع السقف المعرفي لعصرنا كما يقول السيد شحرور.

إن هذه الآيات التي تكلمت عن خلق الإنسان، لم تكن مجرد فرضيات علمية، إنما كانت قواعد لقوانين علمية ثابتة، أهملنا فهمها على مدى القرون، إلى أن جاء غيرنا بإثبات صدقها وفق المعيار العملي، لكنها ليست كما اعتبرها السيد شحرور من القضايا التي تخضع لمعيار الحقيقة والوهم. كما أن هذه الآيات من الناحية المنهجية، تخرج من إطار التأويل لأنها ليست من المتشابهات، إذ يعد من قبيل المغالطات اعتبار تفسيرها

فهما يصل إليه (من يؤول القرآن ويستنتج منه النظريات العلمية والتاريخية ويطبقها لأنها أساس التقدم العلمي والتكنولوجي)[51].

إن الخطأ المنهجي الذي يصر السيد شحرور على إثباته يكمن في اعتبار حقائق الوجود المادي ترجمة للمعاني الكامنة خلف لغة النص، غير أن هذه المعاني ليست بالضرورة خفية إلى درجة اللجوء معها إلى التأويل. إذ التأويل لا يكون إلا في النصوص التي تتعدد المعاني الكامنة خلفها، فيتعدد بمقتضى ذلك فهمها. وأما " إرجاع نص التنزيل الحكيم الذي جاء بصيغة لغوية إلى الحقيقة الموضوعية التي يحملها، أو بمعنى آخر هو الوصول عن طريق الصيغة اللغوية للنص إلى المعرفة العلمية التي جاء ليوضحها" فهذا من زاوية إبستيمولوجية يمكننا اعتباره مغالطة منهجية، فما يسميه حقائق موضوعية، ينبغي أن يكون محل إجماع، وإلا فما قيمة القانون العلمي الذي يعتبر أهم خطوة من خطوات المنهج التجريبي، والقانون العلمي إذا لم يتسم بالشمولية والقابلية للتعميم، فكيف يمكن وصفه بالموضوعية؟ والذي لا يكاد يفهم من كلامه، هو كيف تصاغ معرفة علمية ننتقل فيها من النص إلى الحقيقة الموضوعية، والاستقراء السليم يتم على العكس من ذلك، بالانتقال من العالم الخارجي الحسي إلى البناء اللغوي المجرد، والبديهي في المعرفة العلمية كونها انتقال من المحسوس إلى المجرد.

وإذا كان السيد شحرور يقر أن القرآن حقيقة مطلقة، وأن تأويله الكامل لا يكون إلا من قبل واحد فقط، وهذا الواحد هو الله المطلق، فإننا نجده يتناقض بعد هذا الإقرار حين يرى إمكانية تحويل الآيات القرآنية إلى بصائر حية كما يسميها، ومطابقتها بالحقيقة الموضوعية بواسطة التأويل الحسي، واستنتاج النظريات الفلسفية والعلمية باستخدام التأويل الذي يقترحه. وهذه الإمكانية التي يتيحها التأويل المقترح للمؤولين الذين يستخدمون منهجه، تصبح استحالة في حق النبي صلى الله عليه وسلم، إذ ينفي التأويل الكامل لنصوص القرآن عنه بقوله: «إن النبي (ص) لا يعلم التأويل الكامل للقرآن بكل تفاصيله لأنه يصبح شريكا لله في مطلق المعرفة»[52]. فهل بعد استخدام منهجه يمكن للمؤولين مشاركة المطلق مطلقية علمه؟ بل كيف يمكننا بالأصل اعتبار ما جاء في نصوص القرآن هو مطلق العلم الإلهي، وليس مجرد ما تعلق بإمكانية فقهه وإدراكه للبشر؟ وإذا كان الله تعالى قد أشار فى قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾[53]، فإن تفسير قوله تعالى: (ما فرطنا فى الكتاب من شىء)، كما ورد فى تفسير الرازى: (أن قوله (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يجب أن يكون مخصوصا ببيان الأشياء التي يجب

معرفتها، والإحاطة بها وبيانه من وجهين: الأول: أن لفظ التفريط لا يستعمل نفيا وإثباتا إلا فيما يجب أن يبين لأن أحدا لا ينسب إلى التفريط والتقصير فى ألا يفعل ما لا حاجة إليه، وإنما يذكر هذا اللفظ فيما إذا قصر فيما يحتاج إليه. الثانى: أن جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام على أن المقصود من إنزال هذا الكتاب بيان الدين ومعرفة الله ومعرفة أحكام الله، وإذا كان هذا التقييد معلوما من كل القرآن كان المطلق ههنا محمولا على ذلك المقيد[54]». وهذا ما ذهب إليه جمهور من المفسرين أمثال ابن عطية في المحرر الوجيز، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن.

وعلى هذا يكون من قبيل المغالطات المعرفية، حصر العلم الإلهي المطلق في نصوص القرآن، كما أنه من غير المنطقي نفي إمكانية معرفة النبي بتأويل نصوص القرآن بحجة تنزيه الله عن الشريك في علمه المطلق. بل أليس من الغموض الذي لا يمكن فهمه، الادعاء بإمكانية الفهم الموضوعي وفق قانون التأويل الذي يقترحه، والذي يفضي في آخر المطاف إلى الوصول إلى التأويل النهائي بتحويل النبأ إلى خبر تتحدث به الناس وتعيشه ليصبح تأويله نهائيا[55]،كما يقول فيعلم الأواخر تأويل القرآن بعلمهم الموضوعي، في حين قد استحالت هذه المعرفة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذي عليه أنزل ليبلغ ويبين، فقال فيه الحق تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغ مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهدِي ٱلقَومَ ٱلكَٰفِرِينَ﴾[56]، وقال فيه أيضا: ﴿ وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ ٱلذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾[57].

وعليه جاء مثل هذا اللبس في عبارات السيد شحرور، الذي نتج عن الخلط المعرفي في استخدام المفاهيم والمصطلحات التي اعتمدها لإثبات وجهة نظره، فكلامه عن الحقيقة الموضوعية يحيلنا مباشرة إلى التفسير المادي للوجود، الذي بمقتضاه: يعتبر مادة، كل ما هو خارج الوعي الإنساني. هذه النظرة المادية أوحت إليه بأن المتشابهات من آيات النص الديني هي التي تحمل حقائق موضوعية. وإذا كان الأمر كما قال، فأين يمكننا أن نضع الآيات التي تكلمت عن الألوهية والنبوة والمعاد؟

وفق هذا الطرح، إما أن تكون هذه الآيات من المتشابهات التي تحيل بالضرورة إلى "حقائق موضوعية "، يمكن أن تستنتج منها النظريات العلمية والتاريخية. غير أننا نجهل طبيعة هذا الاستنتاج ونجهل قواعده، كما لا نستطيع تصور كيفية رد المعنى الكامن فيها "خلف اللغة " إلى حقائق موضوعية. وإما أن الآيات التي تتكلم عن الألوهية والنبوة والمعاد، آيات محكمات، وعناء تأويلها كان خطأ جرَّ على الأمة ما يربو عن الألف سنة

من الصراعات المذهبية الدامية، وتفسيرها كان أولى من تأويلاتها. إن هذا التفرد في الطرح الذي جاء به السيد محمد شحرور يجعلنا نتساءل: هل فعلا فقه ما لم يفقه غيره عبر كامل التراث العربي الإسلامي؟

ث. نصوص القرآن: هل هي حقائق عقلية؟

حتى في أعرق الفلسفات الغربية الحديثة والمعاصرة روحانية، كما هو الحال في فلسفة هنري برغسون فإننا لا نعدم وجود ملامح مادية لا ترى في المعرفة العقلية المجردة سوى بُعد الامتداد المكاني أو الانتشار الزماني ـ إذ حتى في الهندسة أو في الفيزياء أو في الرياضيات المعاصرة عموما ـ لا عبرة إلا بالعدد، أي بالصيغة الكمية للأشياء، وأما الصفة الكيفية أو الصورية للأشياء فهي توضع خارج مجال التحديد. وعلى هذا جاز لنا التساؤل عن إمكانية بلوغ الحقيقة المطلقة وفق تصور يجزئ العالم؟ ولقد أقر جاك ماريتان، بأن هذه النظرية حول العقل، تكمن في إقرارها بأن الإدراك يخدعنا في بناء المفاهيم، وأن العقل الاستدلالي la raison يخدعنا في التحليلات التي يعرضها عن الواقع، وبالتالي فإن العقل ليس المعطى الأساسي في بناء معرفتنا بالحقيقة، وهكذا فإن المعرفة العقلية لا تصبح إلا معرفة عملية خالصة[٥٨]. فإذا كان العقل يجزئ ويثبت الحقائق ويجعلها آلية بهدف تلبية الحاجات العملية فهذا يعني أنه خادع بطبيعته، لأن هدفه الأصلي ليس هذه الجزئية أو تلك وإنما هدفه الوجود في ذاته[٥٩]. وفلسفة هذا منطلقها، لا يصبح العقل والمنطق فيها سوى شكلين من أشكال الميكانيكية العمياء، وهي نظرة تمزق الوحدة الحيوية للملكة العاقلة في الإنسان. كما أنها تجردها من طبيعتها الذاتية، من صفتها اللامادية، ومن قدرتها على إدراك الوجود الكلي والمطلق. وباختصار هي تجرد هذه الملكة من الحدس الأصلي، الحدس العقلي الخالص لكل المبادئ الأساسية، التي تستند إليها الميتافيزيقا ويرتكز عليها كل علم يطمح أن يمتلك طرفا من الحقيقة. وهكذا يتضح لنا أن الفلسفات الحديثة كما قال جاك ماريتان: (تخلط بين التفكير الخالص وبين الصيغة المادية للتفكير[٦٠])، وهو ما عبر عنه هنري برغسون بقوله إن العقل« وظيفته الأساسية تتمثل في ربط الشبيه بالشبيه[٦١]).

إن العقلانية لا تكمن فقط في إثبات أن العقل يساوي شيئا ما، ولكن في تأكيدها أنه لا يوجد فوقها شيء، وعليه فلا وجود لأي معرفة ممكنة خارج مجال المعرفة العلمية، وينتج من هذا أن العقلانية تنفي وجود الميتافيزيقا، وهذا عكس ما أراد السيد شحرور إثباته. وإذا افترضنا وجود شبه ميتافيزيقا ممكنة، فإنها لن تكون غير ميتافيزيقا ترتبط بالنسق العلمي. وإذن فالغياب الكلي للمعرفة الميتافيزيقية الخالصة، والنفي التام لكل

معرفة غير علمية، والتحديد الاعتباطي للمعرفة العلمية نفسها في نمط محدد من الموضوعات دون غيرها، تلكم هي بالتحديد السمات الأساسية للفكر الحديث. غير أن الميتافيزيقا معرفة حدسية بالمبادئ المرتبطة بالنظام الكلي، تتعلق بها كل الأشياء بالضرورة، مباشرة أو غير مباشرة، وحيثما كان هناك غياب للميتافيزيقا، فكل معرفة تتصل بأي موضوع وفي أي نظام كان، هي معرفة تعوزها المبادئ، وإذا حازت على بعض الاستقلالية فإنها بالضرورة تفتقد البعد والعمق[٦٢]. ولهذا فإن العلم الغربي سطحي، منتشر في التعدد اللامحدود للمعارف المجزأة، وهو يتلاشى باستمرار في الجزئيات التي لا حصر لها، وهو لا يعرف شيئا عن الطبيعة الحقيقية أو جواهر للأشياء.

فإذا رجعنا إلى آيات القرآن الكريم ومحاولات السيد محمد شحرور، بناء معرفة تأويلية للمتشابه منها، وقد رأينا عدم إمكانية بناء معرفة مادية حسية موضوعية كما يسميها، أمكننا الجزم أيضا بأننا لسنا كذلك أمام إمكانية بناء معرفة عقلية مجردة. وبتحليل المسلمة الثانية التي جعلها منطلقا لبناء المعرفة التأويلية التي يريد بناءها نستطيع أن نتبين وضوح التناقض في الطرح الذي يعرضه كبديل لما جاء به المؤولون للنص الديني، القدامى منهم والمحدثون.

٥. الوحي لا يناقض العقل Revelation does not contradict with reason

إن البحث في طبيعة العلاقة بين العقل والوحي، كان السمة الغالبة على كامل الدراسات الفلسفية منذ العصر الوسيط وبداية من فيلون الإسكندري. فقد بدا التمازج الكبير الذي انطبعت به فلسفة فيلون واضحا وضوحا كبيرا، ضمن تلك الفلسفة التي حملت روحا يهودية، داخل جسد الثقافة الهللينية القائمة وانبعاث طائفة التلقي المسيحية الأولى، وهو ما سنجد أثره واضحا في التداخل الكبير والتأثيرات المتبادلة بين هذه العناصر المتنوعة، التي لعبت فيما بعد دورا أساسيا في مسار مدونة الكتابات المقدسة، لا عند اليهود فحسب وإنما امتد تأثيرها ليشمل مدونة العهد الجديد والتعاليم والديانة الجديدة الناشئة أيضا[63].

وقد كانت الفكرة السائدة عند اليهود آنذاك، هو البحث في الأصول اليهودية التي ترتد إليها الأفكار الفلسفية اليونانية، بمعنى أن فكرة البعد الديني لكل تفكير فلسفي بشري إنما ترجع أصوله إلى المعتقد الإيماني الديني، بصورة من الصور، وقد أثرت واستأثرت هذه الفكرة على تفكير فيلون كله. وهو ما سيجعله يبحث باستمرار عن الرابط الخفي بين الدين الفلسفة، أي بين العقل في صورته الفلسفية اليونانية والإيمان في

صورته العقائدية المنبثة ضمن النصوص الدينية[64]. هذا الهاجس الذي امتد تأثيره إلى فلاسفة اليهود والمسيحيين والمسلمين على حد سواء، خلال العصور الوسطى وإلى يومنا هذا.

كان فيلون يعتقد تمام الاعتقاد أن الحكمة اليونانية لا تختلف عن الخطاب المقدس المنبث خلال نصوص الوحي. فالفلاسفة اليونان لم يزيدوا على أن أضافوا كما هائلا من الحجج والبراهين العقلية التي تصب كلها في إثبات نصوص النبوة والوحي التي كانت تشكل لب المعتقد اليهودي. وهنا بدا التداخل بين العقلانية اليونانية والمعتقد الإيماني بنصوص الوحي عند اليهود[65]، ويتجلى التأثير المتبادل بين الثقافتين، هذا التأثير الذي سيلعب دورا هاما فيما بعد في نشأة المسيحية وانفتاح المدونة الإنجيلية. كما نجد هذا التأثير يمتد ليشمل غالبية الفلاسفة المسلمين، بداية من الكندي مرورا بابن سينا والغزالي إلى غاية ابن رشد.

غير أن الملاحظ ضمن كامل هذا التراث الفكري، أن النتيجة التي خلص إليها هؤلاء جميعا، هو الإقرار بوجود مقابلة بين الوحي والعقل. ولعل أبرز من فصل في هذا الموضوع: أبو الوليد بن رشد الذي استخدم في المقابلة عبارة التضاد لا عبارة التناقض: (الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له[66]). ولا يخفى ما بين علاقة التضاد وعلاقة التناقض من فرق، عند من يمتلك أوليات المنطق العقلي. إن المقابلة عندهم كانت تجعل الوحي أصلا والعقل فرعا، فكانوا يقيسون نتائج العقل بمقررات الوحي، بمعنى أن معيار المقابلة كان يستند إلى نصوص الوحي، وهو الأمر الذي اعتمدته الكثير من الفرق الكلامية على غرار الأشاعرة والماتريدية، وهو ما يدعم الرأي الذي عرضناه سابقا والذي مؤداه أن كل معرفة حتى وإن كانت موضوعية تجريبية في أساسها تستند إلى ركيزة ميتافيزيقية، مما يجعلنا نردد هنا المقولة الشائعة: " الإنسان كائن ميتافيزيقي".

في مقرر السيد شحرور، قلب للقاعدة التي تعارف عليها الفلاسفة، ولذا نجده قد سار على نهج المعتزلة في اعتماد العقل أصلا تقاس عليه نصوص الكتابات المقدسة، إلا أنه تميز في طرحه عنهم، إذ القواعد العقلية التي اعتمدتها المعتزلة كانت مجردة، في حين أن السيد شحرور يربط بين العقل والتجربة الحسية. زد على ذلك استخدامه لعلاقة "نفي التناقض" بدل التضاد، وهي العلاقة التي تعتبر من بديهيات المنطق العقلي، وفي هذا انحراف عن قواعد المنطق السليم.

٦. أن الوحي لا يناقض الحقيقة Revelation does not contradict with reality

يقر السيد شحرور في المسلمة الثانية التي بنى عليها استنتاجه تصورا ماديا لفكرة الحقيقة، وهو التصور الذي نجده يلفع الفكر الفلسفي الغربي الحديث والمعاصر في أغلب توجهاته، فحين يقرر:

- أن الوحي لا يناقض الحقيقة Revelation does not contradict with reality

يجعلنا نتوهم أن هذه المسلمة التي يجعلها منطلقا لبرهنته، مدعاة لقبول النتائج التي تترتب عنها استدلالاته، غير أن هذه العبارة بقليل من التمعن في بنيتها المعرفية، لا تستقيم سواء في لغتها العربية أو في ترجمتها الإنجليزية. اللهم إلا إذا اتخذ السيد شحرور النظرية المادية التي تجعل من الواقع المادي معيارا وحيدا للحقيقة ـ أو على أقل تقدير اعتماد النظرية البراغماتية التي تجعل من الواقع العملي، المعيار الأوحد للحقيقة ـ فإذا كان هذا هو المنطلق في إقرار هذه القاعدة، كان الأحرى أن يضبطها بقوله: الوحي لا يناقض الواقع Reality، بدلا من لفظ الحقيقة Truth.

وحتى لو سلمنا بصحة الصياغة اللغوية لهذه القاعدة، فإننا بتحليل أطرافها لا نكاد نظفر بشيء مما يريد السيد شحرور إقراره بهذه المقابلة. اللهم إلا إثبات مادية الحقيقة التي يتكلم عنها. فالمقابلة بين طرفين غير متساويين وفق هذا الشكل من المقابلة، مغالطة منطقية ومعرفية على حد سواء. فالوحي نفسه حقيقة، لكنه حقيقة تتعالى على منطق الواقع المادي، ثم إن الوحي في حد ذاته ناتج فعل يتم بمقتضاه نقل خبر أو نبوءة حول حقيقة يتضمنها، وعليه يصبح الوحي، رابط وصل بين الموحي والموحى إليه، أي بين المطلق الكلي والنسبي المحدود، بين الله والنبي. إن ما يحمله الوحي هو الحقيقة ضمن سياق لغوي ما، وهذا السياق إما أن يكون خبرا أو نبوءة، محكما أو متشابها.

والوحي حسب التصور الديني النسقي، هو تواصل بين المطلق الكلي المجرد، المسمى الإله من ناحية والنسبي الجزئي المقيد، المسمى إنسانا من ناحية أخرى. إنه تعرف الإله إلى الإنسان، عبر خطاب يلقيه في ذات الإنسان، يفقه من خلاله ويتعقل به ما يريد تبليغه إليه. والإشكال القائم الذي يطرحه هذا التصور، يكمن في كيفية الاتصال وتبرير الوسائط التي من خلالها يتم التواصل بين مطلق يتسم بخاصية القداسة ومقيد يخضع لشروط تاريخية محددة. في الديانتين اليهودية والنصرانية، نلاحظ الأهمية المسندة إلى الوسائط التاريخية والتركيز على الكلمة ومنها تقديس الكتابة. فالوحي

الإلهي تواصل يستمد صفاته من كونه، بعدا نفسيا لذات إلهية. إنه كلام باعتباره أرقى أشكال الرموز الدالة على المعاني، تُقَيِّدُهُ الكتابة باعتبارها الصورة المثبِّتة للمعاني والقابلة لاستيعاب التجلي المقدس، هذا من جهة.

من جهة أخرى يتطلب هذا التواصل الطرف المتلقي للكلام والذي يفقه ما يلقى إليه عبر الخطاب الإلهي. إن الوحي في التصور الديني النسقي، يضفي صفة القداسة على الكلام، باعتبار الكلام صفة ذاتية للذات الإلهية التي تتعرف إلى البشر وفق هذا الشكل، على عكس الوحي في التصور الذي تنبني عليه الديانات الوثنية، أين ترتبط القداسة بالمظاهر الطبيعية. فتصور الإله في هذا النمط من الديانات لا يضع حدا فاصلا بين فكرة الإله وبين العالم، في حين أن الديانة اليهودية مثلا، تعطي للبعد التاريخي باعتباره مجالا للتجلي الإلهي، قيمة أكبر من اعتباره واقعة طبيعية كونية. إن المعتقد اليهودي يستند إلى تقديس مراحل من الزمن، الزمن المستقبل، زمن الوعد الإلهي، وليس إلى تجليات وتمظهرات طبيعية للذات الإلهية في أماكن مقدسة، كما هو الحال في الديانات الوثنية، رغم أننا نصادف في كامل المدونة التوراتية، مثل هذا الارتباط الذي تتمظهر فيه الذات الإلهية في مظاهر طبيعية، كما جاء في الإصحاح الثالث عشر من سفر الخروج[67]. فخروج اليهود من مصر، استجابة للوعد الذي أعطاه يهوذا لليهود.

أما في المدونة الإنجيلية النصرانية، فالوحي ليس مجرد ناتج تواصل بين ذات الموحي وذات الموحى إليه، إنما هو ناتج علاقة تداخل تمت عن طريق استغراق تام للموحى إليه في الموحي. هذا الاستغراق تمخض عن حلول كامل للاهوت في الناسوت. إن شخص المسيح في العقائد النصرانية يمثل الكلمة الإلهية، الكلمة التي تجلت بشرا رسولا. وحسب ج.غوسدورف فإن كليمون السكندري، كان يرى أن الفلسفة الحقيقية ليست شيئا آخر غير العقل الذي أوحى به الله إلى البشر، من خلال تجسد هذا العقل في الكتابات المقدسة، وتجسده في شخص المسيح. إن الحكيم الحقيقي، هو المسيحي الذي يحقق كمال الحياة الأخلاقية من خلال الضمير الديني، وبعبارة موجزة، عندما يصير المسيحي المخلص عارفا حقيقيا[68]. فالإيمان المسيحي يقتضي الإقرار بالتداخل التام بين ذات الله وكلمته، هذه الكلمة التي تجسدت في شخص المسيح عليه السلام. ومن هنا فالوحي في المعتقد المسيحي لا ينحصر في مجرد التواصل عبر لغة رمزية معينة يوحي بها الله إلى الإنسان، إنما اتخذت الكلمة طابع التجسد المادي، ولا يخفى ما في هذا التصور من تأثير الثقافة اليونانية الوثنية التي نشأت المسيحية في أحضانها.

إن هذا الذي ذهبنا إليه ليس مجرد ادعاء، إنما نجده منبثا خلال الدفاع الإيماني عن المعتقد النصراني خاصة عند الراسخين من دعاة الكاثوليكية، ففي محاضرة بعنوان: ـ العقل والإيمان في التقاليد المسيحية والحاضر المسيحي ـ يقر البابا بنديكت السادس عشر صراحة بهذا إذ يقول: أرى أنه في هذه المسألة بالذات يمكن الوصول إلى وجود تناغم بين القناعة الإغريقية والفهم الإنجيلي للإيمان بالله. وإذا عدنا إلى الجملة الأولى في سفر التكوين بحسب يوحنا نجد (في البدء كانت الكلمة "اللوغوس"، وكان الكلمة الله): فالله يعمل باللوغوس واللوغوس يعني العقل والكلمة. وهو العقل القادر على التواصل، التواصل بذاته باعتباره عقلا. وهكذا فان يوحنا قال القول النهائي في الفهم الإنجيلي لله، وفي هذه المقولة تتلاقى كل خيوط وخطوط الإيمان الإنجيلي. يقول يوحنا الرسول أنه في البدء كان اللوغوس، واللوغوس هو الله، وهذا اللقاء بين الرسالة الإنجيلية والفكر الإغريقي ما حدث بالمصادفة[69].

هذا التصور للوحي والذي لم ينفصل في المدونة اليهودية والنصرانية، عن طبيعة الثقافة الوثنية الإغريقية التي كانت سائدة، يجعلنا نستنتج بيسر، السبب وراء سعي الفلاسفة واللاهوتيين في تقرير طبيعة العلاقة بين الإيمان والعقل، أو بين الوحي والفلسفة منذ العصور الوسطى.

في الفكر العربي الإسلامي، اتخذ بحث الرسالة والنبوة، منذ بدايات تكون المدونة التراثية الإسلامية طابعا تيولوجيا، فعلماء الكلام ناقشوا قضية النبوة باعتبارها ركنا من أركان الاعتقاد، ولعل الدافع الأول لذلك كان طبيعة الدين الإسلامي نفسه، ثم طبيعة النص الديني، باعتباره خطاب إلهي تنزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، أمر بتبليغه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغ مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهدِي ٱلقَومَ ٱلكَٰفِرِينَ﴾[70]، ثم إن الاعتقاد الإيماني في الإسلام عند جميع الفرق الكلامية، لا يكتمل إلا بالإيمان بالنبوات والرسالات،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبلُۚ وَمَن يَكفُر بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱليَومِ ٱلأٓخِرِ فَقَد ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[71]. كما أن الملابسات التاريخية والثقافية لظهور علم الكلام، جعلت الأوائل يبحثون قضية الوحي والرسالة، ردا لشبهات الصابئة والزرادشتية والنحل التي كانت سائدة في البلاد التي دخلها الإسلام[72]. واختلفت أدلة علماء الكلام في النبوة بين الوجوب والجواز، عند المعتزلة والأشاعرة مثلا[73].

من ناحية إيتيمولوجية، لفظ الوحي معرفا بالألف واللام، لم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة الأنبياء ﴿ قُل إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾[74]. في حين ورد اللفظ بشتى اشتقاقاته ست وسبعون مرة، كلها توحي بوجود ارتباط أو علاقة بين الألوهية والنبوة، حددها مصطلح الوحي، لكن لم يذكر القرآن في كامل المرات التي وردت فيها لفظة الوحي، أن الوحي يشير إلى تشخيص ذات معينة، هي ملك أو ملائكة معينون، كما لم يشر إلى لقاء مباشر بين الألوهية المطلقة التجريد والبشرية المجسمة، على خلاف ما ذهب إليه هشام جعيط عندما تكلم عن الوحي باعتباره اتصال بين الله "المجسم" كما يصفه والنبي، عندما راح يعطي تفسيرات غير مقنعة منطقيا لآيات سورة النجم، يريد بها نفي معراج النبي بالروح والجسم فقال في ذلك: (المحقق أن الإسراء تم بالرؤيا الحقيقية في النوم وبتدخل من الله، وليس أبدا بالجسم: هذا واضح تماما. لكن الإشكال يطرح نفسه بقوة في سورة النجم التي تصف لحظة التجلي: هنا لم يتم التلاقي بين الإنسان محمد والماورائي المجسم في النوم بل في اليقظة)[75]، وهو في هذا المقطع الأخير لا يريد إثبات الحدث، إنما فقط ليسدل عليه مزيدا من الضبابية التي وصلت مع بقية تحليلاته إلى تعليق الحكم في القضية، والإيحاء إلى وجود شيء من التناقض بين آيات سورة الإسراء وآيات سورة النجم.

إن لفظ الوحي في القرآن الكريم، يشير في كامل المرات إلى كلام الله الذي تلقاه أنبياء من البشر، بصيغ مختلفة، عبرت عنه الآية التي قال فيها عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيم ۔ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰط مُّسۡتَقِيم ﴾[76]. وفي مطلع هذه الآية دلالة واضحة أن الله قد يوحي لأنبيائه مباشرة دون وساطة، لكنه إيحاء لا اتصال حسي فيه، عبرت عنه الآية بقول الله "من وراء حجاب"، أما أن يقصد الوحي فيجسد في صورة الملك " جبريل "فهو أحد الوسائط التي يتلقى بها النبي الوحي" أي الخطاب الإلهي". كما أن هشام جعيط يؤول اسم جبريل، بأنه "ذو قوة" الوارد في سورة التكوير و"شديد القوى" الوارد في سورة النجم، والتي هي الترجمة العربية لاسم جبريل وللاسم الأصلي العبري "جبرائيل"، وجبر تعني القوة والقوي، وهذا قياسا على الأسماء المركبة في العبرية كإسرائيل وعمانويل، وهذا كما يقول لم ينتبه له المفسرون[77]. وهو بهذا يريد أن يصل إلى أن ما جاء في القرآن إنما هو أثر من آثار ما احتوت عليه التوراة، وبغض النظر عما في هذه الأفكار من مغالطات معرفية وتاريخية، إلا أن فكرة

تشخيص الوحي وحصره في صورة الملك جبريل، هي ما بينت الخلل فيه، الآيتان ٥١/٥٢ من سورة الشورى. كما أن آيتي سورة الشورى تتضمنتا أيضا، ما يرد شبهة السيد شحرور التي ينفي فيها نبوة آدم عليه السلام.

كما نجد في نصوص القرآن لفظ الوحي وقد ورد مضافا إلى أشخاص ليسوا رسلا: ﴿ وَإِذ أَوحَيتُ إِلَى ٱلحَوَارِيّنَ أَن ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشهَد بِأَنَّنَا مُسلِمُونَ ﴾[78]. وإلى أم موسى:﴿ إِذ أَوحَينَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾[79]. وموجودات مختلفة، كالنحل في كقوله تعالى:﴿ وَأَوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلجِبَالِ بُيُوتا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعرِشُونَ ﴾[80]. وإلى الأرض كقوله تعالى: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوحَىٰ لَهَا ﴾[81]. غير أن الوحي إلى هؤلاء جميعا لم يكن يتضمن نصوص معتقدات وتشريعات وقصص، إنما كان أمر إلهي بفعل محدد معين، يرتبط بحدث ما. مما يعني أن لفظ الوحي إنما هو اسم مشتق من الفعل أوحى: بمعنى ألقى أمرا أو خطابا لمخاطب فَقِهَ ما يلقى إليه، فبَلَّغَ أو جسد ما أمر به. أما الوحي المرتبط بالنص، فهو الذي خوطب به الأنبياء والرسل، والذي كان يتضمن رسالات تحوي معتقدات وتشريعات وقصص، أمر المخاطبون بها بتبليغها إلى أقوامهم. وإلى قريب من هذا المعنى أشار نصر حامد أبو زيد إلى الوحي بقوله: (هو المفهوم المركزي للنص عن ذاته حيث يشير إلى نفسه بهذا الاسم في كثير من المواضع[82])، ولا يرى فرقا بين لفظ القرآن والذكر والكتاب والوحي، غير أنه يعتبر هذا الأخير أشملها لأنه يستوعب باقي الدلالات المشيرة إليه جميعها. وهو (أي لفظ الوحي) ليس اسم علم على نص محدد، لأنه يشمل النصوص الدينية جميعها، أي أنه يشمل كل النصوص الدالة على خطاب الله للبشر.

كما يعطي أبو زيد للوحي خاصية مميزة هي "الإعلام": « وإذا كانت الدلالة المركزية للوحي هي الإعلام فإن من شرط هذا الإعلام أن يكون خفيا سريا...إن الوحي علاقة اتصال بين طرفين تتضمن إعلاما ـ رسالة ـ خفيا سريا. وإذا كان الإعلام لا يتحقق في أي عملية اتصال إلا من خلال شفرة خاصة، فمن الضروري أن يكون مفهوم الشفرة متضمنا في مفهوم الوحي، ولا بد أن تكون هذه الشفرة المستخدمة في عملية الاتصال والإعلام شفرة مشتركة بين المرسل والمستقبل أي بين طرفي عملية الاتصال/ الوحي[83]». ويبدو أن هذا التعريف أكثر التعريفات ضبطا من ناحية الإحاطة المعرفية، إذ استقصاء نصر حامد أبي زيد عن طبيعة الوحي، عبر مدونة التراث العربي الإسلامي، جعل من بحثه أكثر موضوعية وشمولية وأقرب إلى العلمية الأكاديمية.

لكن ملخص ما وصل إليه، هو أنه حدد طريقتين للاتصال بين الملك الموكل بإيصال الرسالة (الخطاب الإلهي) وبين النبي الذي يتلقى، ليبلغ من جهته. هاتين الطريقتين ذكرهما الزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن، قال:(أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة وأخذه من جبريل (يقصد النص القرآني)، والثاني أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذ الرسول منه. والأول أصعب الحالين[84]». هذا الرأي الذي يتبناه أبو زيد والذي أراد عبره تحديد طبيعة تلقي النص الديني ومنه الوصول إلى تحديد طبية النص ذاته. يصل منها إلى تحديد طريقة الاتصال بين الطرفين والتي تمت « عبر وسيط هو الرسول الملك الذي أطلقت عليه الآية اسم " الروح"»[85]. إلى هنا مسار البحث يبدو متناسقا من حيث البنية المعرفية والتسلسل المنهجي. لكن بدل البحث عن طبيعة النص المقدس التي تتخذ من النص منطلقا وغاية، راح نصر حامد يبحث في طبيعة التأويلات التي انتشرت عبر كامل بساط المدونة التراثية، ليبني بذلك نتيجة، أراد وفقها فرض موقفه عن كيفية الإنزال ومعناه، كما فعل السيد محمد شحرور في بحثه " الكتاب والقرآن".

بالنسبة لأبي زيد، الذي تبنى جملة ما ذهب إليه الزركشي في البرهان، الاتصال مرَّ بمرحلتين: على المستوى العمودي، بين الله وجبريل، ثم يسرد رأي العلماء في ذلك (وهو رأي الزركشي دائما) : (الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء، وهو عال من المكان، وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان [86]). ويتناول هنا قضية اللفظ والمعنى، لكنه يلجأ دوما إلى المدونة التراثية، ليستنتج منها أن التراث يحدثنا عن وجود خط أزلي للقرآن، يتماشى مع طبيعة الوجود الأزلي المطلق لذات الإله، باعتبار القرآن كلام الله الذاتي. ثم عرج إلى استنتاج آخر هو أن في مدونة التراث رأيين، الأول يرى أن: لغة الاتصال/ الوحي، كانت اللغة العربية في مستوى الاتصال الرأسي (الله ـ جبريل)، وفي المستوى الأفقي (جبريل ـ محمد)، أما الرأي الثاني فيفرق بينهما، في المستوى الأول إلهام والثاني لغوي، فكانت مهمة جبريل الصياغة اللغوية للوحي مرة، ومرة أخرى تسند الصياغة اللغوية إلى النبي. غير أن أبا زيد لا يصدر في الموضوع حكما قطعيا، أو يستنتج استنتاجا منطقيا، إنما يجول منقبا بين صفحات المدونة التراثية، يأخذ من ابن خلدون تارة ومن ابن عربي أخرى ليربط بين الرؤيا والأحلام والوحي[87]، ثم لنصل إلى لا شيء، اللهم إلا أن عينات من التأويلات والتفاسير المنتشرة على صفحات المدونة التراثية، قدمت صورة ضبابية عن طبيعة الوحي والكلام

الإلهي، الذي يصفه والحق يقال بالقداسة، لولا أنه يتركنا أمام حكم معلق في الجواب عن السؤال التالي: هل تلقى النبي النص عن الملك بالمعنى، أم بالمعنى واللفظ معا؟

ولو تأملنا عبارة الزركشي السابقة وحللناها تحليلا كلاميا سيرا مع المنهج الجدلي الذي استخدمه علماء الكلام، لوجدنا العبارة مجرد وجهة نظر وليس بينها وبين عنوان الكتاب " البرهان" تواشج، فحين ينقل لنا " أن الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء، وهو في عال من المكان، وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان" ينقل لنا تصورا غامضا عن عملية الاتصال التي تمت بها تأدية الوحي، كما أن العبارة توحي لنا بشيء من الضبابية بوجود قصور في تصور معنى الإله، وهذا ما ذهبت إليه المعتزلة و جمهرة من الأشاعرة والماتريدية في قضية إبطال التشبيه، إذ العلو صفة دالة على الجهة ولذا قالوا: بأن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة، والمحايثة، والحد، والحركة، والانتقال، وهذه الأمور تستلزم الجسمية، والأجسام حادثة، والله منزه عن الحوادث، مطلق عن التقييد والتحديد بالجهة[88].

٧. التأويل وقواعده عند محمد شحرور

في كامل الآثار التي قام عليها مذهب فيلون، نجد الثنائية التي كان يرغب في التدليل عليها، ثنائية العقل والوحي والتوفيق بينها. ومع ذلك يبدو انحياز فيلون إلى جانب الوحي نظرا لطبيعة تكوينه وتشبعه بالمعتقد الديني اليهودي. لقد كان المنهج الذي استند إليه في محاولته التوفيق بين الدين والفلسفة، منهجا ذكيا استطاع من خلاله العبور بسهولة وسلاسة من التراث اليوناني إلى صلب المعتقد اليهودي القائم على فكرة الوحي، كما استطاع بيسر إقحام المعتقد اليهودي داخل الفكر اليوناني، هذا المنهج القائم على فكرة التأويل المجازي[89] الذي يتمحور أساسا حول فكرة كمون المعنى خلف الاستعارة اللفظية في لغة خطاب النص الديني.

إن نصوص الكتابات المقدسة هي بالدرجة الأولى نصوص موحى بها، تلقاها الأنبياء على فترات زمنية تحددت من خلالها معالم الدين سواء أكانت قوانين وتشريعات أو كانت نبوءات عامة. لكن فيلون يستخدم التعبيرين معا للدلالة على تلقي تلك النصوص والتعاليم، إما بطريق الوحي بوساطة أو عبر الإلهام المباشر وبدون وساطة، وإن كان غالبا ما يمزج بين الوسيلتين. وقد كان استخدام فيلون للفظ الوحي للدلالة عن تلقي النصوص مثله مثل بقية اليهود في بيئة الإسكندرية، غير أن اليونان لم يكن شائعا بينهم لفظ الوحي ولا النبوة، لكنهم كانوا يعتقدون بوجود اتصال بين الآلهة وبين البشر، وأن

الآلهة كانت تخاطب البشر بصورة أو بأخرى[90]. وقد اعتقد فيلون أن الحكمة اليونانية ما هي سوى تأويلات أو شروح لنصوص وكتابات، كانت تشكل الوحي المنبث عبر التاريخ والذي ضاعت نصوصه الأصلية ولم يبق منه سوى التأويلات التي تشكل الحكمة اليونانية. وتشكل نصوص الكتابات المقدسة عند فيلون جسد الخطاب الديني المقدس، الخطاب المنسوب إلى الله حقيقة. هذا الخطاب الذي تلقاه موسى من الله مباشرة عبر الكلام الإلهي، أو بطريق الإلهام المباشر في لحظة انخطاف النبي وانجذابه بفعل الحضور الإلهي، فينطق النبي بالكلام الذي فقهه وعقله خلال تلك التجربة الروحية المتعالية التي لا يمكن للعقل البشري بلوغها[91].

غير أن نصوص الوحي غالبا ما تصادف صلابة العقل الاستدلالي في تقبل معانيها، لذلك كان فيلون يستعين عادة بالتأويلات المجازية، ليعبر من خلالها نحو المعنى الخفي الذي لا تعطيه القراءة اللفظية للنصوص. إذ بقدر اهتمامه بتجاوز القراءة اللفظية السطحية للنص، بقدر ما كان حريصا على تأصيل العلاقة بين المعتقد اليهودي القائم على الوحي والفكر اليوناني القائم على العقل. فنراه يلجأ إلى التأويل الذي يقترب به مما يعطيه العقل، ليطابق بين الدين والفلسفة أو بين الوحي والعقل، فإذا صادف خلال النص فكرة لا تعطي دلالتها اللفظية المباشرة معنى يقبله العقل، يرى أن نحيلها إلى تأويل صيغتها مجازيا. إن مثل هذه الوضعية تصبح غير مقبولة ـ كما يقول ـ إذا لم نؤولها مجازيا، (إننا نستطيع حل هذه المعضلة عبر التأويل المجازي، لينتفي الإشكال، ونتخلص من هذا العائق الذي حول الإلهام أو الرواية)[92].

وهكذا توصل فيلون إلى أن التأويل المجازي لنصوص الكتابات المقدسة هي الحل الأمثل لربط علاقة بين العقل والوحي، وكانت لهذه النظرة أثر كبير في توجيه الفكر الديني نحو إيجاد قواعد يتأسس التأويل بمقتضاها، وقد سبق إلى هذا التوجه أوائل المتكلمين من الفرق الإسلامية المختلفة، وأبرز هؤلاء كان المعتزلة، كما تبعهم في ذلك جمهور من متكلمي الفرق الإسلامية والفلاسفة، ولو أن إرهاصات التأويل كانت قد ظهرت مع العديد من الفقهاء والمحدثين، إلا أنها لم تأخذ الطابع المدرسي الذي يشكل منهجا مستقلا لفرقة أو طائفة من المفكرين المسلمين.

وإذا كانت للتأويل قواعد وقوانين منهجية، عند علماء الكلام والفلاسفة، كالقاضي عبد الجبار من المعتزلة، وأبي حامد الغزالي في ـ قانون التأويل ـ والقاضي أبي بكر بن العربي في ـ قانون التأويل ـ وكلاهما من الأشاعرة، وكذا القاضي النعمان بن حيون في ـ أساس التأويل ـ وهو من أبرز منظري الشيعة، وابن رشد في ـ الكشف عن مناهج الأدلة

في عقائد الملة، من الفلاسفة. فإننا لا نعدم من الحداثيين من أشار إلى التأويل واتخذه منهجا في فهم النصوص الدينية، مع ما في محاولاتهم من مزج بين التنظير التأويلي التراثي بالمناهج الفلسفية التأويلية الغربية، كما هو الحال خاصة مع نصر حامد أبي زيد ومحمد أركون. إلا أننا مع السيد محمد شحور، نجد نموذجا مغايرا يكاد يكون من عنداياته، لولا أنه يمزجه أحيانا ببعض خلفياته الثقافية العربية الإسلامية، كفكرة رفضه القاطع للترادف في اللغة التي نجدها عند أبي هلال العسكري في الفروق في اللغة، وابن فارس القزويني في معجم مقاييس اللغة وغيرهم كثر.

وقد عدد السيد محمد شحرور ست قواعد للتأويل اعتبرها موصلة إلى تأويل علمي مؤصّل للأنباء التي جاءت في القرآن. والملاحظ بداية في هذه العبارة قوله تأويل علمي، وهو بهذا الوصف يجعل من التأويل عملية علمية موضوعية صرفة، وقد أشرنا إلى تهافت فكرة الموضوعية التي تكلم عنها من قبل، ولا شك أن وصف التأويل بالعلمي، ضرب من الخلط المعرفي لأن أخص خصائص العلم التعميم، فكيف يمكننا تعميم هذه القواعد لتصبح مشتركة عند كامل المؤولين؟ بل وكيف نصف هذا العلم بالموضوعي، والتأويل نفسه نشاط ذاتي، يختلف باختلاف السقف الثقافي للمؤول، وطائفة تلقي النص قيد التأويل. إذ حتى بين أفراد طائفة التلقي والتأويل الواحدة، قد نجد عدم اتفاق حول نص معين، فالغزالي مثلا ألف قانون التأويل وهو من أبرز فلاسفة ومتكلمي المذهب الأشعري، في حين ألف تلميذه أبو بكر بن العربي ـ وهو الفقيه والمتكلم المالكي المعتد بأشعريته ـ كتابه قانون التأويل أيضا، وضمنه فقرات قاسية في الرد على الغزالي والعديد من أبرز متكلمي المذهب الأشعري، بما فيهم شيخ الفرقة الذي سميت الفرقة باسمه. ولنرجع إلى مناقشة قواعد التأويل كما عرضها السيد محمد شحرور في كتابه: أم الكتاب وتفصيلها.

مناقشة القاعدة الأولى:

الحق أن هذه القاعدة مزيج من الجزئيات اللغوية التي نجدها منبثة بين ثنايا ما تكلم عنه النحويون والبلاغيون القدامى، بل وليس فيها أي شيء من التجديد، وما يحسب له مزية فيها، هو مقدرته على التنقيب في المدونة التراثية الواسعة، وقدرته على توظيف هذه الجزئيات والربط بينها وبين العلم التجريبي وهذا ما لم يوفق فيه كثيرا، بل هو بهذا التوظيف أغرق في التناقض، فالقفزة اللغوية التي قال بأن التنزيل الحكيم أمد بها اللسان العربي، يرجعها السيد محمد شحرور إلى الجزئيات التالية:

- رفض الترادف، واحتمال أن يكون للفظة الواحدة أكثر من معنى مثل فعل " أمر"[93]. والواقع أن الكثير من فقهاء اللغة العربية: كابن فارس وأبي علي الفارسي وأبي هلال العسكري، أشاروا إلى هذا، بل لقد رفضوا رفضا باتا وجود الترادف في اللغة العربية، لأنّنا نجد في كل لفظة زيادة معنى لا تتضمنه اللفظة الأخرى، وهذا ما نقله السيوطي عن ابن فارس[94]. في حين يحتج المقِرُّونَ بوجود الترادف أمثال: سيبويه والأصمعي والفيروزآبادي، بقولهم: إن الترادف لا يعني التشابه التام إنما أن يُقام لفظ مقام لفظٍ لمعانٍ متقاربة يجمعُها معنًى واحد[95]، أما الراغب الأصفهاني فيقف موقفا وسطا بقوله: ينبغي أن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة، فأما في لغتين فلا ينكره عاقل[96]. ومن المعلوم بالتواتر أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، بل وقد أول الكثير من العلماء قول النبي صلى الله عليه وسلم:« إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فاقرؤا ما تيسر منه »[97]، فقال ابن حجر إن المراد بالسبعة الأحرف سبع لغات متفرقة في القرآن العظيم، فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وكذلك سائر العرب، وذكر عدة أحاديث في هذا ثم قال: «هذه الأحاديث تقوي أن المراد بالأحرف اللغات أو القراءات، أي أنزل القرآن على سبع لغات أو قراءات»[98]. وهذا يدعم ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني.

على أن الترادف وإن كان يشير إلى التتابع والتقارب في المعنى، فهو لا يعني التطابق التام، إذ قد يشير اللفظ إلى ذات الشيء في حين يشير اللفظ الثاني إلى صفة ذاتية في ذلك الشيء، فتكون دلالة اللفظ الثاني متضمنة في دلالة اللفظ الأول، وليس في هذا ما يبرر رفض فكرة التطابق على إطلاقها بل قد تكون الدلالات متقاربة، وقد أشار الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير إلى قريب هذا الرأي، واعتمده في تفسير الكثير من الآيات كتفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[99]. فهو يقرر أن« الإتيان والمجيء، مترادفان فذكر المجيء بعد الإتيان ليس لاختلاف المعنى ولكنه للتفنن وكراهية إعادة اللفظ»[100]. وعلى هذا لا يكون لدى السيد محمد شحرور في رفض فكرة الترادف، سوى محاولته غير المقنعة للتمييز بين ألفاظ: القرآن، التنزيل والكتاب، وهو اجتهاد وإن لم يصب فيه، فإنه لم يأت بما لم تستطعه الأوائل.

- أما عن لفظة " أمر" فلا تخدم المقصود من إيرادها هنا، يتعدد معناها بتعدد سياق ورودها، فهي إن جاءت بصيغة الفعل في آيات القرآن إنما لها دلالة التكليف، أما ورودها معرفة باعتبار كونها اسما فهي دالة على قضاء الله كما في قوله تعالى: ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[101]. أو معرفة بالإضافة كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[102].

- أما قوله بأن أي نص لغوي لا يفهم إلا على نحو يقتضيه العقل والمطابقة الموضوعية أو العقل فقط (الاستقراء) فيما يتعلق بالأمور التي لا تزال في الغيبيات[103]. فهو قول جانب فيه الصواب كثيرا، إذ تحمل هذه العبارة من التناقضات ما يجعلها مردودة على إطلاقها. فالاستقراء ليس العقل ولا من مقرراته، وإذا كان العقل يَصُوغُ نتائج الاستقراء وفق قواعده، فإن الاستقراء هو ما ينبغي تسميته بالمطابقة الموضوعية، لأن الاستقراء في منطق العلوم انتقال من الجزء إلى الكل، ولا يكون إلا فيما تقتضيه التجربة الحسية. باختصار الاستقراء هو منهج العلم التجريبي، أما الأمور التي قال بأنها لا تزال في الغيبيات، ولا شك هو يريد بها الآيات الكونية التي لم يمط العلم عنها وشاح الجهل بها بعد، فليست من الغيبات المطلقة في شيء، إنما هي مغيبات عن العلم التجريبي الحسي في زمن ما وقد تصح بتطور العلوم من مقتضيات الواقع العلمي. أما الغيب المطلق الذي يتعلق بالقضايا الميتافيزيقية، كالألوهية والجنة والنار والملائكة وغيرها، فلا العقل الاستدلالي ولا الاستقراء الحسي بقادرين على فهم كنهها ولا تجلية معانيها.

مناقشة القاعدة الثانية:

فهم الفرق بين الإنزال والتنزيل حيث أن هذا الفرق يعتبر من أسس نظرية المعرفة الإنسانية، أي العلاقة بين الوجود الموضوعي(التنزيل) والوعي الإنساني لهذا الوجود (الإنزال)[104]. إن هذه القاعدة بتمامها، لا تخلو من الغموض والتناقض، فإذا كانت طبيعة العلاقة بين موضوع المعرفة والذات العارفة، في كامل المذاهب الفلسفية تحدد نمط هذه المعرفة الإنسانية، فمن الواضح أن السيد محمد شحرور بتقديمه للوجود الموضوعي عن الوعي الذاتي، أراد أن يقنعنا سلفا بأن لفظ التنزيل الذي يعتبره وجودا موضوعيا، أسبق من الإنزال الذي يعتبره وعيا إنسانيا لهذا الوجود الخارجي، وهذا يحيلنا إلى النظرية المادية في المعرفة التي تجعل من المادة أسبق من الوعي، بل المادة باعتبارها

كل ما هو خارج الوعي هي التي تصنع الوعي. والفرق بين الموضوع والوعي أو الذات العارفة لا يحدد العلاقة بينهما إنما هو نفسه علاقة بين المتقابلين. ولعل العلاقة التي يومئ إليها من وراء هذا الغموض، هو العلاقة الجدلية التي يتجدد الوجود وفقها وبمقتضى المقابلة بين الطرفين.

ولنفرض جدلا أن القاعدة كما ذكرها صحيحة، فأين يكمن موضع الفرق بين التنزيل والإنزال الذي يبرر لنا ربط الأول بالوجود الموضوعي وربط الثاني بالوعي الإنساني؟ وقد سبق وأشرنا إلى أن الوجود الموضوعي في الفكر الفلسفي يقصد به الوجود الحسي المادي، فالمادة في الفكر الماركسي مثلا ـ وهو أبرز من يمثل النظرية المادية ـ أسبق من الوعي، وإذا كان الأمر كذلك فعن أي تنزيل نتكلم؟ إن كان المقصود به الآيات التي تعتبر من المتشابهات، فما ارتبط بالوجود الميتافيزيقي منها أشد دلالة على أن الوجود الموضوعي لا ينحصر فقط في الطبيعة المادية من الوجود. والحواس التي هي آلة معرفة الوجود المادي، تعجز تماما عن إدراك ما يفر من ساحة الحس. وهذا الوجود الذي يصفه بالموضوعي لا يشكل الغيبيات التي يريد السيد شحرور تفسيرها تفسيرا علميا تجريبيا. وإذا جاز لنا أن نصفها بوصف مقارب فلنقل مغيبات عن حواسنا مع أنه لا علاقة لها بالمتشابه من آيات القرآن التي تشكل الغيب المطلق الذي لا ينجلي بالتجربة الحسية ولا يفسر تفسيرا علميا تجريبيا.

وإذا أردنا إلى إنزال الألفاظ منازلها، نجد مجالات دلالاتها المجازية ترتبط أساسا بسياقاتها اللغوية، لنستطيع حينئذ فقه معانيها، أما تأويلها وفق مبادئ نظريات مسبقة من خارج نسقها الذي تنتمي إليه، فهذا ضرب من لَيِّ أعناق الألفاظ وتحميلها ما لا تحتمل من الدلالات. فلفظ التنزيل بمشتقاته اللغوية ورد في القرآن الكريم خمس عشرة مرة، إما مبتدأ أو صفة أو مصدرا أو بدلا أو مفعولا مطلقا، وجاءت اللفظة في أربع عشرة مرة، كلها دالة على القرآن ونسبة تنزيله إلى الله، إلا مرة في سورة الفرقان ارتبط التنزيل فيها بالملائكة. لكن الحكم الغالب على دلالة لفظ التنزيل عند جمهور المفسرين هو الكتاب أي القرآن الكريم، وليس في هذا إبداع من السيد شحرور اللهم إلا ربطه بين دلالة لفظ التنزيل وبين الوجود الموضوعي كما يزعم. ودلالة لفظ التنزيل عند القدامى كانت تشير إلى القرآن الكريم، إذ نجد النسفي مثلا سمى تفسيره: "الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، والبيضاوي سمى تفسيره:" أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، والخازن سمى كتابه: " لباب التأويل في معاني التنزيل"، والزمخشري سماه: "الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، وغيرهم كثر، فأين

الإبداع والتجديد الذي يدعيه في تطبيقه المنهج القراءاتي المعاصر كما يقول؟ وهل يبرر الفرق بين الفعل والمصدر اتخاذ هذا الفرق قاعدة للتأويل؟

أما الإنزال فاللفظ في القرآن الكريم ورد بصيغة الفعل الإلهي، سواء أكان الإنزال شيئا معنويا أو نفسيا أو ماديا، خيرا أو شرا. على أن نسبة الفعل ارتبطت دوما بالفاعل الذي هو الله، في ١٦٢ آية، واحدة منها أثبتت الإنزال إلى الله ونفته عن البشر وهي في سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[105]. كما وردت بصيغة الفعل المضارع ١٠ مرات، نسب فيها الفعل إلى الآمر الإلهي، وتارة إلى الملائكة، وتارة إلى الشياطين، ومرة بصيغة البناء للمعلوم، وأخرى بصيغة البناء للمجهول. لكن لم يرد مع لفظ الإنزال قرينة تجعلنا نسلم مع السيد محمد شحرور بربط الإنزال بالوعي الإنساني للوجود الموضوعي الذي هو التنزيل. فأين مكمن الحجة في اتخاذ الفرق بين اللفظين قاعدة من قواعد التأويل، والدلالة التي يحيلان إليها تنفي وجود الارتباط بين بينهما وبين الوجود الموضوعي والوعي الإنساني؟ بل إننا نجد أدنى إشارة تربيط بين الإنزال وبين الوعي الإنساني. اللهم إلا إذا قلنا بأن تأويلاتنا للمعاني الكامنة خلف نصوص الآيات القرآنية تتشكل وفق وعينا المحدد بالزمان والمكان وتتحدد بسقف ثقافتنا وضمن طائفة انتمائنا المحدودة. ورغم ذلك يبقى الربط بين الوعي الإنساني وبين فكرة الإنزال التي جعلها السيد شحرور قاعدة للتأويل ربط يستحيل فهمه. إذ كيف لقاعدة تخلق التأويل تتخلق في رحم التأويل الذي توجده؟ ولعل هذه هي الأمة التي تلد ربتها.

مناقشة القاعدة الثالثة:

اعتماد الترتيل في عملية ممارسة التأويل[106]. في هذه القاعدة يفصل السيد محمد شحرور بين ما يسميه القرآن وبين أم القرآن، هذه الأخيرة لا حاجة بنا ـ كما يقول ـ إلى اعتماد الترتيل بينما آيات القرآن لا تأويل لها دون التزام هذه القاعدة، والترتيل عنده هو ترتيب الآيات المتعلقة بموضوع واحد ومنه تأويل ألفاظها بهدف إبراز معانيها الكامنة خلف دلالاتها الظاهرة، وكأنه يريد بذلك اعتماد ترتيب جديد كالذي دعا إليه الكثير من الحداثيين، بحيث يراعى فيه التسلسل الزمني لورود الأحداث، ليخلصوا من ذلك إلى الدعوة بتاريخية النص الديني. لكن السيد شحرور يختلف عن غيره في اشتراطه الترتيب بهدف التأويل وفق وحدة المجال الذي تدور في أفقه الآيات المقصودة. وهذه الدعوة سبق ونادى بها الكثيرون من المشتغلين بعلوم التفسير، وبالتالي فهي ليست بدعا من الأفكار. إلا أن السيد شحرور ربطها بقسم من آيات القرآن يمثل ما تعلق بالمتشابه من

الآيات فقط، دون النظر إلى آيات المحكم التي تشكل آيات الأحكام فيها المحور الأساسي.

لقد ظهرت تفاسير للقرآن وفق ما يسمى وحدة الموضوعات التي تناولتا سور وآيات القرآن الكريم، وسمى هذا النمط بالتفسير الموضوعي الذي هو: (نوع من أنواع التفسير الذي بدأت أصوله تترسخ، ومناهجه تتضح منذ نصف قرن من الزمن، وأقر تدريسه في الجامعات، فهو إلى جانب التفسير التحليلي والإجمال والمقارن أصبح يشغل حيزا في الدراسات القرآنية المعاصرة)[107]. غير أن ما يدعو إليه السيد محمد شحرور باعتماده قاعدة الترتيل، هو إعادة ترتيل آيات القرآن أي ترتيبها بالتتابع الموضوعاتي، وهو يرى أنه لفهم الآيات المتشابهات (القرآن) وفق تقسيمه، لابد من جعل الآيات بترتيل موضوعاتها ونزولها، والترتيل عنده إعادة تنسيق وترتيب الآيات أرتالا، لأن الترتيل المقصود بقوله تعالى" ورتل القرآن ترتيلا" هو تنسيقه في أرتال متتابعة، وفق الموضوعات المطروقة في الآيات، وليس طرقية في قراءة الآيات كما تعارف عليه الرأي العام. غير أن هذا سيجرنا إلى طرح قضية إعادة ترتيب القرآن زمنيا حسب تاريخية نزوله، وهذه دعوة ليست بالجديدة، فقد اعتمد بعض القدامى فكرة إعادة ترتيب سور وآيات القرآن وفق هذا الطرح، كما كان مع ابن قتيبة الدينوري في تأويل مشكل القرآن، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن. ومن المحدثين نجد محمد عزة دروزة في تفسيره المسمى " التفسير الحديث ـ ترتيب السور حسب النزول"، لكنها محاولات كان يقول أصحابها إنما هي دعوة لفهم النصوص لا دعوة إلى إعادة ترتيب المصحف المتعبد بتلاوته، يقول محمد عزة دروزة في مقدمة تفسيره: ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة، بحيث تكون أولى السور المفسرة الفاتحة ثم العلق ثم القلم ثم المزّمل إلى أن تنتهي السور المكّية ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية لأننا رأينا هذا يتّسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته. إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنا بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدقّ، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جوّ نزول القرآن وجوّ ظروفه ومناسباته ومداه، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل»[108].

وقد غالى بعض المحدثين إلى درجة اعتبار النص القرآني ظاهرة تاريخية ومنتج ثقافي ينطبق عليه ما ينطبق على النصوص البشرية باعتبار تاريخيتها، وانتشرت هذه الدعوة مؤخرا عند الكثير من المفكرين الحداثيين أمثال: محمد أركون، نصر حامد أبو زيد بدرجة من الأرثوثكسية في الطرح، لكنها عند محمد عابد الجابري تظهر بدرجة

أخف. والحق أن محاولة السيد شحرور تختلف عن في ظاهرها عن طرح بقية الحداثيين، لكنها بعد التعمق في أبعادها الخفية، وبالربط بينها وبين أطروحاته كالموضوعية والعلمية، نجد أنفسنا أمام طرح كما سبق وأشرنا، يحمل في طياته بذور تناقضه، فحتى وإن سلمنا بفكرة الترتيل التي اعتمدها قاعدة للتأويل المعاصر، فإننا لن نظفر بشيء من العلمية التي يدعيها باعتماد هذه القاعدة لفهم تأويلي للآيات المتشابهات، خاصة فيما تعلق منها كما قلنا سلفا بالقضايا الميتافيزيقية الخالصة، أي ما ارتبط بالألوهية تحديدا.

مناقشة القاعدة الرابعة:

عدم الوقوع في التعضية[109]: هذه القاعدة وما يليها، لا تحتاج منا إلى كثير تبيان وتحليل، فهي في جملتها مجرد حشو أراد به توسيع قواعد التأويل التي اقترحها، ورغم ذلك سنشير إلى شيء من تهافتها. والتعضية مشتقة من العضن المأخوذة من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[110] أي عدم تقسيم ما لا ينقسم، ولعمري ماذا يمكننا أن نقول في تفصيلاته وتقسيماته للمصحف، أو بماذا نصف تمييزه بين المحكم والمتشابه؟ غير أن مجمل القول في هذه القاعدة أنها تتنافى مع المنهج الموضوعي العلمي الذي يدعو إلى بلوغه. يقول بهذا الصدد: والتعضية في القرآن تعني أن الآية القرآنية قد تحمل فكرة متكاملة وحدها أو فقرة من موضوع كامل. غير أن العلمية التي يدعو إليها تقوم على الانتقال من الجزء وهو الأهم في عملية الاستقراء، ليتم التعميم على الكل، في حين أن قاعدته تنفي فكرة التبعيض والاعتماد على المعنى الكامل في الآية الكاملة. فكيف نفهم مثل هذا اللبس الذي يدعو إليه؟

مناقشة القاعدة الخامسة:

فهم أسرار مواقع النجوم[111]. هذه العبار يقصد بها فواصل الآيات القرآنية، «لا مواقع النجوم في السماء، وهي من مفاتيح تأويل القرآن وفهم آيات الكتاب كله»، وكأنه يستند هنا إلى الفهم الباطني للقرآن، ولعل مثل هذه التأويلات تذكرنا بتلك التي نجد الكثير منها عند المؤولين الشيعة كابن حيون في "أساس التأويل"، تجعلنا نقر له بوافر اطلاعه على ما تضمنته المدونة التراثية في الموضوع، كما نقر له بباع كبير في القدرة على التلفيق بين الأفكار والربط بينها وفق منطق الأغاليط. غير أن اجتهاده في هذه القاعدة مردود عليه من زاويتين: الأولى، كون إعادة ترتيب الآيات بدمج آيتين أو ثلاث في آية واحدة، بدل ما هي عليه في المصحف المكتوب، لا يقدم ولا يؤخر في عملية فهمها وتأويلها شيئا. إن الأرتال المتعاقبة من كتبة الوحي وعلماء اللغة والبلاغة والذين

أصلوا لعلوم الرسم والتوثيق، لم يكن ليفوتهم ما قاله من أن المعنى قد لا يكتمل عند نهاية آية، أو أن آية واحدة قد تحوي من الدلالات والمعاني الكثير. ولذا عمد النساخ والكتبة إلى قواعد لا يتجاوزها الخطاطون في كتابتهم للمصحف، لقد كتب المصحف وفق ما بلغهم من الروايات المتواترة، وما كانوا ليجتهدوا فيما بلغهم صحته عن الذي أنزل عليه. وأقصى ما يمكن أن نقوله في هذه القاعدة هي أنها غير مقنعة ولن تجعلنا نعيد حساب آي القرآن وفق ما بلغه اجتهاد السيد محمد شحرور، ونضرب عرض الحائط ما بلغنا عبر كامل المدونة التراثية وما حوته من اجتهادات أرتال العلماء، لن نقر معه أنهم كانوا على خطأ في اجتهاداتهم، بعد ما تبين لنا صحة تهافت اجتهاداته الملتبسة. والبين من إيراد هذه القاعدة أنها كسابقتيها لم ترد إلا لتزيد توسيع كم القواعد المقترحة، مع أنها في الحقيقة لم تزد إلا من غموض وتهافت المنهج الذي يدعو إليه.

مناقشة القاعدة السادسة:

قاعدة تقاطع المعلومات[112]، وتقضي هذه القاعدة بانتفاء أي تناقض بين آيات الكتاب كله في التعليمات والتشريعات. هكذا قوله في توضيح معنى هذه القاعدة التأويلية، وإذا سلمنا بصحة قوله فإن ما يبدو لنا متناقضا ليس هو اعتماده هذه القاعدة في تأويل الكتاب، وكنا نعتقد أن الكتاب كما وضح في بداية كتابه، يحوي الآيات المتشابهات التي وصفها بالوجود الموضوعي، أما ما تعلق بالتشريع منها فوصفه بالوعي الإنساني، وبالتالي كما قال فإنه آياته تفهم بغير حاجة إلى أي تأويل. فكيف نحتاج إلى مثل هذه القاعدة وهي تتعلق بالتعليمات والتشريعات التي هي ليست في تصنيفه من ضمن آيات الكتاب، وإنما صنفها ضمن آيات " أم الكتاب"؟ هنا نعود إلى التناقض الذي يجعل كل منظومته التأويلية محض تناقضٍ ولُبسٍ لا مبرر منهجي ولا معرفي لهما.

لقد كان الأحرى بالسيد محمد شحرور، رصف قواعده وضبطها ودمجها في قاعدتين أو ثلاث، وتفادي هذا الحشو الذي لا طائل منه سوى إهالة التناقضات كالظلمات بعضها فوق بعض. إن اعتماد المنهج الموضوعي المادي لبناء تأويل علمي تجريبي، يقتضي مطابقة الموضوع للمنهج المعتمد، غير أن السيد محمد شحرور رحمه الله، توهم أن آيات النص القرآني، تتطابق مع آيات التجسيد الكوني، فحاول أن يفهمنا بأن فهم قضايا العالم الميتافيزيقي والغيب المطلق، يمكن فهمها باستخدام التأويل بهدف إسقاط نتائج تأويلاتنا لتتجسد في ظواهر الكون المادي. لكن هذا التناقض الإبستيمولوجي بين موضوعين غير متشابهين، لا يمكن أن يبرر إلا بأن الخلط بين المفاهيم والمصطلحات، أنتج في ذهن صاحبه هذا الخلط بين الموضوعات، فجاءت دعوته إلى استخدام منهج

التأويل الذي ابتدع له قواعد خاصة، ثم ربطه بالعلم التجريبي مع أن العلم يفسر ولا يؤول، وغاب عنه أن ما أرادنا أن نؤوله هو آيات أغلبها تتكلم عن حقائق كلية مطلقة، إن نظرنا إليها باعتبار أنها تتعلق بالألوهية والكلام والعلم الإلهيين، فهي مما لا نستطيع إخضاعه لقواعد العقل الاستدلالي ولا لقواعد الاستقراء المادي. كما أن ادعاء «مطابقتها بما توصل إليه العلم الموضوعي من إنجازات علمية، وكل حسب اختصاصه، وهذا ما نسميه المدرك من عالم المحسوسات، مع الفهم العقلاني للآيات المراد تأويلها، أي مطابقة المحسوس للمعقول مطابقة تامة»[113]، هو ادعاء باطل، إذ كيف نطابق بين ما توصل إليه العلم الموضوعي في المدرك من المحسوسات بالقضايا التي هي أبعد ما تكون عن إمكانية إدراكها إدراكا حسيا. كما أن المعقول قد يحتوي على كامل المدرك الحسي في حين أن الحسي لا يتقاطع مع العالم المعقول إلا في جزء يسير، إذ المعقول يستغرق المحسوس، أما العكس فغير صحيح وفق المنطق إن تكلمنا بلغة قواعد المنطق العقلي كما حددها المناطقة عبر التاريخ منذ أرسطو إلى يومنا هذا. وأخيرا نقول ـ ما شهدنا إلا بما علمنا وما نحن للغيب حافظين ـ إن السيد محمد شحرور رحمه الله اجتهد فله أجر المجتهد، أما أن نقول بأنه أصاب، فاللهم نعم: لقد أصاب لب التناقض لا الصواب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر طوبيا، نسخة الآباء اليسوعيين، دار المشرق، بيروت لبنان، ط ٣، ١٩٩٤. الإصحاح (١٢ ـ ١١)، ص ٨٩٤.

الكتاب المقدس، العهد الجديد، في نسخة الآباء اليسوعيين، ص ٢٧٨،

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت ـ لبنان، ص: ١٣٢٨. ط/١، ٢٠٠٢.

يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي أبو عمر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية، المغرب، الطبعة ٢، ١٩٨٢، ج: ١١.

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ج:١٠، ص: ٣٢٤.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، ج ٨، ص: ٤٠٢.

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، طبعة ١٩٩٦، ج ١٠.

محمد شحرور: أم الكتاب وتفصيلها، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥..

فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص: ٧٤.
أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩.
فخر الدين محمد الرازي: مفاتح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ج٢٨.
عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، المطبعة الأميرية بمصر، الطبعة الأولى، ١٨٨٩، ج٠١، ص: ٦٨.
جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، طبعة: ١٩٨٢.
أبو الحسن الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، مطبعة مصر، القاهرة ـ مصر، ١٩٥٥.
أبو المعالي عبد الملك الجويني: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ـ مصر طبعة ١٩٩٢.
هانز غيورغ غادامير: بداية الفلسفة، ترجمة على حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة، ١. ٢٠٠٢.
البابا بينيدكت السادس عشر: العقل والإيمان في التقاليد المسيحية والحاضر المسيحي، جريدة المستقبل، العدد: ٢٣٨٨، ٢٠٠٦/٠٩/١٦ .
أبو الوليد بن رشد: فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تقديم محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء ١، دار المعارف، القاهرة / مصر، ط ٩، ١٩٩٥،
الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، مرجع سابق، ص: ٤١١. وانظر أيضا: عبد الهادي الفضلي: خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي، بيروت / لبنان، ط٢، ١٩٩٣، ص: ٢٥٨.
هشام جعيط: الوحي والقرآن والنبوة، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ص: ٣١.
نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠١٤.
بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، طبعة دار التراث، القاهرة، ٢٠١٥، ج،١.
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، طبعة ١٩٨٦، ج: ١.
محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج: ٠٩.
مصطفى مسلم (تأليف جماعي): التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ج ١.
محمد عزة دروزة: التفسير الحديث ـ ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ج ١.
- René Guénon : Autorité spirituel et pouvoir temporel, Edition Vegas, Paris : 2000
- René Guénon ; LA métaphysique Orientale, Editions Traditionnelles, Paris, 1985.
- René Guénon: L´Ésotérisme De Dante ،Édition, Gallimard, Paris, 1997 .
- Ibid. p. 230.(Voir aussi : René Guénon. Le Règne de la quantité et les signes des temps ; Editions Gallimard, Paris, 1945.
- Henri Bergson: L'évolution créatrice. Felix Alcan, Paris, 2000, p. 218 .
- Guénon René : Orient et Occident, Édition de La Maisnie, Paris. 1987..

- Émile Bréhier : Les idées philosophiques et religieuses de Philon d'Alexandrie, Librairie Alphonse Picard & Fils, Paris, 1908, P: 6 - 7.
- G. Gusdorf: Les origines de l'herméneutique, Payot, Paris, 1988
- M. Louis: Philon le juif, Edition, Bloud & Cie, Paris, 1911

الهوامش

-الأستاذ الدكتور عطية بن عطية جامعة عمار ثليجي الأغواط الجزائر.

١ ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر طوبيا، نسخة الآباء اليسوعيين، دار المشرق، بيروت لبنان، ط ٣، ١٩٩٤. الإصحاح (١٢ ـ ١١)، ص ٨٩٤.

٢ ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر دانيال، نسخة الآباء اليسوعيين، الإصحاح (٢ ـ ٤٧)، ص ١٨٦٢.

٣ ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أيوب، الإصحاح (٣٢ ـ ٠٨)، ص ١٠٩١.

٤ ـ الكتاب المقدس، العهد الجديد، إلى أهل أفسوس، الإصحاح (٠١ ـ ١٣)، ص ٥٩١.

٥ ـ الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح (٠٦/١٤ ـ ٠٧)، ص ٣٣٧.

٦ ـ الكتاب المقدس، العهد الجديد، في نسخة الآباء اليسوعيين، ص ٢٧٨، ورد بلفظ الحق بدل الحقيقة.

٧ ـ سورة: طه، الآية: ١١٤.

٨ ـ سورة: الحج، الآية: ٠٦.

٩ ـ سورة: البقرة، الآية: ١٤٧.

١٠ ـ سورة: آل عمران، الآية: ٧١.

١١ ـ سورة: البقرة، الآية: ٩١.

١٢ ـ سورة: محمد، الآية: ٠٢.

١٣ ـ سورة: البقرة، الآية: ٢٦.

١٤ ـ سورة: غافر، الآية: ١٥.

١٥ ـ سورة: الشورى، الآية: ٥٢.

١٦ ـ سورة: الحجر، الآية: ٢٩.

١٧ ـ سورة: الاسراء، الآية: ٨٥.

١٨ ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت ـ لبنان، ص: ١٣٢٨. ط/١، ٢٠٠٢.

١٩ ـ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي أبو عمر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية، المغرب، الطبعة ٢، ١٩٨٢، ج: ١١، ص٥٦ ـ ٥٨.

٢٠ ـ سورة: الاسراء، الآية: ٨٥.

٢١ ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ج:١٠، ص: ٣٢٤.

٢٢ ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، ج ٨، ص: ٤٠٢.

٢٣ ـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، طبعة ١٩٩٦، ج ١٠، ص: ٢٧.

٢٤ ـ محمد شحرور: أم الكتاب وتفصيلها، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص: ١٥٧.
٢٥ ـ فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص: ٧٤.
٢٦ ـ سورة آل عمران، الآية: ١٨١.
٢٧ ـ سورة المجادلة، الآية: ٠١.
٢٨ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩، ص: ٢٠٩.
٢٩ ـ سورة محمد، الآية: ٣١.
٣٠ ـ فخر الدين محمد الرازي: مفاتح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ج٢٨، ص: ٧٠.
٣١ ـ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، المطبعة الأميرية بمصر، الطبعة الأولى، ١٨٨٩، ج٠١، ص: ٦٨.
٣٢ ـ جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، طبعة: ١٩٨٢، ص: ٢١٩.
٣٣ ـ الجيلي: الإنسان الكامل، المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
٣٤ ـ سورة: النحل، الآية: ٤٠.
٣٥ ـ أبو الحسن الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، مطبعة مصر، القاهرة ـ مصر، ١٩٥٥، ص: ٢٨.
٣٦ ـ أبو المعالي عبد الملك الجويني: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ـ مصر طبعة ١٩٩٢، ص: ٢٨.
٣٧ ـ أم الكتاب وتفصيلها، المصدر نفسه، ص: ١٥٨.
٣٨ ـ المصدر نفسه، ص: ١٦٢.
٣٩ ـ سورة: الجمعة، الآية: ٠٩.
٤٠ ـ أم الكتاب وتفصيلها، المصدر نفسه، ص: ١١٧.
٤١ ـ المصدر نفسه، ص: ١٥٨.
٤٢ ـ سورة: التحريم، الآية: ٠٣.
٤٣ ـ أم الكتاب وتفصيلها، المصدر نفسه، ص: ١٢٣.
٤٤ - René Guénon: Autorité spirituel et pouvoir temporel, Edition Vegas, Paris: 2000, p: 76-77.
٤٥ - René Guénon ; **LA métaphysique Orientale**, Editions Traditionnelles, Paris, 1985, P.11.
٤٦ ـ المرجع نفسه، ص: ١١.
٤٧ René Guénon: L´Ésotérisme De Dante، Édition, Gallimard, Paris, 1997. P: 25.
٤٨ Ibid. P: 07.
٤٩ ـ هانز غيورغ غادامير: بداية الفلسفة، ترجمة على حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة، ١. ٢٠٠٢. ص. ٨٢.
٥٠ ـ سورة الأنعام، الآية: ٣٣.
٥١ ـ أم الكتاب وتفصيلها، نفس المصدر، ص: ١٦٣.
٥٢ ـ الصفحة نفسها: ١٦٣.
٥٣ ـ سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
٥٤ ـ فخر الدين محمد الرازي: مفاتح الغيب، مرجع سابق، ج: ١٢، ص: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
٥٥ ـ محمد شحرور: أم الكتاب وتفصيلها، مصدر سابق، ص: ١٦٥.

٥٦ ـ سورة: المائدة، الآية: ٦٧.
٥٧ ـ سورة: النحل، الآية: ٤٤.
٥٨ - Ibid. p. 233.
٥٩ - Ibid. p. 230.(Voir aussi: René Guénon. Le Règne de la quantité et les signes des temps ; Editions Gallimard, Paris, 1945. P: 130.)
٦٠ - Ibid. p. 232.
٦١ - Henri Bergson: L'évolution créatrice. Felix Alcan, Paris, 2000, p. 218.
٦٢ - Guénon René: Orient et Occident, Édition de La Maisnie, Paris. 1987. p, 52.
٦٣ - Émile Bréhier: Les idées philosophiques et religieuses de Philon d'Alexandrie, Librairie Alphonse Picard & Fils, Paris, 1908, *P: 6 - 7.*
٦٤. Ibid; P. ٧٠٣
٦٥ - Ibid; *P: 12.*
٦٦. *أبو الوليد بن رشد: فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تقديم محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص: ٩٦.*
٦٧ ـ ﴿ وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً. ٢٢لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ]. الكتاب المقدس: العهد القديم ـ سفر الخروج، الآيات ٢٠ ـ ٢١.
٦٨. - G. Gusdorf: Les origines de l'herméneutique, Payot, Paris, 1988, p. 43
٦٩ ـ البابا بينيدكت السادس عشر: العقل والإيمان في التقاليد المسيحية والحاضر المسيحي، جريدة المستقبل، العدد: ٢٣٨٨، ٢٠٠٦/٠٩/١٦، ص١٩.
٧٠ ـ سورة المائدة، الآية: ٦٧.
٧١ ـ سورة النساء، الآية: ١٣٦.
٧٢ ـ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء ١، دار المعارف، القاهرة / مصر، ط ٩، ١٩٩٥، ص: ١٩١ وما بعدها.
٧٣ ـ الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، مرجع سابق، ص: ٤١١. وانظر أيضا: عبد الهادي الفضلي: خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي، بيروت / لبنان، ط٢، ١٩٩٣، ص: ٢٥٨.
٧٤ ـ سورة الأنبياء، الآية: ٤٥.
٧٥ ـ هشام جعيط: الوحي والقرآن والنبوة، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ص: ٣١.
٧٦ ـ سورة الشورى، الآية: ٥١-٥٢.
٧٧ ـ الوحي والقرآن والنبوة، مرجع سابق، ص: ٦٣.
٧٨ ـ سورة المائدة، الآية: ١١١.
٧٩ ـ سورة طه، الآية: ٣٨.
٨٠ ـ سورة النحل، الآية: ٦٨.
٨١ ـ سورة الزلزلة، الآية: ٠٥.
٨٢ ـ نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠١٤، ص:٣١ .
٨٣ ـ المرجع نفسه، ص:٣٢ .
٨٤ ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، طبعة دار التراث، القاهرة، ٢٠١٥، ج،١، ص:٢٢٩.

٨٥ ـ نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، مرجع سابق، ص:٤١.

٨٦ ـ الزركشي، مرجع سابق، ص:٢٢٩ .

٨٧ ـنصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، مرجع سابق، ص:٤٨ ـ ٤٩ .

٨٨ ـ الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، مرجع سابق، ص: ١٠٥ وما بعدها.

٨٩ - M. Louis: Philon le juif, Edition, Bloud & Cie, Paris, 1911. P: 14.

٩٠ - Ibid, P: 18.

٩١ - Ibid ; P: 18.

٩٢ - Ibid ; P: ٢٢.٢١/

٩٣ ـ محمد شحرور: أم الكتاب وتفصيلها، مصدر سابق، ص: ١٦٥.

٩٤ ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، طبعة ١٩٨٦، ج: ١، ص: ٤٠٥.

٩٥ ـ المرجع نفسه، ج: ١، ص: ٤٠٧.

٩٦ ـ المرجع نفسه، ج: ١، ص: ٤٠٥.

٩٧ ـ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، مرجع سابق، ج: ٠٩، ص: ٢٣.

٩٨ ـ المرجع نفسه، ج: ٠٩، ص: ٢٤.

٩٩ ـ سورة: الأعراف، الآية: ١٢٩.

١٠٠ ـ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج: ٠٩، ص: ٦١.

١٠١ ـ سورة: الروم، الآية: ٠٤.

١٠٢ ـ سورة: الروم، الآية: ٠٤.

١٠٣ ـ محمد شحرور: أم الكتاب وتفصيلها، مصدر سابق، ص: ١٦٥.

١٠٤ ـ المصدر نفسه، ص: ١٦٥.

١٠٥ ـ سورة: الواقعة، الآية: ٦٩.

١٠٦ ـ محمد شحرور: أم الكتاب وتفصيلها، مصدر سابق، ص: ١٦٥.

١٠٧ ـ مصطفى مسلم (تأليف جماعي): التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ج ١، ص: أ.

١٠٨ ـ محمد عزة دروزة: التفسير الحديث ـ ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ج ١، ص: ٠٩.

١٠٩ ـ محمد شحرور: أم الكتاب وتفصيلها، مصدر سابق، ص: ١٦٦.

١١٠ ـ سورة: الحجر، الآية: ٩١.

١١١ ـ محمد شحرور: أم الكتاب وتفصيلها، مصدر سابق، ص: ١٦٦.

١١٢ ـ المصدر نفسه، ص: ١٦٨.

١١٣ ـ المصدر نفسه، ص: ١٦٨.

ملف العدد

العلاقة بين الدين والعلم والفن في فكر النورسي

البروفسور: لخضر شريط[1]

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على مفردات هي الدين والعلم والفن ليبرز أهمية العلاقة التي تربط بينهما من خلال تصور الاستاذ النورسي. والذي يستخلص من هذه العلاقة النموذج المقتدى من خلال جملة المقارنات مع مفردات جاء بها ما بعد عصر النهضة الاوربي، ليصل من ذلك إلى نتائج جد مهمة لعملية تصحيح المفاهيم وإبراز قوة التصور التجديدي الذي جاء به، وهو بذلك يطرح هذه المسائل بأدلة وببراهين جاءت دوما في رسائل النور. فإلى أي مدى كان طرح النورسي تجديديا؟

تلك هي الاشكالية التي نحاول فك خيوطها باستعمال مصادر ومراجع تفي بالغرض بحول الله.

الكلمات المفتاحية: الدين، العلم، الفن، النورسي، العلاقة، الفكر.

The relation between religion, science and art in the thought of Nursi

Prof. Lakhdar Charait

Abstract

This research aims to stand on the vocabulary: religion, science and art, to highlight the importance of the relationship between them through the perception of Professor Nursi.

Which extracts from this relationship the model (Al-Muqtada) through a set of comparisons with the vocabulary that came after the European Renaissance. In order to reach very important results for the process of correcting concepts and highlighting the strength of the innovative conception that he brought, he thus raises these issues with evidence and proofs that have always come in the Risa'il al-Nur .To what extent was Nursi's innovative proposal?

This is the problem that we are trying to unravel by using sources and references that meet the purpose, God willing.

Keywords: Religion, Science, Art, Nursi, Relation, Thought.

يدخل هذا البحث في إطار البحوث التي تهتم بالعلاقة التي تربط بين الدين والعلم والفن من خلال تصور الاستاذ النورسي. هذه العلاقة التي ما نفكت تتأرجح بين الجمود والجحود من جهة. ومن جهة أخرى ما نفكت تغير مسار الحضارة ومسار التاريخ. وعليه فإن الهدف هو ابراز ما تتسم به هذه المفردات في البناء الحضاري حين تقوم تحت التصور الآنف الذكر، فمتى ما تهدم البناء الحضاري ومتى ما تيسر للهدم بمعاوله من خلال الفلسفات التي تنازعت على قيادة الانسانية. ومتى ما عرف التاريخ منعرجاته.

لقد ناقش الاستاذ النورسي هذه المسائل الثلاثة مجتمعة معا ومتفرقة معا، والمآالات التي آلت إليها، في بحر تاريخ الانسانية. فإذا كانت البشرية اليوم تعاني من مخلفات وإفرازات حربين عالميتي فهي في نظر الأستاذ من الأخطاء التي ارتكبت في حق أحد هذه المفاهيم، بمعنى كانت البشرية على هاته الحالة لما وظف الدين بمثابة الكهنوت وأعطى الفرصة بذلك للاكليروسات التي عبثت به.

وهي في نظر الاستاذ مما انجرت عليه من معضلة ابعاد العلم عن الدور الذي كان يجب أن يقوم به، وهو العلم في خدمة الانسانية، وتحول إلى سلاح ذو حدين من حادثة: ذاك الطلاق الذي حصل بين رجال الدين ورجال العلم في أوربا، من جهة ومن جهة أخرى، من ذاك الانطفاء الذي عرفته الشعلة الايمانية عبر القرون في الرقعة الجغرافية للعالم الاسلامي.

وأما بخصوص الفن فإن الاستاذ النورسي قدمه من التصور الاسلامي لهذه الركيزة الأساسية في مفاهيم القرآن الكريم وفي السنة النبوية، دون أن يهتم بما قدمه التراث العربي الاسلامي في هذا الشأن، ذلك أنه تصور نابع عن منبعه الأساس: الأول للإسلام. والاساس الثاني له ذلك أن القرآن والسنة النبوية هما الذان يجب على المسلم أن يشد عليهما بالنواجذ. ومن هنا فإن توجه الاستاذ نحو هذه الوجهة لهو من قلب الحقيقة.

لكن مهما كان عن هذا الاهتمام بالأصول الأولى للقرآن والسنة، فإن اشكالية بحثنا تدور حول ما مدى الأهمية او التأويل الذي قدمه الاستاذ لهذه المبادئ التي جاء بها الاسلام في مجال: الدين و العلم والفن وسوف نتتبع الخطوات التالية:

- **الدين والعلم والفن المعنى والدلالة والتاريخ.**
- **حقيقة التطور للمفاهيم في تصور الاستاذ:**

أولا:حقيقة التطور في الدين.بين الجواهر والأعراض.

ثانيا: العلم بين الحقيقة والأوهام

ثالثا: الفن (الجمال) بين المفهوم والتجلي.

- **أثر كل من الدين والعلم والفن على الانسانية.**

نحاول ان نتفحص كل من هذه المفاهيم معتمدين على مؤلفات الاستاذ النورسي حتى تتجلى لنا وللقراء الحقيقة: حقيقة موقف النورسي من هذه المفاهيم. وحتى تتجلى للقراء حقيقة ما كان يدافع عنه هذا الاستاذ مستشهدين دائما بالنصوص الأصلية من رسائل النور. كما يمكننا ان نعتمد على المراجع التي بينها تباين بخصوص هذا الموقف وعليه فإن منهج البحث عندنا هو منهج تحليلي تركيبي للأفكار. كما أننا نعتمد كذلك على منهج المقارنة وبالتالي الاستقراء استقراء الحقائق الناصعة. ونعرج من حين لآخر على المنهج التاريخي لدى الاستاذ، لستنتج به أيضا حقائق لطالما تناولها المؤرخون في تاريخ الدين والعلم والفن، لنرى من خلالها المواقف التاريخية الحقيقية اتجاه أولئك المزيفين لحقائقه.

أولا: الدين والعلم والفن: المعنى والدلالة والتاريخ.

الحقيقة إن كلمة دين لها من التأويلات ومن المفاهيم العديدة ما يجعلها كلمة تتأرجح بين الملل والنحل، ومما يجعلها تتدحرج عبر التاريخ الطويل للإنسان. لكن فسواء عبد الانسان البعض مما في الطبيعة، أو عبد البعض الآخر من خارج الطبيعة إلا أن الكل يجمع على أنها الطاعة والخضوع والخنوع. مع أن العلم "أن المحب لمن يحب مطيع" ومن هنا فكلمة دين من معانيها التي وردت في القرآن: الحساب: نفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[2] .والمراد منه حساب يوم القيامة ووردت الكلمة في سورة الذاريات بالمعنى نفسه في سورة الذاريات قال تعالى ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[3] بمعنى كما قلنا الحساب. ووردت بمعنى الرسالة السماوية وجاءت كلمة دين بمعان أخرى لكنها أساسية: منها دين بمعنى المنهج ومنها دين بمعنى العقيدة ومنها دين بمعنى العبادة والشعائر.

فبمعنى كلمة المنهج كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [4]. وبمعنى كلمة العقيدة كقوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[5] ومن المعاني التي وردت بها الكلمة أي كلمة دين بمعنى الكتاب السماوي، ومن ذلك ماجاء في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[6] كما وردت اللفظة بمعنى

العبادة والشعائر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [7] كما وردت بالمعنى نفسه في سورة الزمر يقول الله سبحانه وتعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[8]. كما وردت أيضا بمعنى الشريعة ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[9] وكذلك في قوله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[10] ووردت بمعنى الله جل وعلا: نفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[11] كما جاء بمعنى العهد والميثاق: نفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾[12]. فكلمة الدين هنا جاءت مرادفة لكلمة ميثاق. وجاءت بمعنى العلم: نفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[13]

ووردت بمعنى حكم: نفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾[14] أي في حكم الملك .بمعنى أن كلمة دين التي يعبر بها عن الخنوع والخضوع لله سبحانه وتعالى تجلب في داخلها معاني جزئية توظفها كما وظفها القرآن الكريم حسب المشهد وحسب الحاجة.

لكن كل المعاني الواردة في القرآن هي معاني تأتي وفق السياق العام الذي جاء في السورة أو في الآية بمعنى أن كلمة دين لها معان عديدة تستعمل وفق الحاجة القرآنية هنا. لكن الملاحظ والغالب أن كل هذه المعاني مربوطة إلى المعنى الذي أشرنا إليه سابقا. أى من الدينونة التى تعنى الخضوع والخنوع يقول فى هذا المعنى سيد قطب:" فهى عقيدة التوحيد لله. ومن ثم يجعل الدين هو الإسلام لله. ولا دين سواه.. الإسلام بمعنى الاستسلام والطاعة والاتباع. الاستسلام لأمره، والطاعة لشرعه، والإتباع لرسوله ومنهجه. فمن لم يستسلم ويطع ويتبع فليس بمسلم، ومن ثم فليس بصاحب دين يرضاه الله. فالله لا يرضى إلا الإسلام. والإسلام- كما قلنا- الاستسلام والطاعة والاتباع.. ..." [15] أما الاستاذ مالك بن نبى فلقد أشار إلى من معانى كلمة دين يقول: إن الدين في ضوء القرآن له غايتان، فإن قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[16] يتبين منها أن الدين غايته أن يربط الأرض بالسماء، وهو حين ينشئ الشبكة الروحية التي

تربط الفرد والمجتمع بالله، فإنه فى الوقت نفسه يبنى شبكة العلاقات الاجتماعية التى تتيح لهذا المجتمع أن يضطلع بمهمته الأرضية، وأن يؤدى نشاطه المشترك، وهو بذلك يربط أهداف السماء بضرورات الأرض.. فهذا القانون الذى بينته الآية، لم يرد أن يفصل الناس عن الأرض، ولكن أراد أن يفتح لهم طريقًا أعظم خيرًا ليضطلعوا بعملهم الأرضي"[17]

ويأتي بمعنى كلمة دين في اللغات الأجنبية سواء الفرنسية Religion أو الانجليزية: Religious وهي تعني في ما تعني ربط الناس بعضهم لبعض برباط السماء وهو المعنى الذي يفهمه بن نبي من البنية اللغوية للكلمات في هذه اللغات. وهو من الدلالة اللغوية ينفذ إلى الدلالة العلمية له.

حقيقة التطور في الدين.بين الجواهر والأعراض.

وبخصوص الاستاذ النورسي فإنه يكشف لنا عن الاصل الأول للحقيقة الدينية وهي باختصار ما يمكننا أن نصطلح عليه بالفطرة. لكن هذه الأخيرة متوفرة في الكيان البشري، أي أن كيان الانسان: وجدانه هو من الفطرة فهو ديني إن شئنا – لقد قال علماء الاتنوغرافيا اليوم بعد بحوثهم على الشعوب الراكدة " أن الانسان حيوان ديني"[18] لكن الأستاذ ينبه إلى أمر جد هام في هذه الفطرة ألا وهو العقل، وكأن هذا الكيان الذي سميناه بالفطرة وهو موسوم بالحقيقة الدينية ينطق من خلال جميع جوارح الانسان، كأن هذه الأخيرة تحاول دائما أن تكتشف مآلاتها في العبودية، حتى أنها تكون جوارح ترنوا إلى الصلاة، وجوارح ترنوا إلى الصوم، وجوارح ترنوا إلى الحج، وجوارح ترنوا إلى الزكاة والصدقات و...وأخرى ترنوا إلى كل عمل خيري، وهو ذا مجال جد واسع وكل ذلك إنما يتم لها من خلال التوجيه الذي ركب في ذات الانسان من العقل. وهو ما يشير إليه في قوله: الحقيقة الدينية وتجربة النورسي في مثنويه تعلمنا بأن أكثرها علوا وشرفا -لا يمكن أن تفصح عن نفسها، وتكشف عن سرها إلاّ إذا بحث عنها وجهد في استكشافها الكيانُ البشري برمته، أي بنزاهة الفكر، وإخلاص الضمير، وطهارة الروح والبدن، لأن كل هذه الجوانب- التي منها يتكون الكيان البشري ويستقيم أمره لها مجساتها الخاصة التي بها تجس جانبا من جوانب الحقيقة وتتلمسها متلذذةً بهذا التلمس والتحسس .وبمجموع هذه المجسات المتساندة والمتعاونة في الكيان البشري، وبالجوارح جميعا المادية والمعنوية -يمكن الإحاطة بالحقيقة الدينية والتقاطها وجعلها تسفر عن نفسها كأنصع وأجمل ما تكون، لتنال كلُّ جارحة منها حظها، وترتشف منها ما يلائم مزاجها، ويرضي حاسة ذوقها."[19] .

وعليه يمكن القول أن الحقيقة الدينية تجري مجرى الدم في الانسان. وفي هذا الشأن يضرب لنا النورسي أجل مثل اتجاه هذه المسألة لكي يوضحها وهو مثل قضية الاسراء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكيف كان له ذلك الاسراء بجانبيه المادي والروحي أي أن حادثة الاسراء إنما كانت لان كيان الرسول صلى الله عليه وسلم مثل للبشرية قد ركب تركيبا عينيا للحادثة أي أن الكيان فيه أي الحقيقة الدينية كان لا بد لها من الاسراء.

والنورسي عندما يتكلم عن الحقيقة الدينية وأصلها فلا يجعل هذا الأصل من لبنات العقل. كما يقول البعض وإنما يجعلها من لبنات الكيان الانساني: أي كا نها لاصقة به. كما قلنا وهو يوضح هذه المسألة من خلال تلك الحقيقة الدينية التي انتشرت وبدأت في الشرق ولم تنتشر ولم تبدأ من الغرب. لماذا ؟لأن التاريخ أكد لنا أن كل الحقائق الدينية كان مهدها الشرق. بينما كان مهد الحقائق العقلية الغرب: يقول في هذا المعنى: "إنَّ ظهور أكثر الأنبياء في الشرق وأغلب الفلاسفة في الغرب رمزٌ للقدر الالهي بأن الذي يستنهض الشرقَ ويقوّمه إنما هو الدين والقلب، وليس العقل والفلسفة ..فمادمتم قد أيقظتم الشرقَ ونبهتموه، فامنحوهم نهجا ينسجم مع فطرته .وإلاّ فستذهب مساعيكم هباءً منثورا، أو تظل سطحية موقتة."[20] وهو مع كل ذلك لما كان ينبه لحقيقة المنبع والأصل فإنه ينبه أيضا لحقيقة أخرى دينية تتمثل في التحذير من التهاون في الامور الدينية لأن هذا كان سبب تمزق العالم الاسلامي وهي الحقيقة التي يتمزق عليها الغرب بسبب التهاون دائما حتى في معتقداته العقلية يقول النورسي:" ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء مع التهاون في الدين، حيث اقتربت الحقائق القرآنية من الظهور وأوشكت الحضارة الأوربية الضالة المسؤولة عن ضعف الدين على التمزق والانهيار أما القيام بعمل سلبي فليس الإسلام بحاجة إليه، كفاه ما تعرض له من جروح ومصائب." [21] وعليه فالمصيبة حسبه إنما أتت على الأخضر واليابس لحضارة الاسلام بسبب التهاون في الحقائق الدينية. ولذلك لا يمكننا أن نقدم العمل السلبي في شيء على العمل الإيجابي أبدا. لأن ذلك كانت نتائجه محتومة. والمثل على ذلك بدايات التدهور للحضارة الغربية للسبب نفسه. ويظيف "إنَّ التهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى ضعف الأمة، والضعف يغري العدو فيكم ويشجعه عليكم ولا يوقفه عند حدّه."[22] وعليه فلا مناص من أن الحقائق الدينية تؤول إلى زوال الحقائق الحضارية هنا أو هناك، وفي كل بقاع الدنيا.

والاستاذ يجعل لهذا الأصل للحقائق الدينية عمادها وجواهرها ألا وهو الاخلاص. ذلك أن الحقائق الدينية تنمو وتزدهر في ضل هذا المبنى أي الاخلاص، فلطالما سئل

الاستاذ حتى على المشاركة في المسائل السياسية، لكنه كان يأبى ويقول أن هذه الحقائق الدينية تكون مخلصة لكي لا تشوبها شائبة من الجمعيات السياسية، لما لها من قدسية الرسائل النورية. وحتى لا يتضعضع الاخلاص فيها وفي جماعة النور كان دوما يرشدهم إلى الاستمساك بهذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها: أي إلى الاخلاص في العمل. من جهة ومن جهة أخرى، كان ينبه الغافلين من النورانيين: (طلبة رسائل النور) حتى إلى أن الاخلاص لديكم سوف يجلب لكم الخيرات التي لا توزن بالميزان المادي بل الخيرات التي وزنها الذي لا ميزان له ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[23]

يقول الاستاذ: "وفي الحقيقة، إنه من الصعوبة بمكان الحفاظُ على سر الإخلاص في خضم الصراعات المتنافرة للتيارات الحالية، ومن العسير الحيلولة دون جعل الدين وسيلة لمكاسب دنيوية، لذا فإنّ أفضلَ علاج لهذا هو الاستناد الى العناية الالهية وتفويضُ الأمر إلى توفيق رب العالمين، بدلاً من الاستناد إلى قوة التيارات الحالية"[24]

ومن خصائص الحقائق الدينية أن بها خصلة حميدة هي الشفقة. والنورسي يرشد إليها أيما ارشاد، ذلك أن هذه الأخيرة هي التي تجعل الانسان أو الطالب النوري يتغلب بها على الفتن ما ظهر منها وما بطن، لأن التمسك بها اعتماد طريق الرشاد، وعدم التمسك بها مهلكة واتباع لسبيل الغي "﴿ .... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[25]. يقول: ومن جملة الأسباب الداعية لاجتنابنا هذا (الفتن الدنيوية) هو الشفقة التي هي أساس من الأسس الأربعة لرسائل النور، أي عدم التلوث بظلم الآخرين وإضرارهم .إذ الإنسان- بمضمون ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[26] يرد معاملة المقابل له في هذا العصر بلا رحمة وبظلم شنيع مخالفاً بذلك الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[27] التي هي دستور الإرادة الالهية "[28] ومنهنا فالدين الذي تتشكل حقائقه من الخاصيتين اللتين ذكرنا وتمثلان الجواهر الخاصة بالدين.

وهناك خصائص أخرى يذكرها الاستاذ منها الرحمة ومنها أيضا العلم. لا نرى داعيا للوقوف عليها تماشيا مع متطلبات هذا البحث. وربما نعود إليها في بحث آخر بالتفصيل. اما بخصوص مسالة تطور الدين فإننا نثبته بما يتماشى مع الحقيقة القرآنية كما ركز عليها الاستاذ. ذلك أن الدين من لدن نوح - عليه السلام- إلى سيدنا محمد ﷺ هو وحدة واحدة: بمعنى أن مسألة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره، تشكل أهم هذه الوحدة. ومن هنا فمسالة التطور في هذا الدين كانت من منطلق تبليغ الرسالة من طرف الرسل ومن طرف الانبياء على مراحل في التاريخ حسب متطلبات كل مرحلة. وحسب متطلبات كل قوم. والملاحظ أن عدد

الرسل والانبياء بلغ عددا كبيرا وبلغ عدد الرسل أيضا عددا كبيرا: معظمهم كانوا مرسلين إلى بني اسرائيل هذه حقيقة.

الحقيقة الثانية هي أن الدين الذي كان يقدمه هؤلاء كان معالجا لوضع ما لأولئك القوم ومن ذلك كانت: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[29]. والاستاذ النورسي يبين هذه الحقائق فيدلل عليها بما يلي: "ولما كانت النبوة محقَّقةً وثابتة في الجنس البشري، وأنّ مئاتِ الألوف(من االبشر)[30] ، جاءوا فأعلنوا النبوةَ وقدّموا المعجزات برهاناً وتأييداً لها، فلا شك أن نبوة محمد ﷺ تكون أثبتَ وآكد من الجميع، لأن مدارَ نبوة الأنبياء وكيفية معاملاتهم مع أممهم والدلائل والمزايا والأوضاع التي دلت على نبوة عامة الرسل أمثال موسى و عيسىعليهما السلام توجد بأتم صورَها وأفضل معانيها لدى الرسول الكريم ﷺ .وحيث إن علةَ حكم النبوة وسببها أَكمل وجوداً في ذاته ﷺ، فإن حكم النبوة لا محالةَ ثابتٌ له بقطعيةٍ أوضح من سائر الأنبياء عليهم السلام." [31]

ويظيف الاستاذ بصدد الأنبياء قوله: "وهكذا فقد غنمَ النوعُ البشري مائة ألف من الأنبياء عليهم السلام وملايين الأولياء وملايين الملايين من الأصفياء الذين هم شموس عالم الإنسانية وأقمارُها ونجومها، ببعثة الأنبياء ويسر التكليف وبمحاربة الشياطين، إزاء ما خسره من المنافقين، الكثيرين كماً. والكفار الذين هم ضربٌ من الحيوانات المضرة "[32] معنى ذلك أن هناك جهدا كبيرا عرفته البشرية في التطور، هذا الجهد الكبير كان آت من المجهودات التي بذلها الأنبياء والرسل لأقوامهم. ومن ذلك مقام به الأصفياء أي الذين اتبعوا الهدي الالهي عبر الأنبياء وهم أيضا كثر .

وعليه فإن المعنى الحقيقي للتطور التاريخي قام به الانبياء والرسل. إلا أن اكتمال الدين وحقيقته الكاملة والنهائية إنما جاءت مع خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم حيث كانت: "...أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأحواله وأَطواره وحركاته وسكناته، هي منبع الدِّين ومصدر الأَحكام والشريعة. ولقد روى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هذه الأحكام وحملو مهمة تبليغ ما ظهر لهم من حياته ﷺ .

أما أسرار الدِّين وأحكام الشريعة النابعة من أَحواله المخفية عنهم، في نطاق أموره الشخصية الخاصة به، فإن رواتها وحامليها هي زوجاته الطاهرات، فقد أدَّينَ هذه المهمة على وجهها حق الأداء .بل إن ما يقرب من نصف أحكام الدين وأسراره يأتي عن طريقهن. بمعنى أن هذه الوظيفة الجليلة يلزم لها زوجات كثيرات، وذوات مشارب

مختلفة كذلك" [33]. كل هذه الجهود كان راعيها والمقرر الأول لها هو القرآن الكريم الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم كما كانت صحف ابراهيم وموسى وعيسى و...كل الرسل والانبياء قدّ أوحي إليه بمثل ما أوحى على محمد صلى الله عليه وسلم. مع العلم أن مراعاة مستويات الفهم البشري للأقوام، كان يتطلب التعامل والمرحلية التاريخية التي هم عليها. مما يتنزل بأمر ربك على أنبيائهم وعلى رسلهم.

ثالثا: العلم بين الحقيقة والأوهام.

إن مفهوم كلمة العلم لها دلالة واحدة عند بديع الزمان سعيد النورسي فهي تعني معرفة الله أو الطريق المؤدي لمعرفة الله وهذا الطريق هو طريق الايمان فمن دون الايمان يمكننا أن نقول أن هناك علم الطبيعة. وهذا وإن كان في الغالب مقترنا بأهله أي أهل الطبيعة أو الطبيعيون- الدهريون[34] مع العلم أن الاستاذ النورسي يعتبر أن العلم بخفايا الطبيعة وبقوانينها تدخل ضمن إطار الايمان إنه من قبيل العلم بعالم الشهادة، مقابل العلم بعالم الغيب، الذي هو من اختصاصه سبحانه وتعالى. لكن المنكرين للإيمان بالله يمارون في مسألة هذا العلم. حتى انهم يحتكرونه وكأنه من تخصصاتهم. والحقيقة غير هذا لأن معرفة الله تقتضي أيضا العلم بآياته الكونية. أو بتعبير آخر إن العلم بالآيات الكونية هو عينه الايمان بالله سبحانه وتعالى. ومن هنا كنا وجدنا الاستاذ النورسي يعتمد كثيرا على ما كان يقره محي الدين ابن عربي مما كان يسميه بالعلم بالموجودات الذي هو موصل للعلم بالكليات حتى أنه أحيانا يعتبره من صميم البحث في الكائنات. لأن البحث في هذه الآخيرة هو بحث في الآيات الكونية اعتبارا من قوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾[35]، واعتبارا من ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾[36] ... ألخ من الآيات الكونية التي أرشدنا إلى التفكر واستخدام العلم فيها.

والخلاصة في هذا المدخل المفهومي للعلم أن الاستاذ النورسي يجعل من المعرفة وحدة واحدة سواء تلك المتعلقة بالموجودات أو تلك المتعلقة بالكليات. ومن ابتغى العلم في غيرهما فقد ضل سواء السبيل. أو ومن ابتغى العلم في احداها وتنكر للأخرى فقد زاغ علمه عن جادة الصواب. وأصبح كالطائر المغرد بجناح واحد. فلا هو استطاع الطيران ولا هو تمكن من الوصول إلى مبتغاه.

العلم والتطور بين الكلي والبسيط.

إن الاستاذ النورسي وهو يعالج هذه المسائل المشار إليها يحسم في أن : العدم المطلق لا وجود له أصلاً لوجود العلم المحيط، علماً أنه لا شيء خارج دائرة العلم الالهي، كي يلقى إليه شيء .والعدمُ الموجود ضمن دائرة العلم هو عدم خارجي، وعنوانٌ صار ستاراً على الوجود العلمي، حتى حدا ببعض العلماء المحققين التعبير عن هذه لذا فالذهاب الى الفناء، إنما هو نزعُ الأشياء لألبستها .« أعيان ثابتة » الموجودات العلمية أنها ودخولها في وجود معنوي وعلمي، أي أن الهالكات والفانيات تترك الوجود، الخارجية "[٣٧]

من خلال هذا النص الموجود معنا يتبين منه أن النورسي يؤكد على مسألة جد حاسمة وهي: العلم الالهي ومكانته من العلم المتعارف عليه عند الانسان. وذلك بضرب مثال جد رائع وهو مسألة العدم. ففيها أو في مجالها العلم الإلهي يعلم الخافي منها وهي موجودة بينما العلم الانساني لا يعلم منها شيئا وكذا بخصوص الفناء فإن هناك ستارا – كما قال– يحجب عن العلم الانساني هذه الحقيقة. ومنه فإننا ندرك من كلامه أن العلم هو العلم المحيط وهو من اختصاصه تعالى بينما العلم بما شاء من علمه فهو موكول لبني الانسان. وكما قلنا في السابق بالنور أي نور الايمان يستنير وبغيره فإن نتائجه تكون وخيمة على بني الانسانية.

من هنا نستطيع القول أن الاستاذ يقدم العلم على أنه ذاك العلم المقرون بشرط الايمان وما عداه كما قلنا فهو علم أعرج ولعل أهم مثال هو ما تعانيه البشرية اليوم – لما تخلت عن الايمان– وفي مقدمتها أوربا التي خذلها عصر التنوير، وأنار لها طريق الظلالة بالعلم الذي جعل نصب عينيه منارة العقل والعقل وحده نلاحظ مع الاستاذ أن الوبال الذي صادمها جلب لها عصر الاستعمار. إلى أن جاء لها بعد ردح من الزمن بالحربين العالميتين. وما جرته من ويلات على البشرية .وهي إلى اليوم مهددة تهديدا بالفناء بالسلاح النووي.

لكن الاستاذ النورسي لا يقدم هذه النظرة الاستشرافية المتشائمة المآل بل يقدم النظرة التفاؤلية إذ عنده يقين بعودة عصر الايمان: هذا اليقين مبني على مقدمات ربما أكدها كبار العلماء من الغرب نفسه، ومن ذلك ما جادت به قريحة أوسوالد شبينغلر في كتابه أفول الغرب، أو تدهور الحضارة الغربية، وكذا أرنولد توينبي في كتابه تاريخ البشرية، إلا أنه وكما يقال فإن ألة الحضارة الغربية لم تتوقف اليوم بسبب أن الوقود (العلم) لم

ينفذ لكنها ستتوقف بمجرد نفاذ أخر قطرة منه كما تنفذ آخر قطرة من البنزين في السيارة لتجعلها تتوقف.

وعن مسألة الخاصية التي تميز العلم الالهي عن غيره، والتي هي "الاحاطة، أو الكلية" وفي صدد رده عن سؤال له ورد من ملحدين عن مسألة الغيبيات التي وردت في آخر سورة لقمان(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ...) وكيف أنها أصبحت ليست حكرا على العلم الالهي. وإنما حسبهم أصبحت مع التطور العلمي والتكنولوجي من علم البشر. يرد ردا قاصما فاحما مؤكدا على أنه لا يعلم مفاتيح الغيب إلا هو وما دونه فهو ليست سوى مثقال ذرات من علمه الواسع فيقول: "إنَّ فحوى سؤالكما هذا هو أن الملحدين يعترضون على كون وقت نزول الغيث ونوعية الجنين في الرحم من المغيبات الخمس فينتقدون قائلين: إن وقتَ نزوله يكشف عنه في المراصد الجوية، فإذن يعلمه كذلك غيرُ االله، وإن جنس الجنين في رحم الأم يمكن معرفته، ذكراً كان أم أنثى بأشعة رونتكن .بمعنى أنه يمكن الإطلاع على المغيبات الخمس!.

هذه المسألة كما وردت إليه ورده كان على النحو التالي وسننظر فيه بعد عرضه: "لما كان وقتُ نزول الغيث غيرَ مرتبط بقاعدة مطردة، فإنه يرتبط مباشرة بالمشيئة الالهية الخاصة، ويتبع الإرادة الالهية الخاصة، فينزل من خزينة رحمته تعالى دون وساطة .وإنَّ سرَّ حكمته هو الآ: إنَّ أَهمَّ حقيقةٍ في الكون وأثمنَ ماهيةٍ فيه هي الوجود، الحياة، النور،الرحمة .وإن هذه الأربعة متوجهةٌ مباشرة ودون وسائط وحجاب الى القدرة الالهية ومشيئتها الخاصة ، بينما تحجب الأسبابُ الظاهرة في المصنوعات الالهية الأخرى تصرّفَ القدرة الالهية ، وتستر القوانينُ المطردة والقواعد الثابتة- إلى حدٍ ما -الإرادةَ الالهية ومشيئتها، إلاّ أن تلك الحجب والأستار لم توضَع أمام الحياة والنور والرحمة ؛ لعدم جريان حكمةِ وجودها في تلك الأمور. وحيث إن الرحمة والحياة أهم حقيقتين في الوجود، وإن الغيث منشأ الحياة ومدار الرحمة بل هو عينُ الرحمة، فلابد ألَّا تكون الوسائط حجباً أمامها، ولابد ألَّا تستر القاعدةُ المطردة المشيئةَ الالهية الخاصة بها، وذلك ليضطر كلُّ فرد في كل وقت، في كل أمر الى الشكر وإظهار العبودية والى السؤال والتضرع والدعاء؛ إذ لو كانت تلك الأمور على وفق قاعدةٍ معينة لانسدَّ بابُ الشكر والرجاءُ منه تعالى استناداً إلى القاعدة المطردة .فطلوعُ الشمس مع ما فيه من منافع معلومة، لأنه مرتبطٌ بقاعدة معينة، فلا يُسألُ االله سبحانه طلوعها ولا يشكر عليه شكراً خاصاً ولا يعدّ ذلك من أمور الغيب، لأن البشر يعرفون بالعلم الذي توصلوا

إليه وبوساطة تلك القاعدة موعدَ شروق الشمس غداً. ولكن جزئيات الغيث ليست مرتبطة بقاعدة معينة، لذا يضطر الناسُ في كل وقت الى التضرع والتوسل الى رحمته تعالى .ولما كان علمُ البشر لا يستطيع أن يحدد وقت نزول الغيث، فقد تلقاه الناسُ نعمةً خاصة لا تصدر إلاّ من خزينة الرحمة الالهية ، فيشكرون ربهم شكراً حقيقياً عليها .وهكذا فهذه الآية الكريمة تدخل وقتَ نزول الغيث بين المغيبات الخمس من هذه الزاوية التي ذكرناها .أما الإحساس بالأجهزة في المراصد عن مقدمات وقت نزوله، ومن ثم تعيين وقته فهذا ليس علماً بالغيب، بل هو علم بالاطلاع على بعض مقدمات نزوله حينما يقترب الى عالم الشهادة بعد صدوره من الغيب، مثلما يعلم بنوع من إحساس مسبق أخفى"[38].

هذا النص الطويل آثرنا ان نبقي عليه كما هو بسبب أنه من غير الممكن تجزئته فهو نص مفهوم بالجملة. ومن هنا فإنه يفصل في مسالة العلم الالهي والعلم لدى الانسان وما بينهما من فوارق ذلك ان مسألة نزول الغيث وإن كانت اليوم المراصد التي صنعها الانسان تفيد بوقت سقوط المطر وتفيد بكمية سقوطه وب... أشياء كثيرة عن هذا السقوط إلا أن هذا من قبيل التنبؤ عن المعلوم بالمعلوم: هناك قوانين تتحم في الكون استطاع الانسان بفضل مجهودات جبارة في ميدان الفلك والجغرافيا منذ بدأ الخليقة، تمكن منها الانسان اليوم، ليعلم هذا البعض الضئيل من الرصد الجوي، لكن مسألة سقوط المطر كظاهرة لا يعلمها إلا هو. ذلك أن تصريفه للرياح وسوقه للمطر و.... كل هذا وغيره من علم الله، لأن علم الله في إنزال الغيث أمر موكول له لعدة اعتبارات يذكرها الاستاذ هنا: منها أن العلم هنا هو العلم بالغيب وهو من خاصياته تعالى بينما التنبؤ ببعض ما "مقدمات نزوله حينما يقترب إلى عالم الشهادة بعد صدوره من الغيب مثلما يعلم بنوع من الاحساس مسبق أخفى "

والنورسي هنا يؤكد على أن هذا العلم الالهي هو من قبيل خاصياته وحده فبإنزال المطر ينشر رحمته وبه تسبح وبح تحميد وبه تنزيه وبه ... هذا الكل الذي لا يعانق فيه علم البشر علم الله الذي هو من علم الغيب.

ومنه يلجأ النورسي لتفسير مسألة ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[39] اليوم وكيف أصبح العلم يقدم معلومات ما إذا كان الجنين في بطن أمه ذكرا أم أنثى أو ما إذا كان توأم أو غير توأم. فيرى أن هذا ليس من قبيل علم الغيب لأنه علم بالموجود يقول: المعرفة لا تنافي قطعاً ما تفيده الآية الكريمة الغيب .لأن المراد من العلم المذكور فيها لا ينحصر في ذكورة الجنين وأنوثته وإنما المرادُ منه معرفةُ الاستعدادات البديعة الخاصة بذلك

الطفل والتي هي مبادئ المقدرات الحياتية، وهي مدار ما سيكسبه في المستقبل من أوضاع .وحتى معرفةِ ختم الصمدية وسكتها الرائعة البادية" على سيماه. كلُّها مرادة في ذلك المعنى بحيث إن العلم بالطفل وبهذه الوجوه من الأمور خاص بعلم علام الغيوب وحده، فلو اتحدت مئاتُ الألوف من أفكار البشر النافذة كأشعة رونتكن لما كشفت أيضاً عن ملامح الطفل وجهه وحدَه تلك الملامح التي تحمل من العلامات التي تفرّقها وتميزها عن كل فرد من أفراد البشرية قاطبة، فكيف إذن يمكن كشفَ السيماء المعنوية في استعداداته وقابلياته التي هي خارقة بمئات الألوف من المرات عن ملامح الوجه!"[40].

إن هذا الرد من الاستاذ بعلم على المسألة المتخاصم حولها بين الملحدين والمؤمنين يشفي غليل العلماء المؤمنون، ذلك أن العلم هو علم بما تمكن الانسان من معرفته من الموجود. اما الذي لا يتمكن من معرفته من الموجود فضلا عن انه من عالم الغيب، فإن هذا لا يمكنه ان يكون وجه المساءلة لأن الذي خلق فسوى، هو أعلم وأرحم أليس هو: علام الغيوب. وبالتالي فإن أسلوب الرد من الاستاذ كان أسلوبا دامغا. وبما يتناسب وعقول الذين يمارون في الحقائق: الحقائق العلمية والاشارات العلمية التي جاء بها الدين. يبقى أن نذكر أن هذا النوع من المهاترات طالما شدت إليها الشباب لكن مع بدايات العهدة بالعصر التكنولوجي الذي كان بالنسبة للممارين هؤلاء بمثابة انبهار بالاكتشافات في عالم العلم والتكنولوجية – والأمر يكون هنا طبيعي جدا مع قوم غابوا عن القراءة والكتابة دهورا طويلة فكيف بهم لا يتفاجؤون بالمخترعات العلمية ولا ينبهرون بها- لكننا اليوم نلاحظ أن الجيل جيل الشباب لا سيما من العلماء الباحثين يديرون أمورهم في صمت من خشية علمية، مطبقين قول الله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[41]. وتطرق الاستاذ النورسي لهذه المسائل على مستوى محور الزمن يكون قد قدم خدمة جليلة للذين - كما قلت- فتحوا أعينهم ليستفيدوا منه، ومن النتائج والمكتشفات والمخترعات العلمية. لكننا نقول مع الاستاذ النورسي أن المنكرين والحادين يبقون على مر الأزمنة يمارون دائما بطبيعتهم والله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم.

الفن (الجمال) بين المفهوم والتجلي.

الفن(الجمال) إن هذا الموضوع المعياري: أي الموضوع الذي لا يقاس بالكم. ولكن موازينه هي الكيف. بمعنى أننا نقول عن شيء فني أو جميل. لما يستثر الذات. أو أن الذات تثيره، مع اختلاف بين المفكرين في المسألة فمثلا أبو حامد الغزالي يجعل

للجمال تعريفا يفهم منه أنه: بموضوعية: كل شي يتمتع بالتوازن والانسجام، أو ما سماه بالكمال[42] هذا التوازن هو من ناحية الكم موزون بمقادير معينة وهو من جهة أخرى من ناحية الانسجام كل جزء فيه منسجم مع المجموع. وعليه فإننا نقول عن شيء جميل هو الشيء الذي يحقق هذا التوازن وهذا الانسجام وعكسه القبح وهو مالم يحقق هذين الشرطين. نذكر هذا مع الوضع بعين الاعتبار مختلف الأقول في نظريات الجمال. وعموما فإنهم ينقسمون إلى قسمين: قسم يرى أن الجمال موضوعه هو الذي يثير النفس فينطبع عليها الاحساس بالجمال. وقسم يرى أن النفس هي التي تعشق الجمال. حتى أنه ما يبدوا لك جميل يراه غيرك غير ذلك. وأن النبرة الفنية الجمالية تصبح مآلات اسقاطات الاحساس بالجمال أو بالقبح. ودون أن نخوض في تفاصيل الموضوع باعتباره محطة خلاف بين المفكرين على مر العصور فإننا نلتفت للجمال عند صاحب رسائل النور.

و الاستاذ النورسي له نظرة مخالفة لهؤلاء وأولئك. فالجمال عنده في هذه الدنيا أثر صادر عن جميل. وبالتالي هو نور ينير النفس العاشقة ويدلها على الجميل الذي هو الله سبحانه وتعالى. " والبرهان الأول في ذلك: إن جمال أثرٍ مصنوع يدل دلالةً قاطعة على جمال صنعه، وإن جمال الصنع وإتقانه هذا يدل على جمال عنوان صانعه الناشئ من تلك الصنعة، وإن جمال عنوان الصانع المتقن يدل على جمال صفةِ ذلك الصانع التي تعود إلى تلك الصنعة، وإن جمال صفته هذه يدل على جمال قابليته واستعداده، وإن جمال قابليته يدل على جمال ذاته جمال حقيقته. فكما أن هذه الدلالاتِ قاطعةٌ وبدهية، كذلك الحسنُ والجمال الظاهر في المخلوقات الجميلة في هذا العالم كله، والصنعُ البديع المشاهد في المصنوعات الجميلة كلها، يشهد شهادة قاطعة على حسن أفعال الصانع الجليل وجمالها"[43].

والنورسي بهذه النظرة ليس من الزاهدين في الدنيا لهذا السبب. لأن فساد العالم وخراب الدنيا لا يمكن النفس من الاطلالة على المعشوق. الذي هو الله سبحانه وتعالى. لما كانت كل المخلوقات جميلة حتى ولو كان يبدوا بعضها للبعض قبيحة. فإنها من صنع الخالق بصفاته: وإنَّ الحسنَ في أفعاله تعالى وجمالَها يدل بلا ريب على حسن العناوين المشرّفة على تلك الأفعال وجمالها، أي على حسن الأسماء وجمالها. وإن حسنَ الأسماء وجمالها يشهد شهادة قاطعة على حسن الصفات المقدسة وجمالها ، التي هي منشأ تلك االأسماء .وإن حسن الصفات وجمالها يشهد شهادة قاطعة على حسن الشؤون الذاتية وجمالها ، التي هي مبدأ تلك الصفات .وإن حسن الشؤون الذاتية وجمالها

يدل بالبداهة ويشهد وجمالها ، الذي هو الفاعلُ والمسمى والموصوف، ويدل على «الذات» شهادة قاطعة على حسن الكمال المقدس لماهيته والجمال المنزّه لحقيقته بمعنى أن للصانع الجميل جمال وحسنا لا حدّ له يليق بذاته المقدسة، بحيث إن ظلا من ظلاله قد جمل هذه الموجودات كلها، وأن له سبحانه جمالا منزّها مقدسا بحيث إن جلوةً من جلواته قد أضفت الجمال على الكون كله، ونوّرت دائرة الممكنات كلها بلمعاتِ حسن وجمال وزينتها بأبهى زينة. نعم، إن الأثر المصنوع كما لا يمكن أن يكون بلا فعل، فالفعلُ كذلك لا يمكن أن يكون بلا فاعل، ووكما أنه محال أن تكون أسماء بلا مسميات كذلك محال أن تكون الصفات بلا موصوف فما دام وجودُ مصنوعٍ وأثرٍ يدل بالبداهة على فعلِ فاعلِ ذلك الأثر، وأن وجود ذلك الفعل يدل على وجود فاعله وعلى عنوانه وعلى صفاته التي أنتجت ذلك الأثر وعلى اسمه، فلا شك أن كمال أثرٍ ما وجماله أيضا يدل على كمال الفعل وجماله الخاصين به، وهذا يدل على جمال الاسم الذي يليق به، وهذا يدل على كمال الذات والحقيقة وجمالها بما يليق ويوافق الذات والحقيقة دلالة قاطعة بعلم اليقين وبالبداهة[44].

الذي قدر لهذه الكائنات أن تكون بالكيف الذي هي عليه فبديع السموات والارض لا يصدر عنه إلا الجميل وما ظهر كما قلنا للبعض غير ذلك فإنه إما أنه لا يرى بنور البصيرة في الكائنات أو أنه يراها من ألة عنده معطلة، ولا تعمل بشكل طبيعي !!. ففي الحالة الأولى: إما أن التلوث الفكري تمكن من نفسه حتى أن التعبيرِ القرآن يستعمل كلمة زين لأهل الضلالة أعمال الشر فيقول:﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.... ﴾[45] وإما أنهم أنفسهم أصبحوا لا يرون إلا الجميل قبيحا كأنهم من قبيل ﴿ ... فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[46].

إن الاستاذ النورسي يعبر عن الجمال بتعبير بسيط وجميل في الوقت نفسه. فهو وإن كان يرى أن الجمال هو سر أودعه الله في كل الكائنات، لأنها تسبح بحمد ربها وتشكره على النعمة، فهو وليها ومولاها راعيها،ثم أنها منبثقة منه بتلك النفحة الجمالية وما يصدر من جمال إلا عن الجميل. لقد توافق هذا مع قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم « إن الله جميل يحب الجمال[47]» ففي هذا الحديث يتوقف معنا الاستاذ حول معنى يحب التي تأتي من العاشق الولهان بالمعبود البديع والحب هنا ما يكون سوى لمن أكرمهم الله من بني البشر بالإيمان. لأن غير المؤمن لا يرى ولا يبصر من نور الله كما هو الشأن بالنسبة للمؤمن.. ثم إن الحب هذا هو حب الكائنات جميعها للخالق ولقد ذكرنا أنها ببهائها وجمالها تسبح بحمد ربها. ولكن لا تفقهون تسبيحهم. وهذه التسابيح

وهذه التراتيل التي لا نفقهها نحن البشر، تأتي من الكائنات، بدليل أنها كلها تقف وقفة الذليل المسخر للإنسان كي ينبهه عن الغفلة،وكأنها تقول في تعبير مرئي ها أنا جميلة، أدلك على الجميل فانتبه من غفلتك. لذا لا نرى في جميع الكائنات سواء النبات أو من الحيوان أو من الجماد سوى هذا المشهد مشهد التسبيح. فهذه النباتات تسبح بحمد ربها صباحا ومساء .لتغفو لتسبيح آخر بالليل كأنه أيضا تشكر نعم الله عليها. ألا تراها في دورتها الحياتية تمر من مرحلة إلى أخرى من الانبات فالتزيين إلى أن تصبح حطاما وتكمل دورتها. وإبان هذه المراحل تسبح كما قلنا الله الذي أودع فيها النفحة الجمالية بألوانها وأصنافها وتصنيفاتها وتنظيماتها وترتيباتها و.... وتحاول دائما أن تعانقه، ولكننا لا نفقه. وفي عالم المملكة الحيوانية بأصنافها وأنواعها هي الأخرى سواء البحرية أو البرية دائما متألقة نحو التسبيح، الذي لا نفقه منه شيئا كما أننا لا نفهم لغاتها فيما بينها البعض. وفي ما بينها وبين الخالق مما تبديه من تسابيح بكرة وعشيا. وكل ذلك لنعمة الشكر على أن الجميل تكرم بإيداع عالم الحياة الدنيا وتسخيرها للإنسان وتذليلها له حتى يكتمل الشكر للجميل.

والاستاذ النورسي يقدم براهين على الجمال المطلق فيقول في البرهان الأول" ..إن ما يشاهد على جميع المصنوعات من أنواع الكمال المتنوعة وأضراب الجمال المختلفة وألوان الحسن المتغايرة يدل دلالة في غاية القطعية ويشهد شهادة في منتهى الصراحة على كمالات لا حد لها ومحاسن لانهاية لها في أفعال الصانع الجليل وفي أسمائه وفي صفاته وفي شؤونه وفي ذاته المقدسة، بما يلائم ويوافق قدسيته ووجوبه وتعاليه ويدل كذلك على جمال متنوع عالٍ سامٍ هو أرفع من الكون طرا."[48] بمعنى أن الأثر: أي أثر صفات الجمال في الكائنات كانت دليلا على الجميل، وأنه هو الصانع الجليل في أسمائه.وأما ما يقدمه من برهان ثاني على الجميل. وهذا كله يقدمه للبرهان على الجليل الجميل من خلال الكمال المتوفرة عليه الكائنات من جهة ومن جهة أخرى من خلال الحسن الذي تتوفر عليه هو الآخر. وثالثا من خلال المحاسن التي تكتنزها هذه الكائنات. و أما عن الدلائل عليه فيقول في: "البرهان الثاني :فيه خمس نقاط: النقطة الأولى : أن أئمة أهل الحقيقة كلهم- مع الاختلاف في مشاربهم والبعد في مسالكهم - يعتقدون مستندين الى الذوق والكشف ويقررون بالاجماع والاتفاق:أن الحسن والجمال الموجود في الموجودات كلها إنما هو ظلٌّ جمال مقدس لواجب الوجود وحسنه المنزَّه، وإنما هو لمعاته وجلواته من وراء حجب وأستار. إذا هذا الدليل يتبين من خلاله أن عامل الاجماع أي إجماع العلماء من أهل الحقيقة يمكن أن يكونوا هنا العارفون أي

أولئك الذين يتذوقون بالقلب لا بالعقل معاني الحسن والجمال هم الذين يتفقون على أن حسن وجمال الموجودات دليل على الصانع الجليل وهذ النوع من البرهنة خاض فيه بعض المفكرين لكن في البرهنة على وجود الله بالأخلاق[49] مع الفرق طبعا في الموضوعات ذاك موضوع الأخلاق وهذا موضوع الجمال.

دليل النقطة الثانية: أن جميع المخلوقات الجميلة تأتي الى هذا العالم قافلةً إثر أخرى ثم تغادره وتغيب في أفق الفناء، ولكن الجمال السامي المنزَّه عن التبدل- والذي يظهر نفسه بتجليه على تلك المرايا -يبقى ويدوم، مما يدل دلالة قاطعة على أن ذلك الجمال ليس ملك تلك الجميلات ولا جمالَ تلك المرايا، بل هو أشعةٌ جمال سرمدي كما يدل دوامُ جمال أشعة الشمس على حباب الماء الجاري على جمالها الدائم.

وهنا يقدم الاستاذ دليلا نستطيع القول أنه دليل قوي ذلك أن الجمال المتجلي في الكائنات ملاحظ لكن فناء تلك الكائنات تتركه وراءها مما يدل على أن الجمال هو ما من ذاك الاشعاع الذي يشع به الجميل الجليل على هذه الكائنات. وهوكما قلنا دليل قوي: هو قوي نسبة لمدى منطقيته وواقعيته.

ثم يضيف دليلا آخر يقول النقطة الثالثة: أن مجيء النورِ من النوراني، والوجودِ من الموجود، والإحسانِ من الغنى، والسخاءِ من الثروة، والتعليمِ من العلم أمور بديهية، كذلك من البديهي أن مَنح الحسن أيضا هو من الحسن وإضفاءَ الجمال لا يكون إلاّ من الجميل"[50]. وهو أيضا دليل منطقي نسميه دليلا الاستنتاج من مما هو متماثل أي أنه لما كانت جملة من الصفات المعروفة والموجودة في الكائنات وهي تتصف بها وكانت تدل كصفات على أصحابها فكذلك صفة الحسن فإنها تدل على الحسن ومنه فالذي يجمع هذا الكل هو الحسن الجميل، ولا يمكنه أن يكون إلا منه.

ومن هذا ينتقل الاستاذ للتلخيص عن هذه الأدلة باستنتاج هو نفسه دليل شامل: دليل يمكننا أن نسميه دليل المرآة العاكسة فيقول "فبناء على هذه الحقيقة نعتقد ونقول: إن جميع أنواع الجمال المشاهدة على الكائنات كلها، تأتي من جميل لا منتهى لجماله بحيث إن هذه الكائنات المتبدلة دوما والمتجددةَ باستمرار تصف جمال ذلك الجميل وتعرفه، بجميع موجوداتها وبألسنة أدائها لوظيفةِ مرآةٍ عاكسة لذلك الجمال"[51].

ثم ينتقل النورسي إلى نوع آخر من الادلة يمكننا أن نصطلح على تسميته بالدليل من الكليات: ومفاده أنه لما كان الوجود المادي له ما يقابله من ما يسمى بالروح، ولما كان كل وسم فيه له هو الآخر ما يقابله، ولما كانت كل صفة فيه لها ما يقابلها فكيف لا يكون

هذا الوجود المادي بحسنه وبجماله و.. لا يقابله من هو أكثر منه وأكبر منه مشعا عليه من نوره وبهائه وجماله إنه سر النور الأبدي، والجمال السرمدي. يقول في هذا المعنى:النقطة الرابعة: كما أن الجسد يستند إلى الروح ويقوم بها وتبعث فيه الحياة بها، واللفظَ عالم، يتنور على وفق المعنى، والصورةَ تستند إلى حقيقة وتتزود منها قيمتها؛ كذلك هذا العالمُ الشهادة المادي الجسماني إنما هو جسدٌ ولفظ وصورة، يستند إلى الأسماء الإلهية المحتجبة وراء ستار عالم الغيب، فهو يحيا بتلك الأسماء التي تبعث فيه الحيوية، ويتوجه إليها، فيزداد جمالا وبهاءً. فجميعُ أنواع الجمال المادي نابعة من جمال معنوي لمعانيها، ومن حسن معنوي لحقائقها. والاستاذ يفصل في هذه الحقائق على النحو التالي يقول "أما حقائقها فتستفيض من الأسماء الإلهية، وهي نوع من ظلال تلك الأسماء. هذه الحقيقة أثبتت في رسائل النور إثباتا قاطعا. بمعنى أن جميعَ أنواع الجمال الموجود في هذا الكون وجميعَ أنماطه وألوانه، إنما هو تجلياتُ وإشاراتُ وأماراتُ جمال مقدس عن القصور ومجردٍ عن المادة تتجلى من وراء عالم الغيب بوساطة أسماء .ولكن كما أن الذات الإلهية المقدسة لا تشبه أبدا أية ذات أخرى، وأن صفاته تعالى جليلة منزَّهة كليا عن صفات الممكنات .كذلك جماله المقدس أيضا لا يشبه جمالَ الممكنات وليس كحسن المخلوقات قطعا .بل هو جمال سامٍ عالٍ رفيعٌ منزَّه مقدس مطلق. نعم، إنْ كانت الجنة الباهرة، الرائعة مع جميع مظاهر حسنها وروعتها هي تجل من تجاليات جماله سبحانه وأن رؤية أهل الجنة جماله تعالى لساعة من زمان ينسيهم حتى تلك (فلا شك أن هذا الجمال السرمدي لا نهاية له، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا [52] الجنةَ الجميلة، مثيل له قطعا. ومن المعلوم أن حسن كل شيء يلائمه ويكون على وفقه، وأنه يوجد بألوف الأنماط من الجمال والألوان فيختلف بعضها عن بعض، كاختلاف الأنواع في المخلوقات"[53]

هذه النظرة الرائعة من الاستاذ تبين مما لا يدع مجال للشك أنه سبحانه بتلك الوصمة الجمالية ليس كمثله شيء وحتى الجنة لأنه كان مبدعها فكيف تكون ند له أو شبيهة في جمالها له مستحيل وعلى الرغم من أن الجنة ورد في الحديث "فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا حتى خطر على قلب بشر"[54]. وعلى الرغم من ذلك فهي منه وليس هو منها أبدا وحاشا لله ان يكون متصفا بصفوة: مما أوكل لمخلوقاته حتى ولو كانت الجنة التي جاء الكثير من أوصافها في سورة الرحمن. لكن هيهات !! أن يكون له فيها نفحة شبيهة لها بل هو السر المقدس، يكون أعلى وأجل وأجمل من كل المخلوقات وهذا هو عين الطريق من الناحية المنطقية ومن الناحية حتى المبدئية.

والاستاذ النورسي يرينا بل يصف لنا في أصناف كثيرة للجمال: فإذا كانت الحواس الخمسة أو الستة مرهفة بالجمال كل حسب تخصصه فإن ما في وجدان الانسان هو الآخر مرهف بالجمال فهذا "جمال الايمان وجمال الحقيقة وحسن النور وحسن الزهرة، وجمال الروح وجمال الصورة وجمال الشفقة وجمال العدالة وحسن الرحمة وحسن الحكمة"[55] وكذلك يقيم الاستاذ النورسي أنواع أخرى من الجمال ذاك الجمال المتعلق بالصفات صفات الله سبحانه وتعالى فكل الصفات متجلية على الوجود بها جمال خاص به. ومن الأمثلة على دلك صفة الرحيم: عندما ننظر للرحيمية نجدها متجلية في الكائنات وكذلك الحال بالنسبة للعادلية وأيضا للرأفية وحتى للجبروتية، نجد لها جمالا آخاذا خاصا. والمهم أن كل الصفات الحسنى لها من الجمال الخاص. وهو متجلي على الموجودات وعلى الكائنات. يقول في هذا المعنى:" فشاهدْ جمالَ الرحمانية الإلهية. وانظر الى إعاشة الصغار جميعها إعاشةً خارقة، يسيل لها كالسلسبيل الطاهر ألذُّ غذاءٍ وأصفاه من أثداء أمهاتها المتدلية فوق رؤوسها ..فشاهدْ الجمالَ الجاذب، جمالَ الرحيمية الربانية. وانظر إلى الكائنات كلها بأنواعها جميعها كيف جعلتها الحكمةُ الإلهية ككتاب كبير، كتاب حكمة بليغة. بحيث إن في كل حرف منه مائةَ كلمة، وفي كل كلمة مئات الأسطر وفي كل سطر ألف باب وباب وفي كل باب ألوف الكتب الصغيرة ..فشاهد الجمالَ بلا نظير، جمال الحكيمية الإلهية "[56] والاستاذ يشير إلى أن الاحساس بالجمال هذا إنما مرده الايمان: حيث كنت مؤمنا ترى الجمال السرمدي في الصفات وحيث كنت ظالا فإنك لا ترى إلا القبح في الكائنات، حيث لا ترى حتى الصفات لأن نور البصيرة عليه هنا غشاوة. " فإن قابلت ذلك الجمال الباهر بجمال الايمان وبالجمال العبودية تكن أحسنَ مخلوق وفي أحسن تقويم .ولكن إن قابلت ذلك الجمال بقبح الضلالة غير المحدود وقبح العصيان البغيض، تكن أقبح مخلوق وأردأه، وأبغض مخلوق معنىً لدى جميع الموجودات الجميلة"[57].

وفي الأخير ومع النقطة الخامسة من البراهين يستدل الاستاذ بدليل يمكننا الاصطلاح على تسميته بالدليل السيد في الجمال. حينما يلجأ إلى ضرب مثال بشخص عظيم يبني بناء عظيما حينئذ يقيمه من كل معاني العظمة شيء ونفحة. لكن البناء أو القصر كله يعبر أحسن تعبير عن معاني الجميل ذي العظمة.

أثر كل من الدين والعلم والفن على الإنسانية.

إن هذه المفاهيم اعترضتها عوارض تاريخيا ولا سيما بعد عصر النهضة الأوربي، الذي قزم الدين. وطبَع العلم وهجَّن الفن ولكن قد يعترض عارض ويقول كيف ؟ نقول

أن الدين قزمه عندما أخرجه من حياة الناس من مقولة مشهورة ومعروفة "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله" وطبع العلم عندما قال عصر النهضة لأوربا النور هو "نور العقل" فقط ولا شيء خارج العقل.والفن هجنه عندما جعله متوقف على إبداع الانسان، والانسان فقط. طبعا هذه الفلسفات تحتاج إلى تفاصيل حسب الاستاذ النورسي فإن الدين قد قزم عندما اعتمدوه مأوى للتمزق على أيام عصر التعصب الديني الذي نال منهم حوالي ثلاثمائة سنة. وهم متعاركون في ما بينهم وانتهو إلى المقولة التي أشرنا إليها سابقا. يقول الاستاذ في هذا المعنى:" ولقد أثار التعصب الديني لدى أوروبا نزاعات داخلية دامت ثلاثمائة سنة، وكان الحكام المستبدون يتخذون الدين وسيلة في سحق العوام وفقراء الناس و أهل الفكر والعلم منهم، حتى تولد لدى عامة الناس نوع من السخط على الدين"[58]. وإن ما تعرض له الدين في اوربا شيء كبير ذلك أن التمزق الذي أصاب قومه حينئذ جعلهم ينقسمون إلى فرق وطوائف. وكان ذلك مؤشرا على أن السيادة لم تعد للدين المسيحي هناك. يقول الاستاذ في المكتوب التاسع والعشرون: "إن أهل البدعة قد استوحوا فكرا مشؤوماً من الإنقلابيين الأجانب، وهو: إن أوروبا لم يعجبها مذهب الكاثوليك .فالتزم الثوار والانقلابيون والفلاسفة قبل الناس مذهب البروتستانية الذي كان يعد من البدع والاعتزال، حسب مذهب الكاثوليكية، وقد استفادوا من الثورة الفرنسية، فهدموا قسماً من الكاثوليكية، وأعلنوا البروتستانية "[59].

هذا بخصوص الوضع الذي آل إليه الدين في النصرانية لكن هناك أكثر من هذا التمزق السياسي أو لنقل التمزق الديني هناك ما يجعل هذا الدين نفسه في حالة من التضعضع والانهيار. وهو ما يمتلكه هذا الدين من عقيدة فاسدة هي التي كانت السبب الرئيس في كل المحن التي تعترض واعترضت أوربا المسيحية. وأثرت عليها حتى على المستوى العالمي يقول الاستاذ:

" إنَّ أساس الإسلام هو التوحيد الخالص، فلا يسند التأثير الحقيقي إلى الأسباب أو الوسائط ولا قيمة لها في الإسلام من حيث الإيجاد والخلق. أما في النصرانية، فإن فكرة البنوة التي ارتضوها، تعطي أهمية للوسائط وقيمة للأسباب، فلا تكسر الغرور والتكبر بل يسند قسطاً من الربوبية الإلهية الى الأحبار والرهبان، حتى صدق عليهم قوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ... ﴾ "[60]

لقد كان الدين دوما الفاصل الحقيقي في حياة البشر. يبقى أن الدين هذا كمعتقد من نوع كذا سماوي او من نوع كذا ارضي ومن الديانات السماوية ما اعترضه تحريف كاليهودية والمسيحية. راجع في هذا الشأن وأما بالنسبة للديانات الارضية فهي كل

الديانات التي يمكننا ان نصطلح على تسميتها بالديانات الوثنية. وهذا ينطلي على البوذية والكونفوشوسية والبراهماتية والمجوسية وعبدة النار والنجوم و.... وكلها عبادتها وثنية إلا أن الاسلام وهو الدين الحق بشهادة محمد صلى الله عليه وسلم وبشهادة القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ضل الدين الذي قدم للبشرية أطهر وأنقى شريعة. ذلك أنها لم يلحقها تحريف كما هو الشأن بالنسبة للديانات السماوية الأخرى ثم إن شريعته التي اعتمدت على القرآن الكريم وعلى هدي محمد صلى الله عليه وسلم كانت دوما محفوظة فهذا كتاب الله توعد الله بحفظه أما السنة المطهرة فهي شقين: شق خاص بأقوال الرسول وأفعاله وما تناقله الصحابة عنه صلى الله عليه وسلم وشق خاص بحياته الشخصية. وهو ما روته عنه زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين: "إنَّ أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأحواله وأَطواره وحركاته وسكناته، هي منبع الدِّين ومصدر الأَحكام والشريعة. ولقد روى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هذه الأحكام وحملوا مهمة تبليغ ما ظهر لهم من حياته ﷺ .أما أسرار الدِّين وأحكام الشريعة النابعة من أَحواله المخفية عنهم، في نطاق أموره الشخصية الخاصة به، فإن رواتها وحامليها هي زوجاته الطاهرات، فقد أَدَّينَ هذه المهمة على وجهها حق الأداء .بل إن ما يقرب من نصف أحكام الدين وأسراره يأتي عن طريقهن. بمعنى أن هذه الوظيفة الجليلة يلزم لها زوجات كثيرات، وذوات مشارب مختلفة كذلك"[61].

وبخصوص الأثر الذي تركه العلم على البشرية فإننا نذكر عدة نقاط تخصه أولا مسألة العلم الذي اهتدت به البشرية وثانيا العلم الذي ضلت به البشرية وثالثا العلم الذي طور البشرية ماديا على حساب جوانبها الأخرى.

بخصوص المسألة الأولى نذكر أن العلم لما كان متناسقا أو متوافقا والدين. أعطى أكله أضعافا مضاعفة. لا سيما على أيام الحضارة الاسلامية، التي أكد خصومها أنها كانت أخصب الحضارات. نذكر من ذلك ما جادت به المستشرفة الألمانية زغريد هونكة في كتابها "شمس الله تسطع على الغرب" وكذا غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب. ومحمد أسد في كتابه الاسلام على مفترق الطرق و...

لقد قدم العلم للبشرية مع الحضارة الاسلامية الكثير والكثير من المعارف لا سيما على أيام ازدهارها في ربوع الغرب الاسلامي وفي ربوع شرقها الاسلامي والدليل هنا ما قام به كم هائل من العلماء الاوربيين من نقل للتراث العربي الاسلامي الزاخر، حتى أن كتاب الشفاء لـ ابن سينا بقي يدرس في الجامعات الغربية حتى القرن التاسع عشر .

والاستاذ النورسي يقدم مثالا على تلاقي العلم الديني بالدين بخصوص مسألة الحديث الصحيح الذي ورد في البخاري ومسلم.والذي نصه "تقام الأرض على الثور والحوت" يفند أولا مجمل الأقاويل التي انزلق إليها حتى المفسرون ذلك. أنهم قالوا أن الأرض مقامة على قرن ثور محسوس ضخم وعظيم وأيضا على حوت ضخم وعظيم. هذه الأقوال يقول الأستاذ أنها تسربت- للعلماء منهم والمفسرين بالخصوص عن طريق بعض اليهود الذي دخلوا في الاسلام لكن بقيت معهم بعض الأدران لاصقة من الأقاويل التوراتية المحرفة. وسيقت على هذه الشاكلة للعلماء والمفسرين بالخصوص -كما قلنا - والحقيقة في رأي الاستاذ أن الأرض مقامة على ملكان: ملك يقوم بامور الفلاحة والزرع و... وبكل ما يتعلق باليابسة وهذا اسمه الثور والثاني يقوم على كل ما يمت بصلة بالماء وهذا اسمه الحوت. ولعل ظانا يشك في هذه التسمية فالاستاذ يقول أن أصل هذه التسمية تشبيه – كما ورد في القرآن الكثير من المتشابه كذلك ورد في الحديث المتشابه منه. ولا غرة فالتشبيه هنا هو بالتمام كقولنا إن الدولة تقام على السيف والقلم. فرمزنا بالسيف للقوة ورمزنا للادارة والتعليم وكل الهيئات البداغوجية والعلمية بالقلم. وهذا هو معنى الحديث السالف الذكر بمعنى أنه ليس تشبيها محسوسا ولكنه تشبيه به دلالاته المعنوية. ومن هنا فإن الاستاذ يكون من علمه هذا قد كشف عن أن التناظر مع علماء الجغرافيا لا تناقض بينهما. بل المسألتان بينهما تعارض .كما يقال منطقيا.وإليك النص الكامل الذي يرويه الاستاذ شاهدا على قولنا هذا:

" هناك رواية صحيحة تسند إلى ابن عباس رضي الله عنهما، تقول: سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: على أي شيء تقوم الأرض ؟ أجاب على الثور والحوت. وفي رواية أخرى قال مرة على الثور ومرة على الحوت.:ولكن عددا من المحدثين طبقوا هذه الرواية على حكايات خرافية وقديمة وردت عن الاسرائليات، ولا سيما من علماء بني اسرائيل الذين أسلموا فهؤلاء غيروا معنى الحديث (.....). الأرض التي هي شقيقة صغيرة للسموات ورفيقة أمينة فقد عين لها ملكان والحكمة في تسميتها والحكمة في تسميتها الحوت وعلى الآخر الثور: مشرفان يحملانها، يطلق على أحدهما بهذين الاسمين هي أن الأرض قسمان: البر والبحر أي اليابسة والماء فالذي يعمر البحر أو الماء هو الحوت أما الذي يعمر البر و التراب فهو الثور: حيث إن مدار الانسان على الزراعة المحمولة على كاهل الثور فالملكان الموكلان بالأرض هما قائدان ومشرفان عليها ""[62] من هذا النص يتبين لنا ما أشرنا إليه سابقا. ولكننا نلاحظ أن الاستاذ يسهب في عرض أمثلة توضيحية أخرى داحضة الأقاويل الاسرائيلية من أن الأرض تقوم على

الثور والحوت بالمفهوم الحسي العيني وليس بفهوم التشبيه الذي أشار إليه الرسول عليه الصلاة والسلام .

وبخصوص الجمال فإننا نلاحظ أن هذا الموضوع الذي أسهب فيه الاستاذ من موقع أنه من موضوعات العرفان فهو ومن دون شك هو من الموضوعات العلمية التي يجب الاهتمام بها ذلك أن موضوعات التناسق والانسجام والتوازن في الكائنات أو في الموجودات وإن كانت إجابة كافية وشافية لمعرف الخالق فهي في الوقت نفسه بحث علمي فيها بكل الصيغ وما على الباحثين في الجماليات إلا أن يكشفوا عن حقائق الجمال فيها وهي إرشاد من الأستاذ إلى التمكن في الموجودات وفي الكائنات لدراستها دراسة علمية.

وفي الخلاصة نذكر ما يلي:

إن فكر الاستاذ النورسي يجعل مكانة خاصة وخاصة جدا لكل من الدين والعلم والفن ذلك أنه لا تنافر بينهم ولا تناقض ولا تضاد بل كل واحد شاهد على الدور المنوط به في حياة الناس .

لقد تعرض الدين لهزات أصحاب التنوير في اوربا ذلك جعل من القديسين والاصلاحيين يحاولون ترميما له دون جدوى ذلك أن الدين ضرب في الصميم من جراء التحريف العقدي الذي أصابه فأبعد عن حياة الناس ابعادا.

إن الاسلام وهو الدين الحق ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾[63] لم يعرف الويلات التي أصابت الديانات الأخرى. سواء منها الديانات السماوية أو الديانات الارضية على الرغم من منعرجات نهر التاريخ التي لفظت أهله نحو الضفة إلا أن بشائر المبادرة للعودة لحلبة التاريخ متوفرة فيه.

إن العلم الذي عرفت الانسانية ويلاته جراء حربين عالميتين يحتاج إلى العودة إلى حضن الدين الدين الاسلامي هذه المرة.

إن العلم الحقيقي هو العلم الذي يشع به الله سبحانه على عباده لأن العلم الكلي بيده وما لعباده سوى معرفة بصيص من الجزئيات وهم بذلك عليهم اتباع نور الدين الذي ينير نور العقل وليس العكس كما آل إليه وضعه الحالي.

إن العلاقة بين العلم والدين علاقة تلازم حيث يكون الدين يكون العلم وهكذا يتعزز الدين بالعلم وحيث يتنافر الدين والعلم يكون العلم سيف ذو حدين وهو ما آل إليه وضع العالم اليوم لا سيما في أوربا.

إن الفن أو الجمال لا بد وأن يستلهم من الجميل لان مخلوقات الله كلها تنطلي عليها النبرة الجمالية أي كانت سواء في عالم النبات أو في عالم الحيوان أو حتى في عالم بني الانسان .

حتى يؤدي الجمال دوره لا بد من الاستجابة للجميل دائما في شكل الايمان المسبح بحمد الجليل الجميل.

إن العلاقة بين الجمال والدين هي علاقة حبك متين حيث كان الايمان كان ثمة ذوق جمالي وحيث غاب هذا الإيمان غاب هذا الذوق وحل محله القبح. مع العلم أن الاستاذ يرى أنه لا مكان للقبح -إلا- لمن رضي لنفسه أن يتذوق القبح. لأن بعيد عن الايمان. ويكون قد ضل ضلالا بعيدا.

يقدم الاستاذ النورسي دلائل خمسة على تواجد الفن أو الجمال وبالتالي يضع الرؤية الفلسفية له أو المنطق في كل طريق من يرنوا له.

وفي الأخير إن المفردات التي حللناها (الدين العلم الفن) من منظور الاستاذ النورسي تتجلى لنا متعانقة ومتعاونة متناسقة متكاملة في تصور الاستاذ وهو تصور جدير بالريادة والاحترام والتقدير.

والله ولي التوفيق وهو مولانا وإليه المآب.

مصادر ومراجع البحث .

القرآن الكريم.
الفاتحة الآية:٣
الذاريات، الآية ٦.
آل عمران الآية ١٩.
البقرة الآية، ٢٥٦.
النساء الآية، ٤٦.
الحج الآية]ة ٧٨.
الزمر الآية، ٣
الشورى الآية ١٣
الشورى، الآية ٢١.
الأحزاب الآية،٥
الانفال، الآية ٧٢.
التوبة الآية ١٢٢.
يوسف الآية ٧٦.

النور، الآية ٣٩.

ابراهيم الآية ٣٤.

فاطر الآية ١٧.

لقمان الآية ٣٤

الحديث

عن أبي أمامة، قال أبو ذر: قلت يارسول الله كم وفاء عدة الانبياء قال« مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل » من ذلك ثلاثمائة وخمسة وعشر جمعا غفيرا » أحمد ابن حنبل المسند ٢٦٥/٥ إبن حبان، الصحيح ٧٧/٢ الطبراني، المعجم الكبير ٢١٧/٨:

الحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، وغيرهم. ونصه كما عند مسلم: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس. وأما معنى جملة إن الله جميل يحب الجمال فقد قال المناوي :إن الله جميل أي له الجمال المطلق جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال، يحب الجمال أي التجمل منكم في الهيئة، أو في قلة إظهار الحاجة لغيره، والعفاف عن سواه.

) في حديث رواه البخاري: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم :-قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .وفي بعض رواياته :ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

مصادر النورسي.

بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، المكتوبات، المكتوب السادس والعشرون، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ط ٦،دار سوزلر.٢٠١١

بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، المكتوبات، المكتوب التاسع والعشرون، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،دار سوزلر٢٠١١.

بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، اللمعات، اللمعة الخامسة عشرة، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،دار سوزلر٢٠١١.

بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، الشعاعات، الشعاع الرابع، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،دار سوزلر٢٠١١

بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، المثوي العربي النوري ، تحقيق إحسان قاسم الصالحي،دار سوزلر٢٠١١

بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،دار سوزلر٢٠١١

بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، الملاحق ملحق اميرداغ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،دار سوزلر٢٠١١

بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،دار سوزلر٢٠١١.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .

سيد قطب، في ظلال القرآن،دار الشروق ط، ١٥، ج ١، ١٤٠٨ه ـ ١٩٨٨.

مالك بن نبي، ميلاد مجتمع وشبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر دمشق سوريا ١٩٨٣.

كانت إمانويل: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٧٠.

محمد عبده، الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، ط ٢ دار الحداثة ، بيروت لبنان ١٩٨٣دار

Mark twain lettres de la terre Traduit de l'américain par Jérôme Vérain , édition, prover be 2015

الهوامش

١ الاستاذ الدكتور لخضر شريط مدير مختبر مشكلات الحضارة والتاريخ جامعة الجزائر

٢ الفاتحة الآية:٣

٣ الذاريات، الآية ٦.

٤ آل عمران الآية ١٩.

٥ البقرة الآية، ٢٥٦.

٦ النساء الآية، ٤٦.

٧ الحج الآية]ة ٧٨.

٨ الزمر الآية، ٣

٩ الشورى الآية ١٣

١٠ الشورى، الآية ٢١.

١١ الأحزاب الآية،٥

١٢ الانفال، الآية ٧٢.

١٣ التوبة الآية ١٢٢.

١٤ يوسف الآية ٧٦.

١٥ سيد قطب، في ظلال القرآن،دار الشروق ط، ١٥، ج ١، ١٤٠٨ه ـ ١٩٨٨. م

١٦ الذاريات:٥٦

١٧ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع وشبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق،١٩٨٣.

١٨ Mark twain lettres de la terre Traduit de l'américain par Jérôme Vérain , édition, proverbe 2015

١٩ بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، المثنوي العربي النوري تحقيق إحسان قاسم الصالحي ، ط ٦ دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١ ص ٤٢.

٢٠ نفسه ص ٢٠٦

٢١ بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور المثنوي العربي النوري، ص٢٠٦

٢٢ نفسه ص،٢٠٨

٢٣ آل عمران الآية ١٠٣

٢٤ بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، الملاحق، ملحق آميرداغ ١، ترجمة وتحقيق إحسان قاسم الصالحي ط ٦ دار سوزلر ٢٠١١ ص٢٣٠.

٢٥ النور، الآية ٣٩.

٢٦)ابراهيم الآية ٣٤.

٢٧ فاطر الآية ١٧

٢٨ النورسي، الملاحق، ملحق أميرداغ ١ ص ٢٣٠-٢٣١

٢٩ ابراهيم، الآية، ٥.

٣٠ عن أبي أمامة، قال أبو ذر: قلت يارسول الله كم وفاء عدة الانبياء قال« مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل » من ذلك ثلاثمائة وخمسة وعشر جمعا غفيرا » أحمد ابن حنبل المسند ٢٦٥/٥ إبن حبان، الصحيح ٧٧/٢ الطبراني، المعجم الكبير ٢١٧/٨:

٣١ بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب التاسع عشر، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط ٦ دار سوزلر ٢٠١١ ص ١١٩.

٣٢ المصدر نفسه ص٥٦.

٣٣ النورسي، المكتوبات، ص ٣٤

٣٤ الطبيعيون أو الدهريون تيار فلسفي عرف في الغرب انطلاقا من الفكر اليوناني إلى أيامنا هذه ولعل أهم من كشف عن مواقفهم من العلم، في العصر الحديث هو الشيخ محمد عبده في كتابه:الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية .

٣٥ الذاريات، الآية ٢٠.

٣٦ فصلت، الآية ٥٢.

٣٧ بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات مصدر سابق ص ٤٤

٣٨ بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات اللمعة الخامسة عشرة ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط ٦، القاهرة،٢٠١١. ص .١٥٤.
٣٩ لقمان، الآية ٣٤ .

٤٠ بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، اللمعة الخامسة عشر، ص. ١٥٥.
٤١ فاطر الآية، ٢٨.
٤٢ لتفاصيل أكثر راجع ابو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ٢٩٩/٤،المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة
٤٣ بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع، ترجمةإحسان قاسم الصالحي ط ٦ القاهرة ٢٠١١، ص٨١.
٤٤ المصدر نفسه، ص ٨١.
٤٥ الانفال، الآية ٤٨.
٤٦ البقرة، الآية ١٥.
٤٧ الحديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده، والحاكم فى مستدركه، وغيرهم. ونصه كما عند مسلم: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس. وأما معنى جملة إن الله جميل يحب الجمال فقد قال المناوي :إن الله جميل أي له الجمال المطلق جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال، يحب الجمال أي التجمل منكم في الهيئة، أو في قلة إظهار الحاجة لغيره، والعفاف عن سواه
٤٨ بديع الزمان سعيد ا النورسي الشعاعات، الشعاع الرابع، مصدر سبق ذكره ص ٨٢.
٤٩ لأكثر تفاصيل راجع إيمانويل كانت، أسس ميتافيزيقا الأخلاق، محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية ٢٠٠٩.
٥٠ المصدر نفسه نفس ص .
٥١ النورسي الشعاعات، الشعاع الرابع، ص، ٨٣.
٥٢ نقلا عن النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع: أنظر، مسلم، الايمان٧٩٢. الترميذي، الجنة ٦١. ابن ماجة، المقدمة،٣١. أحمد ابن حنبل، المسند٣٣٣٠ -٣٣٢/٤
٥٣ النورسي الشعاعات الشعاع الرابع، ص ٨٤.
٥٤ فى حديث رواه البخاري: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم :-قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .وفي بعض رواياته :ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل.
٥٥ ابديع الزمان سعيد لنورسي، الشعاعات الشعاع الرابع ص ٨٤.
٥٦ ابديع الزمان سعيد النورسي الشعاعات الشعاع الرابع ص٨٤.
٥٧ ابديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات الشعاع الرابع ص ٨٥
٥٨ ا ابديع الزمان سعيد لنورسي،المكتوبات، المكتوب السادس والعشرون ص ٤٠٥
٥٩ ابديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب التاسع والعشرون ص ٥٥٢.
٦٠ ابديع الزمان سعيد النورسي المكتوبات، المكتوب السادس والعشرون،،ص ٤٠٤
٦١ ابديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات ص ٣٤.
٦٢ ابديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشر، ص ١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣٠.
٦٣ آل عمران الآية ١٩.

الإيمان وأثره في تأسيس السلام الاجتماعي
دراسة تطبيقية على رسائل النور

الملخّص

أ.د.علي بن العجمي العشي [1]

د.سالم المساهلي [2]

من المقاصد العامّة للتّشريع في الإسلام، حفظُ نظام العالَم وصلاحِه بصلاح أهلِهِ، ولعلّ أبرزَ ملامح صلاح العالَم، سيادةُ السّلام الاجتماعي بوصفِه تعبيرا عن قيمة التّعايش السّلمي بين البشر، بما ينبذ مظاهر العنصريّة والتّعصّب وشعور الكراهيّة والتّباغض، ويدرأ مفاسد التّنازع والاحتراب. لذلك كان الإيمان بالله وّل أركان البناء النّفسي والوجداني والعقلي للإنسان، وأساس قواعد الاجتماع البشري، وما ذلك إلاّ لأنّ عقيدة التّوحيد تنزع ما في صدورِ المؤمنين من أمراض الكِبر والاستكبار والتّعالي، فلا أرباب ولا خضوع ولا احتكام إلاّ لله مصداقا لقوله تعالى﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[13] . ومن معاني الإيمان الأمنُ والأمان والأمانةُ، الّتي لا قيام للسّلم المجتمعي من دونها. وقد أفاض الإمام سعيد النّورسي في تأكيد هذه المعاني في رسائل النّور، مبرزا آثار شعاع الإيمان وكلماته في إشاعة روح السّلام والوقاية من مخاطر العنف بأشكاله المختلفة، وهو ما يسعى هذا البحث لاستجلائه.

كلمات مفتاحية: الإيمان ـ السّلام الاجتماعي ـ السّلم ـ سعيد النّورسي

Faith and its impact on establishing social peace
An applied study on risale-i Nur

ABSTRACT

Prof. Dr. Ali Alashi / Dr. Salem Elmasahli

One of the general purposes of legislation in Islam is to preserve the order of the world and its goodness with the goodness of its people, and perhaps the most prominent feature of the goodness of the world is the rule of social peace as an expression of the value of peaceful coexistence among human beings, which renounces the manifestations of racism, intolerance and feelings of hatred and animosity, and ward off evil.

Therefore, belief in God was the foundation of the psychological, emotional and mental construction of man, and the basis of the rules of human society, and this is only because the belief in monotheism removes what is in the hearts of the believers from the diseases of arrogance, arrogance and transcendence. "Say: O People of the Book Come to a word between us and you worship none but God does not involve the thing does not take each other as lords besides God, if they turn away, say, take note fist Muslims (64 Al-Imran) It is the meanings of faith in security and safety and the Secretariat, which do not do peace Imam Said Nursi emphasized these meanings in Risa'il al-Nur, highlighting the effects of the ray of faith and his words in spreading the spirit of peace and preventing the dangers of violence in its various forms, which is what this research seeks to elucidate.

Keywords: faith - social peace - peace - Said Nursi

مقدمة

الإطار العام للبحث:

تتنزّل هذه المحاولة في إطار منهج الذّكر الّذي نحتاج إليه دائما لمراجعة مساراتنا الثقافيّة والحضاريّة تجديدًا للصّلة بالمنابع الرّوحيّة والمعنويّة التي تثبّت انتماءنا وترسّخ هويّتنا وتوجّه رسالتنا الاجتماعيّة، واستمدادا لمعاني الإنسانيّة النّبيلة والقيم الأخلاقيّة السّامية الّتي تشكّل المعين الّذي لا ينضب لوعينا التّاريخي أمّةً رساليّةً على دربِ المرحمةِ والملحمة. إنّ ما يجتاحُ العالَمَ اليومَ مِن اضطرابٍ أخلاقيّ وفكريّ وحضاريّ، وما يتهدّدهُ من انهيارات اجتماعيّة ونزعات أصوليّة وجنوح طاغوتيّ وتمييز عنصريّ، يدعونا لوقفةِ تأمّل نستشعرُ فيها دورنا بوصفنا أمّةً إسلاميّة تحمّلت رسالةَ الاستخلافِ والرّحمة والهدايةِ الرّبّانيّة، في انتشالِ النّاسِ من دروبِ التّيه والانحرافِ عن جادّةِ

الإنسانيّة، ولعلّ الله سبحانَهُ يقيّضُ لعبادِه برحمته ولطفِه مَن يرفعُ مشعلَ النّور وشمسَ الحقيقة ليضيء للنّاس طريق الحقّ والرّشد، إمامًا يهدي للّتي هي أقومُ، وإذا كان الرّسول محمّد عليه الصلاة والسّلامُ قدوتَنا، فلا شكّ أنّ من اهتَدى بهديِه واستنّ بسنّته يظلّ مِن الذّين أشار إليهم صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"[٤].

إنّنا هنا في حضرةِ أحد أعلامِ الأمّة البارزين الذين طبّقت شهرتهم الآفاق، لا بوسائل الإعلام المأجورة وإنّما بآثارهِ وأعمالِه وكفاحِه وتلاميذهِ الّذينَ تشرّبوا على يديه أنوار الإيمان فحملوها ألويةَ سلامٍ ورسائلِ نورٍ تخترقَ حُجُبَ الظّلام الّذي رانَ على الكون، مبشّرةً بالحقيقة الكونيّة الكبرى وهاديةً إلى طريق الإيمان الحقّ، لإنقاذ البشريّة من غفلتها وسهوها الوجوديّ، ولتطهّر نفوسَ النّاسِ من أمراضِ الكراهيّة والتباغض والأحقاد والتّنافس المحموم الدّاعي إلى العداواتِ والفِتن، هاديةً إلى السّلامِ النّفسي والاجتماعيّ والأخوّة الإنسانيّة الرّاشدَة. ذلكَ هو الإمام سعيد النّورسي شعاعُ الرّحمة الرّبّانيّة وبُرهانُ أنوار القرآن الكريم وصيقلُ الإيمان والإسلام، الّذي نحاولُ أن نقترِبَ من مقامِهِ النّوراني في هذه الوقفة، باحثينَ عن مكامِنِ الدّرّ في هذا البحر الزّاخر المترامي من أمواج النّور، مقتبسينَ ما يساعدُ البشريّة على انتهاج مسالك السّلام الاجتماعي، شفاءً من أمراضِ العداوات والفتن والحروب.

إشكاليّة البحث:

إنّ ما شهدتهُ البلاد الإسلاميّة في القرون الأخيرة من انهيار وتفكّك، وخصوصا زمَن التمدّد الاستعماري إبّان سقوط الخلافة وبعدهُ، يجعلُ الأملَ في استفاقةِ الأمّة وقيامِها من كبوتها أمرًا صعبًا، قياسًا لما كانت تمتلكُه الدّول الغازية من إرادة هيمنة مسلّحةٍ بالقوّة العلميّة والتقنيّة والعسكريّة. فهل كانت البلادُ الإسلاميّة والعربيّة وقتها قادرةً على مواجهة ذلك الزّحف الغربي الهائل وبيتها يوشك أن ينهدّ ومجتمعاتها مشتّتة وثقافتها جامدة ووجدانها فاتر وريحها باهتة؟ أضف إلى ذلك الخلافات التي نشأت بين النخب السياسية والثقافيّة، بين متنطّع منبهرٍ بوعود الحضارة الغربيّة، وبين متمسّك بهويّة تقليديّة لا تقدر على الحضور النّدّي. كانَ الأمرُ يتطلّبُ إرادةً صلبةً وعزيمة فولاذيّةً ووجدانًا نابضًا بالإيمان الحيّ الواثق، وهو ما تجسّدَ في شخصيّة الإمام سعيد النّورسي وجعله يندفعُ في مواجهةِ التّيار الثّقافي الجارف، والاحتلال الظّالم، منافحا بالكلمة والشعور ومكافحا بالانخراط في الجنديّة، فحقّق من الوعي الثقافيّ لدى الأجيال ما ملأها ثقةً في دينها

وثقافتها، وزرعَ من بذور الاعتزاز بالهويّة وكرامة الذّات ما أثمرت به تركيا الحديثة. فكيفَ تستطيعُ الأمّةُ الإسلاميّة اليومَ، ـ وحالُها أفضلُ من خلالِ بشائرِ النّوراتِ ـ أن تستكمِلَ مشروعَ تحرّرها الشّامل وتستردّ مقامها الرّسالي، في تصفية تركة الاحتلالِ البغيض الذّي ورّث النُّخَبَ الفرقة والخلافَ والعداوات الإيديولوجيّة، لتبنيَ سلامها الاجتماعيّ ووَحدتها الوطنيّة من خلالِ ثقافتِها الوطنيّة الأصيلة ومشاغِلِها الذّاتيّة في التّنمية الحقيقيّة، بعيدا عن هيمنة القوى الغازية؟

وكيفَ لها أن تستعيدَ دورَهَا الرّساليّ في إشاعة السّلام الاجتماعي بين العالَمين في كونيّة عادلة لا هيمنةَ فيها ولا استتباع؟

أهمية البحث:

يقول عزّ من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[5] ولا شكّ أنّ مدلول الكلمة الطّيّبة أوسع سَعةَ معاني القرآن بحقيقته ومجازه، فالكلمةُ فكرةٌ وشعور وأداء اجتماعيّ، لأنّها مرتبطة بوجدان الإنسان وعقله وعمله، وما كانت الشهادتان إلاّ عبارة كلام. من هناك كانت كلمات الإمام سعيد النورسي بذورَ وعيٍ نابضٍ بالحياةِ أدّى إلى تكوين أجيالٍ حملت مشعَلَ تثبيت الإيمان وإنقاذهِ مِن جمودِ الحروف. إنّ الكلمات مكتوباتٌ بوهجِ الرّوح وهُنّ شعاعاتٌ ولمعاتٌ وإشاراتٌ، توقظُ الشّعور وتنبّه العقل وتشحذ الإرادة وتدفعُ إلى الفعل. ألم تكن الرّسالاتُ السّماويّة كلّها كلماتٍ حوّلها الرّسُل والأنبياء إلى علاماتٍ وحركاتٍ اجتماعيّة ؟ ألم تكُن مشاريع المصلحينَ رسائلَ وكلماتٍ موحيةٍ وموجّهة ؟ هنا تأتي أهمّيّة البحثِ في رسائِل النّور بوصفِها معينًا لا ينضبُ لانبجاسِ الدّلالاتِ والإلهامات، ذلكَ أنّها لَم تكن كلماتٍ سيّارة وعابرة، ككلامِنا اليوميّ، ولكنّها كانت تلدُ مضمّخةً بوجدانٍ عارفٍ بالله مقتبِسٍ من نورِ الإيمانِ ما يجعلُ كلماتِه نفثاتِ روحٍ ونبضاتِ قلبٍ وزهراتِ تجربةٍ حيّة في استكناهِ أسرار الوجودِ واختبارِ الواقعِ الاجتماعي، بِحرصِ المُصلح المُخلص والأبِ الحانِي والمُربّي المُحِبّ. فكيفَ لا نقترب مِن هذا النّبع في واقعٍ جفّ فيه الكلامُ نفاقًا وسطحيّةً، وضمُرَ فيه الشّعورُ تهاوُنًا وبُرودًا واضمحلّ فيه الصّدقُ بُخلا وفتُورا ؟ إنّ لكلماتِ النّورسي حرارة المُؤمنِ الواثِقِ بالله، ودفء المُطمئنّ إلى وعدِهِ تعالَى، وفيها بُرهانِ العاقِلِ المثقّفِ النّبيه، ونهجُ النّاصِحِ الوفيّ، المتّبعِ بإحسانٍ إلى أنوارِ الوحيِ وسُنّةِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم. إنّه تثبيتُ الله لأوليائِهِ في قولِه تعالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[6].

منهج البحث:

تتطلّبُ كتاباتُ النّورسي قدرًا كبيرًا مِن النّباهة والتّأمّل، لذلك اعتمدنا المنهج التّحليلي في تفسير المفاهيم والمصطلحات الّتي ارتكز عليها فِي بيانِ رؤيته وأفكارهِ وإشاراتِه المتعلّقة بموضوع الإيمان في صلتِه بالواقع الإنساني، محاولِين استنتاج أبعادِه ودلالاتِه الثّقافيّة الواقعيّة وآثاره الاجتماعيّة. كما وظّفنا المنهج الاستقرائي لتتبّع مختلف آراء النّورسي وأفكاره المتعلّقة بحقيقة الإيمان في تجلّياته الشعوريّة والعقلية والواقعيّة. كما كانَ لابدّ من اعتِماد المنهج التّاريخي لاستجلاء آثارِ اللحظة التاريخيّة في توجيه أفكارِ الإمام النّورسي نحو أهدافه الإحيائية والإصلاحيّة، من خلالِ قراءتِه المتجدّدة والتّنويريّة لرسالةِ الإسلام في جدلِه المستمرّ مع الزّمان والمكان، ولم يكن هناك بُدّ من الاستعانةِ بالمنهج الانتروبولوجي لرصدِ علاقةِ أفكار سعيد النّورسي بواقع الإنسان المسلم، وبالمرحلة الثقافية والحضاريّة التي عاشتها الأمّة في تفاعلها مع الواقع الحضاري المحلّي والعالَمي.

أهدافُ البحث:

نسعَى من خلالِ هذه الورقة إلى الاطّلاعَ على إحدى زوايا الفكر التنويري للإمام النّورسي، المتمثّلة في تركيزه على تفعيل شعور الإيمان ومعانِيه وأبعاده السّلوكية لإشاعةِ أنوارِ حقيقته في الوجود، بما ينتشلُ البشريّة مِن ظلمةِ الانكبابِ على وجهها، في صراعها الدّائم مع الحاجات المادّية الّتي لا تنتهي، والّتي تدفعها إلى المنافسة المحمومة والتنازع والتعادي والكراهية والاحتراب، ليفتح وجدانها وبصيرتها على فسحةِ الحقيقة المطلقة، لمعانِي السّلام الرّوحي والنّفسي والاجتماعي، الّذي يعيدُ للإنسانِ معناهُ المفارق وعمقهُ الوجداني ونبعه الرّبّاني. نسعى إلى ذلك من خلالِ النّظر في مدوّنةِ رسائلِ النّور بما تمثّله من رصيد فكري وغِنى دلالي وثراء معنوي، يفتحُ على النّظر الواثق بالله والأمل في التغيير نحو الأفضل. ولعلّ الهدفَ الأبرزَ لهذه الورقة يكمنُ في استمدادِ الطاقةِ الكامنة في ثنايا كلمات الإمام، من أجلِ استِعادَةِ روحانيّة مشروعه الإصلاحيّ، بإحياء الإيمان وإنعاشِ الفكر وشحذ العزم، لدعمِ السّلامِ الدّاخلي لشعوبنا بتركيز مصالحة ثقافية بين نُخبها على أساسِ مفرداتِ الهويّة الجامعة، وتلبية مطالبِ الناس في الأمن الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، بما يحقّق اكتفاءها وعزّتها وكرامتها، ويشجّعها على الإسهام في بناء السّلام العالَمي بدعم حرّيّة الشّعوب ومقاومة الاحتلال والنّزعات العنصريّة.

مدخل مفاهيمي:

١. الإيمان لغةً واصطلاحا:

"آمن بالشّيء صدّق، والإيمانُ إظهارُ الخضوع والقبول للشّريعة ولما أتى به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، واعتِقادُه وتصديقُه بالقلب، واتّفق أهل العلمِ أنّ الإيمان معناه التّصديق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[7] والأمن، ضدّ الخوف والأمانةُ ضدّ الخيانة"[٨].

" أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف،وآمَنَ على وجهين أحدهما،متعدّيا بنفسه، يُقال آمنتُه أي جعلتُ له الأمن، ومنه قيلَ لله مُؤمِنٌ. والثّاني غيرُ متعدّ ومعناهُ صارَ ذا أمنٍ. والإيمانُ إذعانُ النّفسِ للحقّ على سبيل التّصديق باجتِماعِ ثلاثةِ أشياء، تحقيقٌ بالقلبِ وإقرارٌ باللّسان وعملٌ بالجوارِح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُون﴾[9] [١٠] .

أمّا اصطلاحا فقد "عرّف الجرجاني الإيمان في كتاب التعريفات، فقال: الإيمان في اللغة: التصديق بالقلب، وفي الشرع: هو الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، قيل مَن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو فاسق، ومن أخلّ بالشّهادة فهو كافر[١١]".

وفي الكشّاف يذكر التّهانوي "أنّ الإيمان في اللّغة التّصديقُ مطلقًا، والتّصديقُ اللغويّ هو اليقينيّ على ما يجيء في محلّه فالظّنّيّ ليس بكافٍ في الإيمان .. وهو معرفة الله تعالى مع توحيده بالقلب" [١٢].

وعرّفه الأثري قائلا: "فمسمَّى الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ كما أجمع عليه أئمتهم وعلماؤهم، هو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية" [١٣]

وحقيقة الإيمان الشرعي أنه (ما في القلب والأعمال الظّاهرة لازمةٌ لذلك، لا يُتصوّر وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمالُ الظّاهرة كان لنقص الإيمان الّذي في القلب[١٤]" .

٢. السلام لغةً واصطلاحا:

"السَّلامُ في الأَصل السَّلامةُ يُقال سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاماً سَلامةً ومنه قيل للجنة دار السَّلام لأَنها دار السَّلامةِ من الآفات،" .[١٥] السّلام والسّلامةُ: البراءة والعافية، يقولون: سلامٌ

عليكم، فكأنّه علامةُ المسالمَةِ وأنّه لا حربَ هنالك، ومعنى السّلام الّذي هو مصدر سَلّمتُ أنّه دعاءٌ للإنسان بأن يسلمَ من الآفاتِ في دينه ونفسه، وتأويلُه التّخليصُ[١٦]"،والسّلم من المسالمة، تقول: أنا سلم لمن سالمني وتسالموا تصالحوا والمسالمة المصالحة"[١٧] ،و"السَّلمُ والسّلامةُ التّعرّي من الآفات الظّاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾[18] ، والسّلامُ إسم من أسماء الله تعالَى: لهُم دَارُ السَّلاَم الأنعام ١٢٧، ﴿السّلامُ المُؤمِنُ المُهَيمِن﴾[19] ،﴿وإذَا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾[20] ، أي نطلُبُ السّلامَةَ، والسِّلمُ إسمٌ بِإزاء الحرب والإسلام الدّخولُ في السّلم وهو أن يَسلَم كلّ واحد من أن ينالهُ من ألم صاحبه[٢١]" .. ،أمّا في الاصطلاح فالسلام الاجتماعي "يعني غياب كلّ مظاهر العنف والقهر والخوف في المجتمع، والسلام لا يعني فقط غياب الحرب كما أنّه ليس مجرّد ظاهرة سياسيّة، ولكنه يعبّر عن عمليّة اجتماعيّة متعدّدة المستويات، إذ تتضمّن السّلام على مستوى العائلة والمجتمع وعلى المستوى الإقليمي والدّولي، كما يتناولُ السّلام الدّاخلي أي النّفسي، وهذا النّوع ضروري من أجل وجود عالم سلمي[٢٢]"

فالسّلام حالة شعوريّة وسلوك اجتماعي يعكسُ حالة السكينة النّفسية والوئام بين النّاس،ولاشكّ أن المجتمع البشري يتكوّن من مجموعة أفراد مختلفين في الأفكار والمذاهب والمواقع الاجتماعيّة والوظائف، ولكن ذلك لا يدعو ضرورة إلى التّناحر أو الصّراع، إذ يكفي المجموعة البشريّة الاتّفاق على ميثاق أو عَقد اجتماعي ينظّم العلاقات بينها، فيحدّد الحقوق والواجبات، ويضمن المساواة والعدالة بين الجميع في كنف الشفافيّة والنّظام، كي تستقرّ الجميع ويتآلفوا. إنّ السّلم بمفرداته واشتقاقاته المختلفة تعبيرٌ عن توقٍ فطريّ وطبيعيّ في الإنسان للعيش في أمانٍ وطمأنينة وهدوء ومصالحة مع النفس ومع الآخرين، وهو ما يزخر به النّصّ القرآني من مثل قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾[23] وقوله:" ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[24] وهو ما أكّد عليه النّبي صلى الله عليه وسلّم بقوله:" المُسلمُ من سَلِمَ المُسلمون من لِسانه ويَده .[٢٥].. ذلك ما عبّر عنه سيّد قطب بقوله:"إنّ الدخول إلى الإسلام وحده كافٍ لأن يجعل المسلم يدخلُ في عالَمٍ كلّه سِلم وسلام، وطمأنينة ووئام وثقة واطمئنان، لا حيرة ولا قلق ولا شرود ولا ضلال، سلام مع النّفس والضّمير ومع العقل والوجدان، سلام مع النّاس ومع كلّ ما في الوجود.[٢٦]".

٣. السّلم الاجتماعي:

"السلم الاجتماعي توافُر الاستقرار والأمن والعدل الكافل لحقوق الأفراد في مجتمع ما، أو بين مجتمعاتٍ أو دول[٢٧]"

"هو ذلك الاستقرار التّامّ والتّعايش بين شعوب وأعراق مناطق مختلفة، نتيجة التّفاهم وحسن الجوار واحترام الرّأي الآخر، وتقبّل تعايش الأقلّيّات مع بعضها وحلّ الخلافات بالتّوافق دون عنف [٢٨]"

"يُراد بمفهوم السّلم إشباع تلك الحاجة الفطريّة لكلّ إنسان على الأرض، وهي الحالة الطبيعيّة التي تشكّل ذلك الانسجام والتّآلف بين النّاس لتفضي إلى حالة من الهدوء والتّفاهم المُشتَرك، ذلك أنّ طبيعة النّفس البشريّة تميل إلى نبذ الكراهيّة والعداوة والحقد، لأنّها معاكسة للفطرة ولأنّ الإنسان مدنيّ بطبعه [٢٩] ".

٤. التعايش السّلمي:

"التعايش كلمة تعني المشترك مع الآخرين، ولا يكون التعايش إلا بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إن وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة، لحمتها الألفة، وسداها المودة والثقة[٣٠] "،معنى هذا أنّ العيش المشترك لا يكون إلا على أساس الثقة والاحترام المتبادلين بطواعية واختيار، والذي يهدف إلى اجتماع يتفق عليه الطرفان أو الأطراف التي ترغب في تقبل بعضها

"مبدأ التّعايش والتفاهم والتّسامح مع الآخرين على اختلاف قومياتهم وعقائدهم وألوانهم، هو جزء من عقيدة المسلم

التي تقوم على إيمانه بالوحدة الإنسانيّة لأنّ النّاس كلّهم عيالُ الله[٣١] ".

المبحث الأوّل: التعارف بين النّاس غاية الخلق:

المطلب الأوّل: أصالة الكرامة البشريّة:

خُلق النّاسُ من أصل واحدٍ ولخالق واحد على أرضٍ جامعة، بما يعني ضرورة تلاقيهم وتعايشهم وتآلفهم، لما يجمعُ بينهم في أصلِ التّكوين وحاجة بعضهم إلى بعض. وكان التكليف الرّبّانيّ للإنسان بالخلافة دافعًا لتعاون البشر من أجل تعمير الأرض وبناء المجتمع الإنساني على أساس المصالح والمنافع المشتركة. من هنا ينطلق الإمام النّورسي ليحدّد أرضية الاجتماع البشري وسقفَه مستنِدًا إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير" ﴾[32] ، لتتجلّى حقيقة القدر الإلهي الّذي خلقَ النّاس وجعلهم مختلفين، لا لتعميق اختلافهم وخلافهم، وإنّما لإثراء الوجود الإنساني من خلال السّعي إلى التّعارف والتّواصل، ذلك أنّ التّشابه التّامّ والتّطابق المطلق لا يدعوان إلى الرّغبة في التقارب. فإذا كان الخالق سبحانه واحدًا ومكان العيش واحدًا والمصير واحدًا، فلِمَ التّنافرُ والتّباعد، بل إنّ كلّ ذلك " يقتضي الأخوة والمحبة والوحدة، بمعنى أن الانقسام الى طوائف وقبائل - كما تعلنه الآية الكريمة – ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم.[٣٣]""

وإذا كانت البشريّة على تنوّع اختلافاتها العرقية والثقافية والحضارية مدعوّة إلى التّعارف بنصّ الآية فمن باب أولى أن تكون الأمّة الواحدة الّتي جمعتها عقيدة التّوحيد وعلّمها النّبيّ القُدوة وسدّدها الشّرع الحنيف وجمعتها الرّسالة الواحدة، أقربَ إلى التّماسك والتّكافل والتّضامن والوَحدة، وألاّ تعودَ إلى ما كانت عليه من شتاتٍ وفُرقةٍ وتنافر ونزاع قبليّ. يشير الإمام النّورسي إلى الأمراض النّفسيّة والفكريّة والاجتماعيّة الّتي أصابت الأمّة مُبرزًا أثر التّباغض والخلافات السّياسيّة والإيديولوجيّة في تشتيت شمل الأمّة وإرباك مسيرتها وتخريب أسس بنائها الاجتماعي، يقولُ في لهفةِ المصلح النّاصح:" إن التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله ـ بسبب من الفكر القومي ـ هلاك عظيم، وخطب جسيم، إذ أنهم أحوج ما يكون بعضهم لبعض، لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف، ولشدة الفقر الذي نزل بهم ولسيطرة الأجانب عليهم، كل ذلك يسحقهم سحقاً، لذا فان نَظَر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف، بل إنه جنون أشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين الماردة التي تحوم حوله .[٣٤]"إنّه يخاطبُ أمّة تتهدّدها قوى الهيمنة المحيطة بها والمدجّجة بسلاح العلم والتقنية، لذلك لا يحقّ لها أن تثير ما بينها من اختلافات طبيعيّة داخليّة، وأن تجعلها مدعاةً للتّنازع والصّراع وتمزيق أواصر الأخوة الدّينيّة والاجتماعية، لأنّ ذلك يشجّع أعداءها على النّفخ في نار الفتن والخلافات لتعميق الفجوة بينها واختراقها من أجل السيطرة عليها وعلى مقدّرات أرضها. وقتها تصبح تلك المجتمعات التي نخرتها الفتن مهيّأة للانقياد للقوى الخارجيّة والاستقواء بها على أبناء دينها وقومها.

بات واضحا أن الدّول والمجتمعات مخترقَةٌ مِن قبل قوى الاستتباع والهيمنة، ساعدها في ذلك ما وجدته من أبناء تلك المجتمعات والدّول من قابليّة للتفاعل معها والتّجاوب مع رغباتها ومخططاتها الاستتباعيّة. يسمّي الإمام النّورسي الأمور بأسمائها ويشير إلى دور النّزعات القوميّة في بلبلة واقع المجتمعات الإسلاميّة، مبينا أنّ تلك الدّعوة المناقضة للإسلام تنسلخ من تراثها الثّقافي والحضاري حين تقلّد دعوات القوميّة

في الفكر الغربي، ذلك أنّ المجتمع الإسلامي ليس فيه خصومة بين الدّين والوطن ولا بين الإسلام والقوميّة، يقول ":لا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلا ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية. وبِخلافهِ، أي إقامة القومية بديلاً عن الإسلام، جناية خرقاء أشبه ما يكون بوضع أحجار القلعة في خزينة ألماس وطرح الألماسات خارج القلعة .[٣٥] "

المطلب الثاني: الإيمان والإيمان التحقيقي عند النّورسي:

الفرع الأول: الإيمان:

يشعّ نور الإيمان داخل كيان الإنسان المؤمن فيملأ وجدانَه انشِراحًا ويغمر نفسه طمأنينةً، فإذا المحيطُ من حوله ناطِق بمعانِي التّوحيد، مسبّح باسمِ البديع المدبّر الحكيم، متناسِقُ الحركات منسجِمُ الآداء. حينَها تنفتِح البصيرةُ الإيمانيّة لِيرى الإنسان بعينَي قلبِهِ بدائِع المشاهِد النّاطقة بالألفةِ والأُنس، ويُدرِكُ أنّ الطّبيعَة بكلّ ما فِيها من آلاء مسخّرةٌ لخدمتِه، فيتخلّصُ من شعورِ الرّهبة والوِحشة والخوف تجاهَ الطّبيعة، ويحسّ أنّها كتابُ الله المفتوح ونِعمُه المُهداةُ المُمهّدةُ للإنسان، ذلِك أنّ:" نور الإيمان بالله سبحانه، والنّظرة إلى الكون لأجله، يجعل الأشجار بل حتى الأحجار كأنّها أصدقاء مؤنسون فضلا عن ذوي الشعور من عباده، حيث يمكن لتلك الموجودات أن تتكلم معنا – بلسان الحال- بما يسلّينا ويروّح عنّا .[٣٦]"إنّ هذا التّصوّر العميق لمعانِي الإيمان فِي فِكر النّورسي، يبتعِد عمّا سبقَ من مفاهيم محدودة، قصرت الإيمان على الاعتقاد القلبي والاقتِناع العقلي، دون أن تحوّلهُ إلى رؤيةٍ ثقافيّة وفلسفةٍ وجوديّة ونمطٍ سلوكيّ. من أجل ذلِك اجتهد النّورسي فِي توسِيع دائِرة فهم مسألة الإيمان بوصفه أساس التّصوّر الثّقافي الإسلامي، وأبرز قواعد التّوحيد ومرتكزاته. وبذلِك لا يكون الإيمان مجرّد موضُوع للدّرسِ وإنّما يصبح تجربةً حياتيّة تتجلّى فِيها قيمُ التّوحِيد بأبعادِه المختلفة، الفكريّة والشّعوريّة والفنّيّة والجماليّة، وتشعّ آثاره فِي الواقِع الحياتيّ المعيش. كما يصيرُ الفعلُ الإيمانِي مراقِي يتدرّجُ المؤمن في سُلّمِها بقدرِ صِدقِه وإخلاصِه فِي تلقّي لطائِفِه وإشاراتِه وأسرارِه، بكلّ ما لديه من مدارِك ومؤهّلات، فالإيمان كما يرى النّورسي:"أسمى العلوم وأدقّها، ومعرفة الله هي أوسع العلوم وأنورها، والأحكام الإسلامية هي أهمّ المعارف وأكثرها تنوّعاً، فمن الألزم إذاً أن يكون الدّرس الذي يتلقّاه النّاس درساً يوائم فهم كلٍّ منها، والحال أن الدّرس واحد، وليس مختلفاً، فلابدّ إذاً من وجود طبقات من الفهم في الدّرس نفسه، فكلّ طائفة

من النّاس تأخذ حظّها من الدّرس من مشهد من مشاهد القرآن[٣٧]."

الفرع الثاني: الإيمان التحقيقي:

إنّ انتقال حقيقة الإيمان من المعرِفة النّظريّة والتّصديق القلبي، إلى التّجربة الّتِي يحضُرُ فِيها الإنسان بكلّ مكوّناتِه المعنويّة والماديّة، روحًا ونفسا وعقلا وسُلوكًا، هو الّذِي جعل النّورِسي يُطلِقُ على أسمى درجاتِ التّرقّي الإيماني مصطلح (الإيمان التّحقيقي، يقول فِي الملاحق:""أمّا هذا النّوع من الإيمان التّحقيقيّ، فلا يتوقّف في حدود العقل فحسب، بل يسري إلى القلب وإلى الرّوح وإلى لطائف أخرى، فيترسّخ فيها رسوخًا قويّا، لا تصل إليه يد الشّيطان أبدا[٣٨] ".

وحين نتساءل عن معنى هذا الإيمان ومتطلّباتِه وطريق الوصول إليه يجيبُ النّورسِي:"إنّ إحدى طرق الوصول إلى هذا الإيمان التّحقيقي هو بلوغ الحقيقة بالولاية الكاملة بالكشف والشّهود، وهذا الطّريق إيمان شهوديّ يخصّ أخصّ الخواصّ، أمّا الطّريق الثّاني فهو تصديق الحقائق الإيمانيّة بعلم اليقين البالـغ درجة البداهة والضّرورة، وبقوّة تبلـغ درجة اليقين، وذلك بفيض سرّ من أسرار الوحي الإلهي من جهة الإيمان بالغيب، وبطراز برهانيّ وقرآنيّ يمتزج فيه العقل والقلب معا [٣٩]"

يبدو النّورسي من خلالِ هذا التّفصيل الواضِح لطريق الإيمان التّحقيقي ناطِقًا عن تجرِبةٍ ذاتيّة، ذلِك أنّه يتعمّقُ فِي بيانِ طرِيقين يؤدّيانِ معا إلى تلك الدّرجة الإيمانيّة، ولعلّ الطّريقين يشترِكان فِي استِدعاءِ ملكاتِ الإنسان مجتمِعةً كالقلب والعقل والشّعور سبِيلا لبلوغِ مرتبة اليقين.إنّ الهدف المركزيّ للنّورسي من خِلالِ الحِرص على إحياء الإيمان هو تحوِيلُه إلى طاقةٍ خلاّقةٍ وحرارةٍ وجدانيّة وإرادةٍ فاعلةٍ في الواقـع. فالغايةُ هي إصلاحُ الفردِ والمجتمـع من خلالِ تفعيلِ معانِي الإيمان وتحرِيرها من الفهم التّقليديّ البارد الّذِي عزلَ الشّعور الإيمانيّ عن التّأثِير فِي الحياة، وجعله مجرّد معرِفةٍ سطحيّة لا تُلامِسُ الفعل ولا تُخالِط الممارسةَ اليوميّة وكأنّها شأن أخرويّ بحت.

ثمّ يعودُ النّورسي إلى البدايات من نشأة الإسلام، مذكّرا بأفضال عقيدة التّوحيد في تأليف القبائل العربية المتقاتلة والمشتتة المتنافرة، والّتي أصبحت بفعل الدّعوة الإسلاميّة أمّة واحدة، ذات رسالة خالدة، ارتقت فيها من هامش التّاريخ والحضارات إلى ريادة العالَم وقيادة البشريّة نحو قيم جديدة للأخوّة الإنسانية والتعايش على أساس مبادئ الحرّيّة والمساواة والعدالة. إنّ ذلك الامتزاج بين عقيدة التوحيد، بمعانيها السّامية، بمشاعر النّاس، هو الّذي أعلى لواء الأخوّة الدّينيّة محتوية أخوّة الدّم والعشيرة، ومهيمنة عليها، على نحو سما بالشّعور الإنساني وارتقى به نحو معاني الكرامة البشريّة المجرّدة عن الانتماء الضّيق للعرق أو المذهب أو اللون أو الجنس. يؤكّد الإمام النّورسي ذلك

في روحانيّة عالية بقوله:" لقد تحدّيتم العالم أجمع منذ ستمائة سنة بل منذ ألف سنة من زمن العباسيين، وأنتم حاملو راية القرآن والناشرون له في العالم أجمع. وقد جعلتم قوميتكم حصناً للقرآن وقلعة للإسلام، وألزمتم العالم إزاءكم الصّمت والانقياد، ودفعتم المهالك العظيمة التي كادت تودي بحياة العالم الإسلامي، حتى أصبحتم مصداقاً حسناً للآية الكريمة: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم﴾ [٤٠]"

إنّ المخزون النفسيّ للشعوب الإسلاميّة وما ترسّخ في وجدانها عبر قرون من الزّمن مؤن روحانيّة الإيمان والاعتقاد، لا يمكن لدعوى القوميّة توظيفه واستثماره، ذلك أنّها منسلخةٌ من شموليّة الرّؤية الإسلاميّة واتّساع عقيدة التّوحيد لكافّة النّاس أعراقا وأجناسا. إنّ التّوحيد الإسلاميّ أوسع أفقا وأصدق تأثيرا في الوجدان والفكر والسّلوك من نزعات القوميّة العنصريّة التي تعتمد رؤية انعزاليّة عرقيّة مغلقة، بما يقوّي شعور الفرقة والتّباعد بين الشعوب، ويعلي كلمة الزّعيم والقائد مكان كلمة الله. يقول الإمام النّورسي في هذا السّياق:" إنّ الحميّة في السّياق القومي العنصري يمكن أن تغري عِرقا أو تنفع فئة لأنّها لا تعتمد قاعدةَ الأخوّة الإنسانيّة وإنّما الرّابطة الدّمويّة.[٤١]"

المبحث الثّاني: مساوئ التعادي بين أفراد الشّعوب

المطلب الأول: مرض الكراهيّة:

سبق أن تعرّضنا لحقيقة الوجود البشريّ القائم على التّعارف والتّآلف بناء على قاعدة الإيمان بالكرامة البشريّة وقيم التّعايش السّلمي تحت سقف الإيمان بعقيدة التّوحيد بما تعنيه من تآلف وتسامح يتجاوز منطق الانتماء العرقي أو الجنسي أو الدّيني، غير أنّ تلك الدّعوة الأزليّة الأبديّة للبشر جميعا إلى الكلمة السّواء، لم تسمعها آذانٌ بها وقرٌ ولم ترها أعين عليها غشاوة ولم تفقهها قلوبٌ في أكنّة، غمرتها الأهواء وتحكّمت فيها وملأت عليها أنانيّتها عالَم الإدراك. من هناك نشأت الأمراض في المجتمعات الإنسانيّة حين استسلمت لدواعي الغرائز والرّغبات والاكتفاء بإشباع مطالب الجسد. فهل تستطيع نفوسٌ مُكبّة على وجوهها اثّاقلَت إلى الأرض، أن ترتقي إلى ما يجمعُ النّاس ويؤلّف القلوب ويعمّق التّواصل الإنساني؟

لا يمكن لنفوس جفّ نبعُ الإيمان فيها وجعلت الاستهلاك والإشباع المادّيّ غايتها القصوى، أن ترتفعَ عن حميّة التّناحر من أجل تلك المكاسب، وهو ما يولّد الخلاف والنّزاع والتّعادِي بسبب الرّغبة الجامحة في تلبية المطالب المادّيّة الّتي تتحكّم في

المشاعر وتعمّي على البصائر والضّمائر، فيسود التّنافس المحموم بين النّاس وينظّم العلاقات على أساس المصالح المادّيّة وحكم الأقوى. ذلك ما أكّده الإمام في أكثر من موضع برسائل النور الّتي منها قوله:" إن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة .[٤٢] "وما ذلك إلاّ لأنّ العداء يصادم الطبيعة الإنسانيّة وحقيقة الاجتماع البشري وقاعدته القائمة على أساس التّعارف، ويجافي قيم الأخوّة الإنسانيّة الرّاسخة في وجدان الإنسان وطبيعته، ويؤدّي إلى التّنافر والتّنازع، ويورّث الأحقاد والضّغائن. إنّ العداء كما ترفضه الطبيعة البشريّة السّليمة ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى[٤٣]".

فكيف لمشاعِر العداوة والجفاء والضغينة أن تقيم مجتمعًا بشريّا سليما يسوده التّعارفُ واللّقاء واحترامُ التّنوّع والاختلاف ؟ فحين يخلو وجدان الإنسان من شعور الإيمان ويترك قيادة نفسه لنزعاته وغرائزه العدوانيّة ويطفئ نور البصيرة الإيمانيّة والعقل ويقطع حبل التّواصل، فإنّه يلقي بالمجتمع البشري بأكمله في حُمّى النّزاع ويودي به إلى التهلكة. يشبّه النّورسي المجتمع بالسّفينة قائلا:" العداء والحقد يؤدّي حتما إلى الرغبة في إغراق سفينة الوجود، أو حرق بناء كيانه، وما هذا إلا ظلم شنيع وغدر فاضح " .[٤٤]بهذا استطاع الإمام النّورسي باتّصاله الوثيق بمشكاة النّبوّة أن أن يستمدّ معاني الحديث النّبوي الشريف الّذي يشبّه المجتمع البشريّ بالسّفينة، إذ روى النّعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺقال:"مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ مَن فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا.[٤٥]"

إنّ الغَرق هو نتيجة التّهاون في مقاومة المفسدين والمخرّبين للاجتماع الإنساني، بأمراض النّفوس وإشعال الفِتن وزرع العداوات وتوريث الأحقاد. فالأسلمُ للجميع إذن أن يثوبوا إلى الرّشد، ويتعالوا على الأنانيّة والمصالح الفئويّة والرّغبات الشّخصيّة، ليفتح أبواب التّواصل على معاني اللّقاء والتّعاون والتّحابب، من أجل مصلحة المجموعة البشريّة، لأنّ العداء مرضٌ خبيث يدمّر العلاقات ويقطع التّواصل، وهل ينجحُ المجتمع البشريّ إذا ترسّخت فيه مشاعر التّنافر والجفاء وانتشرت روح العداوة والتّباغض؟ إنّ النتيجة تكون حتما صِراعًا مستمرّا وحروبا مدمّرة ونزاعاتٍ تأتي على كلّ شيء، ولعلّ

الحربين العالميتين دليل واضحٌ على أنّ طغيان العداوة والرّغبة في الهيمنة والاستبداد بالرّأي وقطع سبل الحوار، يؤدّي إلى الدّمار الجماعي.

المطلب الثّاني: وباء العداء:

لا ينفكّ الإمام النّورسي عن الإشارة والتنبيه إلى حاجة البشريّة قاطبة إلى الاستثمار في مشاعر الإيمان وكلمة التّوحيد الجامعة، بما يؤلّف ولا يفرّق من المبادئ الإنسانيّة والأخلاقيّة، ويذكّر دائما أن الإيمان يُثمرُ ثقافة المسالمة والحوار والتثاقف ويدعو لإثراء الاجتماع البشري بالأمان والأمن والثقة والسلام، بدلا ممّا يزرعه التّعادي والتّنافر والتّنافس المحموم، وأنّ الاحتكام إلى كونيّة عادلة قائمة على القبول بالتنوّع والاختلاف واحترام الخصوصيات الثقافية وإشاعة قيم الحوار بين الأديان والتّعايش السلمي، هو الطّريق الأسلم لضمان سلام دائم بين الدّول والشعوب، فلا هيمنة ولا عنصرية ولا اعتداء. يقول الإمام النّورسي:" فما أظلم من يُعرض عن تلك القيم النبيلة جميعاً ويفضّل عليها أسبابا واهية أوهن من بيت العنكبوت، تلك التي تولّد الشّقاق والنفاق والحقد والعداء، فيوغِر صدره عداءً وغِلاً حقيقياً، أليس هذا إهانة لتلك الروابط التي توحّد؟ واستخفافاً بتلك الأسباب التي توجب المحبّة؟ وتعسّفاً على تلك العلاقات التي تفرض الأخوة؟.[٤٦]"

دأب الإمام النّورسي في بناء آرائه ودعوته على الانطلاق من العامّ إلى الخاصّ، إذ ينطلق من تشريح الحالة العالَميّة وحاجة الشّعوب إلى الإيمان الدّيني الّذي يدعو للسّلام والتقارب على أساس قيم الاحترام والتّكافؤ، ثم يعودُ إلى تطبيق ذلك على الواقع الإسلامي الذي خفتَ فيه نور الإيمان ومزّقته الأهواء وأدماه التّخلّف والاستبداد. إنّ النّورسي يدرك جيّدا أنّ المجتمعات الإسلاميّة أقربَ من غيرها للتّآلف والوفاق والوحدة، لما تمتلكه من شعور إيمانيّ ومخزون نفسي وتراث أخلاقي جامع، يمكّنها من استعادة وعيها ورشدها واستئناف مسيرتها الثقافية والحضاريّة الرّساليّة، ويمنعها من الانسياق وراء نزعات التّفرقة والخلاف والفتنة، الرّاجعة إلى أسباب واهية، كالنّزعات الإيديولوجيّة الوافدة والنّعرات العنصرية المدمّرة لقيم الشراكة والتّعايش. إنّ الحلّ بالنّسبة إلى الإمام النّورسي قائم على التّنازل المتبادل والتّجاوز والتّغاضي والتّسامح والعفو والبحث عمّا يجمع، وهو كثير. هو يدعو إلى التّسلّح بالإيمان الّذي يورث خُلُقَ التّرفّع عن أمراض النّفوس من أنانية وتباغض وكراهيّة واستبدالها بالتّواضع لشركاء الدّين والوطن، والاجتهاد في التّقريب والتّأليف ورأب الصّدع، يقول:" إن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فَبِها تخمد نار الخصومة. أما إذا قابلت إساءته

بمثلها فالخصومة تزداد. حتى لو أصبح مغلوباً ـ ظاهراً ـ فقلبه يمتلئ غيظاً عليك، فالعداء يدوم والشحناء تستمر. بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم، وقد يكون صديقاً حميماً لك، إذ أن من شأن المؤمن أن يكون كريماً، فان أكرمته فقد ملكته وجعلته أخا لك، حتى لو كان لئيماً ـ ظاهراً ـ إلا أنه كريم من حيث الإيمان.[٤٧] "

المطلب الثالث: داء العنصريّة والتعصّب:

إنّ من أخطر الأدواء التي تصيب النفوس والمجتمعات هي الفراغ الرّوحي الّذي لا سبيل لدرئه إلاّ بالإيمان، فنزعة التّعصّب والعِناد والمكابرة، وتغييب منطق العقل السّليم، حيث يتعالى كلّ طرف على الآخر معتدّا برأيه وموقفه، منغلقا على مقدّماته واستنتاجاته، يؤدّي إلى انسداد الآفاق وتعميق الاحتقان. وكثيرا ما أدّت هذه الحالات إلى التّفكّك الاجتماعي والحروب الأهليّة والفِتن المدمّرة، خصوصا إذا وجدت لها سندًا وداعما خارجيّا متربّصا ماكرا، ينفخ في نار الخلافات ويوظّفها لمصلحة إقليميّة أو دوليّة. وإذا كان الاختلاف طبيعيّا بين النّاس، وهو إغناء وإثراء للتّنوّع وتوسيع لمعاني الحقيقة، فإنّ الاستناد إليه لتبرير الفُرقة والتّنازع والشّقاق، يُعَدّ مبالغة لا داعي لها، حيث يقع فُهِم أثر(اختلاف أمّتي رحمة)، فهما متعسّفا يبيح التنابذ والتجافي، والحال أنّ المقصود هو القبول بالتّنوّع واختلاف الآراء التي تحكمها الشّورى وأدب الاختلاف، وليست تلك التي يسعّرها العِناد والمكابرة والتّعصّب، يقول الإمام النّورسي مبرزا الأثر السّلبي لغيابِ الإيمان:" إن الاختلاف الوارد في الأثر هو الاختلاف الإيجابي البنّاء المثبّت. ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسالكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً. أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين، مبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا.[٤٨]"، بهذا المعنى تشتدّ الحاجةُ إلى تجديد الشّعور الإيمانيّ وإحيائه للتّوقّي من تلك الأمراض.

ولا يغفل الإمام النّورسي عن التّذكير الدّائم بحبل الإيمان بالله المُنقذ من الغفلة والسّهو والانحراف، وهو عقيدة التّوحيد. لذلك يرى أنّ المجتمع لا يسلم من آفة الخلاف المذموم إلاّ بالاحتكام إلى شعور الإيمان، لما يوفّره من سكينة وطمأنينة تطفئ نار الهوى وتحدّ من غلواء النّفس الأمّارة بالسّوء، فإذا المؤمنون إخوة حقّا وواقِعًا، مغمورين بمشاعر الإيمان الجامع، منصتين إلى نداء العقيدة التّوحيديّة، خاضعين لمنطق العقل وآلية الشّورى، ليتبيّنوا مكمن الصّواب، يقول النّورسي رحمه الله:" أيها المؤمنون

! إن كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إنما الْمُؤْمِنُونَ اِخْوَة﴾[49] .[٥٠] "يستنفر الإمام النّورسي شعوره الإيمانيّ الصّادق وعباراته الخصبة المعطّرة بوجدان الإيمان، في أسلوب أدبيّ عذب رفيع، ليخاطب المؤمنين مُحْيِيًا فيهم شعورهم الإيمانيّ، نافضا عن نفوسهم ماران عليها من غبار الأهواء، موقظًا بصائرهم وقلوبهم، محرّكا غيرتهم الدّينيّة، فإذا بالمعاني تنساب رقراقة سلسبيلا، صادرة من نبع إيمانيّ شفّاف، لا همّ له غير الإخلاص في خدمة دينه وأمّته وشعبه، لا يحرّكه طموح سياسيّ ولا طائفيّ ولا مذهبيّ، متعالٍ عن الأطماع والأغراض، فإذا القلوب مشدودة إليه بخيطها الإيمانيّ الرّفيع، ليقول:" يا معشر أهل الإيمان ! إن قوّتكم تذهب أدراج الرّياح من جرّاء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزّبكم، فقوّة قليلة جدّاً تتمكّن من أن تذيقكم الذّل والهلاك. فإن كنتم حقاً مرتبطين بملّة الإسلام فاستهدوا بالدستور النّبوي العظيم:(المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)، وعندها فقط تسلَمون من ذل الدّنيا وتنجون من شقاء الآخرة.[٥١]".

المبحث الثّالث:الإيمان نهجُ السّلام الاجتماعي عند النّورسي:

المطلب الأوّل:فعاليّة الإيمان:

يرى الإمام النورسي الإيمان روحَ الحياة وجوهر الوجود، وهو الهدفُ المركزيّ من الخلق بوصفِه تعبيرا عن النفخة الإلهية في الإنسان وعهدِهِ الائتمانيّ الأبديّ. فالإيمان ليس مجرّد معادلة رياضيّة لحلّ لغز الوجود وإجابة عن سرّ الخلق، ولكنّه أسمى معنى وأعمق دلالةً عن حقيقة الوجود البشريّ. والواقع أن افتقاد الإنسان للهدف والغاية التي تحكم مسيرته الوجودية، هو الذي يؤدّي إلى انحطاطه وتداعيه النفسي والأخلاقي، ليصبح مجرّد آلة وأداة في دورة الإنتاج والاستهلاك اليومي، محدود الآفاق، مسكونا بالرّتابة والقلق واللهفة، مغتربا وفاقدا للانتماء والسكينة والاطمئنان. في حين يفسر الإيمان العالَم ويعطيه معناه ويثمن دور الإنسان فيه، وعلى هذا النحو فقط، يصبح الإيمان فسحة نفسية وأملا في المستقبل وإرادة مبدعة باتجاه التغيير الحقيقي والمستمر، على اعتبار أن ما هو كائن ليس نهائيا وأنّ ما يمكن أن يكون، ليس مستحيلا. يقولُ النّورسي:"إن هذا الإنسان البائس الذي يتلوّى ألماً من فقده مولاه وحاميه، ويضطرب من تفاهة حياته وعدم جدواها، عاجز وضعيف بين جموع البشرية المنكودة.. لا يغنيه عما يعانيه سلطان الدنيا كلها، فما أشد بؤس هذا الإنسان المضطرب في دوامة حياة فانية زائلة وبين جموع سائبة من البشر إن لم يجد مولاه الحق، ولم يعرف مالكه وربه حق

المعرفة ! لو وجد ربه وعرف مولاه ومالكه لالتجأ إلى كنف رحمته الواسعة، واستند إلى جلال قدرته المطلقة.. ولتحولت له الدنيا الموحشة روضة مؤنسة، وسوق تجارة مربحة[٥٢] .

وعندما ينفتح في ذهن الإنسان ووجدانه هذا الأفق الفسيح، وتتسع دائرة التعقل والنّباهة والإدراك، وتتقد شعلة الشوق إلى الجواهر والمعاني، يصبح الإيمان تجربة عملية تقاوم الفراغ والجفاف والإحباط والسلبية، وتشرع بوابات الأمل ليتحول وجود الكائن البشري إلى حيوية غائية، ينتفي فيها حضوره المادّيّ الاستهلاكيّ، وتتقلّص دائرة المصادفة والاعتباط والفوضى، كما ينحسر فضاء الوهم وتمحي الرّهبة والإحساس بالقلق والعبثية. إنّ الإيمان باتّحاد الإنسان بالله واستناده إليه رفض للاتحاد بالهامشية والاغتراب، ذلك هو الشكل المرتضى والفهم المعقول الذي يعطي للسيرورة البشرية بعدها المعنوي العميق وقاعدتها العقلية الصلبة، وغايتها الائتمانيّة وأفقها المفتوح. ولكن كيف يتحقّق ذلك عمليّا وواقعيّا في رأي الإمام النّورسي؟

المطلب الثاني: الصّدق والإخلاص:

الصّدق اصطلاحا مطابقة الخبر للواقع والباطن للظّاهر والقول للفعل، كما أنّه أهمّ المبادئ الّتي تقوم عليها العلاقات البشريّة الّتي تروم النجاح والاستمرار، والصّدق أسّ القيم الأخلاقيّة في الإسلام وفي جوهر الإنسانيّة السّامية، فكيف لا تكون له الأهمّيّة اللازمة في دائرة القيم الإسلاميّة وخصوصا في عقيدة التّوحيد. يقول الإمام النّورسي:"الصّدق أساس الإسلام وواسطة العقد في سجاياه الرّفيعة، ومزاج مشاعره العلويّة[٥٣]"،وهل يطمئنّ قلبُ المؤمن بغير الصّدق، وهل تسكن النّفس بغير الثقة التّامّة والتّسليم الكامل للخالق.؟ هنا تتّضحُ قيمة الصّدق في شعور الإيمان فتجلوه من شوائب الشّك والوهم وتخلّصه من البرود المعرفي ليصبح حرارة تسري في دماء المؤمن تملؤه حيويّة واندفاعا إيجابيّا للفعل. ولا يكتمل الصّدق دون إيمان وإخلاص، بما هو صفاء الجوهر وخلوص النّيّة وسلامة القصد من أيّ تردّد، حيث لا يمكن لأيّ عملٍ أن ينجح أو يستقيم إذا خلا من الإخلاص بما هو قصدٌ جادّ لا يدّخر جهدًا في الإتقان والنّصح من أجل إخراج العمل على وجهه المطلوب. وقد عبر الإمام النورسي عن الحاجة الملحّة للنّاس جميعا إلى الإخلاص فقال: "فنحن مضطرّون إليه، بل مكلّفون به تكليفاً، وأحوج ما نكون إلى ترسيخ سرّ الإخلاص في ذواتنا، إذ لو لم نفُز به لضاع منّا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدسة، ولمَا دامت ولا استمرّت خدمتنا، ثم نحاسب عليها حساباً عسيراً، حيث نكون ممّن يشملهم النهي الإلهي وتهديده الشديد في قوله تعالى:

﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا﴾[54] ،بما أخللنا بالإخلاص فأفسدنا السّعادة الأبدية، لأجل مطامع دنيوية دنيئة، .. إرضاء لمنافع شخصية جزئية تافهة، أمثال الإعجاب بالنفس والرياء، ونكون أيضا من المتجاوزين حقوق إخواننا في هذه الخدمة ومن المتعدّين على نهج الخدمة القرآنية، ومن الذين أساءوا الأدب فلم يقدروا قدسية الحقائق الإيمانية وسموّها حق قدرها.[٥٥]"

يظهر جليّا أنّ قيمة الإخلاص مرجعها إلى صدق الإيمان ومدارُها تفعيلُه في الواقع، ولا يمكن للمجتمع أن يرتقي في سلّم الحضارة دون بناء وجداني قائم على إيمان حيّ وعزيمة صادقة مخلصة، إذ بالإخلاص ينتفي التّهاون والتّراخي والغشّ ويكون الحرصُ أشدّ على بذل الوسع والطّاقة في سبيل إنجاز العمل على شكل لا عيب فيه ولا نقص. ولا يخفى واقعُ الأمّة الإسلاميّة المتخلّف بسبب الكسل والتهاون وضعف الإرداة وفتور العزيمة، فإذا هي عالةٌ على المجتمعات المتقدّمة في أكثر من مجال، بسبب حالة الانهيار الاجتماعي الّتي من أسبابها التخاذل والتّراخي والغفلة.

المطلب الثالث: الأخوّة:

الأخوّة شعور بالانتماء إلى سند اجتماعيّ، يشدّ الأزر ويسند الظّهر ويشترك في تحمّل المسؤوليّة، ويبادر إلى مدّ يد العون دن تكلّف ولا مَنّ ولا أذى. ومن معاني الأخوّة الانسجام النفسي والتّكاتف والتّضامن الاجتماعي، حيثُ تكونُ الجماعةُ متلاحمة يشدّ بعضها بعضا كالبنيان المرصوص، فتذوبُ الأنانيّة وتضمحلّ الفوارق وتختفي الخلافات، ويتّحُ الجميع من أجل هدف واحد، وليس هناك رابطٌ يوثّق رابطة الأخوّة إلاّ الإيمان، يقول الإمام النّورسي:" إنّ أساس مسلكنا ومنهجنا هو "الأخوة" في الله، وإن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية، وليست علاقة الأب مع الإبن ولا علاقة الشيخ مع المريد، .. وما دام مسلكنا هو "الخليليّة" فمشربنا إذا "الخُلّة". والخُلّة تقتضي صديقاً صدوقاً، ورفيقاً مضحّياً، وأخاً شهماً غيوراً.. وأسّ الأساس لهذه الخُلّة هو "الإخلاص التام". فمن يقصّر منكم فيه فقد هوى من على برج الخُلة العالي، ولربّما يتردى في واد سحيق، إذ لا موضع في المنتصف .[٥٦]."فما أروع التّعبير عن الأخوّة بالخُلّة الّتي تعني امتزاج المشاعر حين تتخلّلُ العاطفةُ العاطفةَ وتأتلف القلوب بشعور الإيمان وتلتقي الطّبائع بالتقارب والتواجد والمشاركة. وهل تنجحُ المجتمعاتُ في بناء صروحها الحضاريّة من دون تلاحم وشعور إيمانيّ بين النّاس، وهو ما يتجاوزُ ما يُطلقُ عليه الشّعور الوطنيّ، ذلك أنّ الإيمان بالأخوّة أعمقُ ملامسَةً للمشاعر وأصدقُ انسجامًا واصطفافا من أجل البناء، وإذا كان الشعور الوطني يجمع الأفراد على أساس مشروع

وطني قد يقع الاختلاف في تقييمه سياسيّا، فإنّ شعورَ الأخوّة منبعُه الإيمان والشّعور بالأمانة الإلهية في قوله تعالى:" ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[57] ، فلا أخوّة دون إيمان ولا إيمان دون أخوّة. إنّ أبعاد معاني الأخوّة تتجاوز الحسابات السّياسيّة والمصالح العاجلة، وهو ما يجعلها وثيقة الصّلة بالإيمان الّذي لا ينفصلُ فيه الواقع عن الغيب، فإذا الأخوّة تعبّدٌ حينَ تكونُ حِرصًا على التحام الصّفوفِ كما الشّأن في الصّلاة، حيثُ لا مداخل للشّيطان، ولا رغبات شخصيّة أو مصالح فرديّة.

المطلب الرّابع: المحبّة:

الكراهيّة والعداوة شعور سلبيّ منقبض يتأسّس على العداوة وطمس معاني الخير في الآخرين ونفي إيجابياتهم، ويورّث الضّغينة والحقد ويزرع الفتن والحروب. أمّا عاطفة المحبّة فهي قيمة تمدّ القلب والشّرايين بدفق الحياة ومعاني البشر والأمل، فتملأ الوجود حركة منتجة وتغمر العلاقات الإنسانيّة ألفة وسلاما، ولذلك لا ينتعش ذلك الشّعور إلاّ في قلبٍ مؤمن، يقول النّورسي منوّها إلى تلك المعاني الشّريفة في قيمة المحبّة:"إنّ صفة المحبّة هي ضمان الحياة الاجتماعيّة البشريّة، وهي تدفع إلى تحقيق السّعادة، وصفة البغضاء والعداوة هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية، وهي أقبح صفة وأضرّها وأجدر أن تتجنّب وينفّر منها[٥٨]".

والمحبّة في فكر الإمام النورسي تنبعُ من وجدانِ الإيمانِ لأنّها طاعةٌ ومحبّة لله أوّلا، ولذلك تشعّ على جميع علاقات الإنسان الاجتماعية، بدءا بمحبة الإنسان للوالدين واحترامهما، طاعة لله سبحانه الذي زرع في قلبيهما الرحمة والشفقة حتى قاما برعايته وتربيته بكل رحمة وحكمة. وكذلك الشّأن بالنسبة إلى محبة الأولاد فهي كذلك محبةٌ لله تعالى وتعود إليه، وذلك بالقيام برعايتهم بكمال الشفقة والرحمة لكونهم هبة من الرحيم الكريم. وتأتي محبّة الزّوجة بوصفها رفيقة الحياة وسند المسؤوليّة الأسريّة، في تربية الأبناء والقيام بشؤون العائلة، إلى أن تتسع دائرة المحبّة لتشمل ذوي القربى والأجوار وأبناء الأمّة قاطبة والنّاس جميعًا، على أساس الإيمان بكونهم خلق الله وعليه التواصل معهم دون حسابات إلا مَن ظلمَ. يقولُ النّورسي في إخلاصِ معنى المحبّة: "إياك أن تترك ثغرة يدخل منها حبٌ لغير الله في باطن قلبك، وقل اللّهم ارزقنا حبّك وحبّ ما يقرّبنا إليك. وهكذا فإن جميع ما ذكرناه من أنواع المحبة، إن وجّهت الوجهة الصّائبة على الصّورة المذكورة آنفاً، أي عندما تكون لله وفي سبيله، فإنها تورث لذّة حقيقيّة بلا ألم. وتكون وصالاً حقاً بلا زوال، بل تزيد محبّة الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن أنها محبّة مشروعة وشكر لله في اللذة نفسها، وفكر في آلائه في المحبة

عينها.[٥٩]"هكذا يظهر الاختلاف بين حيويّة المشاعر الإنسانية وآثارها البنّاءة، وبين عدميّة شعور الكراهيّة وآثاره المدمّرة، وكيفَ لقلبٍ خالٍ من الإيمان أن تجدَ المحبّة إليه سبيلا؟ يثير النّورسي هذه المعاني ويقارن بينها، إدراكا منه لما تحتاجه الأمّة رأبا لصدع الفرقة والتّشتّت، وإصلاحا لذات البين، نتيجة ما فشا فيها من خصومات ونزاعات بسبب الخلافات المذهبيّة والمآرب السّياسيّة الّتي زرعت بذور الشّقاق بين مفاصل المجتمع وورّثت العداء الدّائم للأجيال. وبهذه المحبّة بين أفراد الأمّة يمكن سيادة المجتمعات الإنسانيّة ونشر قيمة المحبّة تأمينا للسّلام العالَمي.

المطلب الخامس: الأمل:

والأمل شعورٌ يملأ الوجدان ثِقةً فِي الممكِن، ويحصّنُ الإنسان ضدّ التّشاؤم، وهو طمأنِينةٌ وتطلّعٌ يستبشِرُ بالمستقبلِ ويثقُ فِي تغيّرِ الحالِ إلى الأفضل. فقد تعترِي الإنسان حالاتٌ من القلقِ ممّا يعيشه فِي ذاتِه أو ما يجرِي حوله، فيشعر بالإحباطِ واليأس، غير أنّ الموقِف السّلِيم يقتضِي ألاّ يستسلِم الإنسانُ إلى دواعِي القُنوط من تغيّر الحال إلى الأفضل. وذلِك لأنّ اليأس يزِيدُ فِي تعقيد الحالة النّفسيّة ويعمّقُ الانقباضَ والانطِواء، ممّا يؤثّر سلبًا فِي معنويّات الإنسان وجدانًا وفِكرًا، وفِي جسدِه من خلالِ ما يلجأ إليه من مظاهر الخمول والعجز. ولمعالجة هذا المرض النّفسي يفتح النّورسِي باب الأمل الّذِي يشرحه قائلا:"الأمل هو شدّة الاعتماد على الرّحمة الإلهيّة والثّقة بها .[٦٠]"يملك سُبحانَهُ مفاتِيح الغيب، ويصرّف الأقدار، ويدبّر الأمر باللّيل والنّهار، فإذا توكّل عليه المؤمِن حقّ توكّلِه وأخذ بالأسباب انفتحت أمام مغاليق الأبواب. إنّ الأملَ فِي تبدّل الأحوالِ فِي المُستقبلِ نتِيجةٌ طبيعيّة للإيمان الرّاسخ بالله، كما أنّه يدفعُ المؤمِن إلى الخروج من دائِرة الجمود والاستِسلامِ العاجز للواقع، ويحرّضُه على المبادرة والفعل، ومقارعة الصّعاب بقلبٍ جسورٍ وإرادة صلبة وعزم لا يلين، ثِقةً فِي رعايةِ الله ورحمتِه.

وإذا كان المسلِمون فِي عصرِ النّورسِي أو في غيرِه من العصورِ قد أحسّوا مِن أنفُسِهم عجزًا أو تَقصِيرا تجاه أنفسهم وأوطانِهم ودِينهم، فإنّ الواجِب عليهم ألاّ ينهاروا ويقعدوا عن المحاولة لاستِعادةِ المبادرة والتّخلّص من واقِع التّخلّف. ذلِك ما حرصَ النّورسي على تأكِيدِه فِي لحظةٍ تاريخيّة ركن فِيها المسلمون إلى القناعةِ السّلبيّة والرّضَى بما هم فِيه من أوضاعٍ لا ترتقِي إلى مقامِ الإسلام. إنّ دعوة الإمام النّورسي الإنسان إلى تغيير شعوره التّواصلي وأسلوب تعامله مع واقعه المعيش باستصحابِ وجدان الأمل والثقة في الله والنّفس، والنّظر إلى المستقبل بعين التّفاؤل والبِشر، هو قاعدة الحياة البشريّة الّتي

لا يمكنها أن تستقيم مع مشاعر اليأس والقنوط، فالتّفاؤل والأمل شحنة تملأ وجدان الإنسان حرارة وحيويّة واندفاعا، فيخرج من دائرة الضّيق النّفسي إلى فسحة الممكن.

الخاتمة:

حاولنا في هذا البحث استجلاء معاني الإيمان في علاقته بالسلام الاجتماعي، من خلال فكر الإمام سعيد النورسي في رسائل النور. وقد كانت مساحة النظر شاسعة لما تفيض به رسائل النور من معاني ودلالات وإشارات غزيرة وكثيفة ما يجعل الباحث في فضاء غير محدود لانبجاس المعاني وتوالد الأفكار التي فاضت بها رسائل النور، في شتى المحاور والأغراض الفكرية.

ولعلّ أبرز سمة لرؤية سعيد النورسي للسلام الاجتماعي اعتماده على شعور الإيمان التحقيقي الذي يتجاوز جدل المتكلمين إلى الفعل الاجتماعي. فلا قيمة للإيمان في رأيه إلا إذا تخلص من ربقة النظر المجرد وانتقل إلى واقع الناس تجربةً عمليّةً تصبح فيها العقيدة آداء اجتماعيّا مؤلّفاً للقلوب وموحّداً للسّلوك في إطار قيمة السّلام.

والسلام اسم من أسمائه الحسنى تعالى ولا يكتمل الإيمان إلا إذا جسّد المؤمن تلك الأسماء قدر جهده في واقعه المعيش.

وعلى ذلك فالإيمان في فكر النورسي مدار الوجود الإنساني فهو قاعدة الأمان النفسي والأمن المجتمعي وهو داعية التعايش السلمي والمناعة الكاملة ضد مشاعر الكراهية والتنازع والاحتراب، بما يحفظ السلم الأهلي ويثري العلاقات الإنسانية بمشاعر المحبة والمودة والصدق والتعاون. وكم تحتاج المجتمعات المسلمة اليوم إلى تفعيل هذه الرؤية في مجتمعات تفقد شيئاً فشيئاً روحها العقدية وحرارتها الإيمانية، وهو ما أورث في كثير من المجتمعات التفكك وانتشار مظاهر التعصب والتشدد والعنف والجريمة.

فهرس المصادر والمراجع

أبو داوود سليمان السّجستاني، سنن أبي داوود، دار الرّسالة العالميّة.
السخاوي محمد بن عبد الرّحمان، المقاصد الحسنة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٧٩
الألباني محمد ناصر الدّين، سلسلة الأحديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض
بن منظور جمال الدّين، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، د.ت.
الرّاغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ت
الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة، د ت
التّهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١ ١٩٩٦
الأثري عبد الله، الإيمان، حقيقته، خوارمه، نواقضه، عند أهل السّنّة والجماعة، مدار الوطن للنّشر، دار اليسر القاهرة ٢٠١١
ابن تيميّة تقيّ الدّين، الإيمان، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ط٥، ١٩٩٦،
ابن الأثير، غريب الحديث، تحقيق أحمد طاهر الزاوي، مؤسسة إسماعيليان، إيران، ط/٤،
أشرف عبد الوهاب، التّسامح الاجتماعي بين التراث والتّغيير،الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، ط ٢٠٠٦.
النيسابوري مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان
قطب سيّد، في ظلال القرآن، دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ط٧.
بدوي طه، السّلام الاجتماعي والتّعايش السّلمي، دار غريب للطباعة والنشر
الغروي محمد، السلم الاجتماعي في القرآن والحديث، دار الأضواء للطباعة والنّشر .
القيسي محمد وائل، السّلم المجتمعي، المقوّمات وآليات الحماية، نينوىأنموذجا، مركز نون، ١٢ أكتوبر٢٠١٧.
هاني المبارك وشوقي أبو خليل، الإسلام والتعايش والتفاهم بين الشعوب، دار الفكر المعاصر بيروت، ط٢، د.ت.
النّورسي المكتوبات، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١ .
النّورسي، السيرة الذاتية، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١.
النّورسي، الكلمات، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١.
النّورسي، الملاحق، ملحق قسطموني، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١.
البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار بن كثير بيروت لبنان.
النورسي، صيقل الإسلام، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١.
النورسي، اللمعات، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١.

الهوامش

١ أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

٢ أستاذ أول مميز درجة استثنائية بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية بالكاف، تونس

٣ آل عمران٦٤

٤ أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الملاحم ـ باب ما يذكر في قرن المائة ـ حديث رقم (٤٢٩١) ـ ص ٦٧٤. وأخرجه البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في "معرفة السنن والآثار" ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، د.ت، ١٣٧/١. وأخرجه البيهقي أيضاً في كتابه "مناقب الشافعي" ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ دار النصر للطباعة ـ القاهرة ـ ط/١ ـ ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٠م ـ ٥٣/١. وأخرجه الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) في المستدرك على الصحيحين ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ د. ت ـ كتاب الفتن والملاحم ـ ٥٢٢/٤.

٥ إبراهيم، ٢٤ ـ ٢٥

٦ سورة إبراهيم ٢٧

٧ الحجرات15

٨ ابن منظور جمال الدّين، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، مادة أمن 1/141

٩ الحديد١٩

١٠ الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، كتاب الألف ص ٣٣

١١ الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، دار الفضيلة، مادة الإيمان ص ٣٧

١٢ التّهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مادة إيمان، ٢٩٧/١

١٣ الأثري عبد الله، الإيمان، حقيقته، خوارمه، نواقضه، عند أهل السّنّة والجماعة، مدار الوطن للنّشر، دار اليسر القاهرة ٢٠١١، ص ١٣

١٤ ابن تيميّة تقيّ الدّين، الإيمان، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ط٥، ١٩٩٦، ص١٥٧

١٥ ابن الأثير، غريب الحديث، تح أحمد طاهر الزاوي، مؤسسة إسماعيليان، إيران، ط٤/، ٣٩٣/٢.

١٦ ابن منظور جمال الدّين، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، مادة سلم ص٢٠٧٨

١٧ ابن منظور جمال الدّين، لسان العرب،٢٩٧/١٢.

١٨ الشعراء ٨٩

١٩ الحشر23

٢٠ الفرقان ٦٣

٢١ الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، كتاب السّين، ص ٣١٧

٢٢ أشرف عبد الوهاب، التّسامح الاجتماعي بين التراث والتّغيير،الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، ٢٠٠٦، ص ٨٢

٢٣ البقرة208

٢٤ الأنفال61

٢٥ مسلم، الإيمان/ بين تفاضل الإسلام وأيّ أموره أفضل،1/5 ،رقم الحديث 41

٢٦ قطب سيّد، في ظلال القرآن، دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ط٧،١/٢٩٨.

٢٧ البدوي، الحوار وبناء السّلم الاجتماعي، ص12

٢٨ الغروي، السلم الاجتماعي في القرآن والحديث، ص ١٨.

٢٩ القيسي محمد وائل، السّلم المجتمعي، المقوّمات وآليات الحماية، نينوى أنموذجا، مركز نون، ١٢ أكتوبر ٢٠١٧.

٣٠ هاني المبارك وشوقي أبو خليل، الإسلام والتعايش والتفاهم بين الشعوب، دار الفكر المعاصر بيروت، ط/٢،ص12 .

٣١ المرجع نفسه، ص17 .

٣٢ الحجرات١٣

٣٣ النّورسي : المكتوبات، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١، ص ٤١٣ ـ 414 .

٣٤ النّورسي، المكتوبات، ص 415

٣٥ النّورسي، المكتوبات، ص 416

٣٦ النّورسي، السيرة الذاتية، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١، ص 263

٣٧ النّورسي، الكلمات، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١، ص 473
٣٨ النّورسي، الملاحق، ملحق قسطموني، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١، ص 104
٣٩ النّورسي، الملاحق، م، ن، ص ١٠٥
٤٠ النّورسي، المكتوبات، ص 416
٤١ النورسي، المكتوبات، ص 420
٤٢ النورسي، المكتوبات، ص 339
٤٣ النورسي المكتوبات، ص 339
٤٤ النورسي، المكتوبات، ص340
٤٥ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (٣/ ١٣٩)، رقم 2493
٤٦ النورسي، المكتوبات، ص 341
٤٧ النورسي، المكتوبات، ص 343
٤٨ النورسي، المكتوبات، ص 347
٤٩ الحجرات
٥٠ النورسي، المكتوبات 349
٥١ النورسي، المكتوبات 350
٥٢ النورسي، المكتوبات ص ٢٨٩
٥٣ النورسي، صيقل الإسلام، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١، ص 475
٥٤ البقرة41
٥٥ النورسي، اللمعات، دار سوزلر القاهرة ٢٠١١، ص 241
٥٦ النورسي، اللمعات، اللمعة الحادية والعشرون، ص245
٥٧ الحجرات١٠
٥٨ النّورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٧٨
٥٩ النورسي، الكلمات، ص ٧٦٦
٦٠ النورسي، صيقل الإسلام، ص462

سياقات التحميدات النورية بين الإيمان والقرآن والإسلام
- دراسة تحليلية-

الملخص

د. فرهاد إبراهيم أكبر الشواني [1]

الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن والإسلام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف البرية وخير الأنام، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والإكرام. أما بعد:

فإن الانتساب لله تعالى نابع من الإيمان القائم على الحجج والبراهين التي تجعل لطائف الإنسان راضخة للأوامر الصادرة عن المعبود الحق ومنقادة للتكاليف الشرعية على ضوء تبدلها من الإمكان العادي إلى الإمكان العقلي كما هو مبين عند المناطقة في مصنفاتهم، وبمعنى آخر إن امتزاج اللطائف الإنسانية من روح وقلب وعقل وشعور ووجدان وغيرها ودورانها حول مرتكز واحد وغاية واحدة تجعل الإنسان مسخراً لتحمل المسؤولية المناطة به في حدود المكان الذي يعيش فيه وهذا يعني التسليم المطلق لخالقه الكريم من حيث انصياعه للأوامر التكوينية والأوامر التشريعية، ويعبر عن هذا النوع بالإيمان التحقيقي الذي يفتح للإنسان أبواب العروج نحو الكمالات والمشاهد النورانية، وأن السبيل الموصل إلى هذا النوع من الإيمان وأساسه هو القرآن الكريم والإسلام، واستنادا على هذه الحقيقة فقد وردت في رسائل النور تحميدات مباركة وفي سياقات مختلفة تضمنت إقرارا بفضل الله تعالى، واعترافا بجوده وكرمه على ما أنعم على المؤمنين بنعمة الإيمان والقرآن والإسلام ليحضوا بالسعادة في الدارين.

يقول النورسي مؤكدا لتلك المعاني: ((فإيماني هذا لذةٌ ما بعدها لذة، لذة كافية وافية ودائمة، وسعادة خاصة نقية لا يعكرها ألمٌ، ففهمت من تلك الآية الكريم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) كم يكون إذن عبارة " الحمد لله على نعمة الإيمان" عبارة جديرة ولائقة)). (الشعاعات) ٧٩.

وبناء على ما سبق وإنعامنا النظر في رسائل النور وجدنا أن عبارة: (الحمد لله على نعمة الإيمان) وردت في رسائل النور في سياقات متعددة ومناسبات مختلفة، فقد وردت منفردة في أماكن، وأحيانا اقترن بها لفظ (القرآن) تارة، ولفظ (الإسلام) تارة أخرى، ولكل سياق موضوع يناسبه وله ارتباط محدد بتلك العبارة، وبيان ذلك كالآتي:

١- الحمد لله على نعمة الإيمان.

٢- الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن.

٣- الحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام.

فالبحث يروم بيان أهمية هذه التحميدات النورية ومنزلتها العظيمة في الأوراد والأذكار، كما يهدف إلى إبراز الداعي من تلك التحميدات من حيث كونها جاءت في سياقات مختلفة تناسب الموضوع الذي وردت فيه.

ولقد اقتضت طبيعة البحث والمادة العلمية تقسيمها على مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، فخصصت المبحث الأول للتعريف بالحمد ودلالتها في رسائل النور، وأما المبحث الثاني فقد ارتأيت الحديث فيه عن سياقات التحميدات النورية، وختمت بحثي بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أردفته بقائمة للمصادر والمراجع. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: (التحميدات، النور، الإيمان، القرآن، الإسلام)

"The Contexts of Divine Praises among the Faith, the Holy Qur'an and the Islam: An Alaytical Study"

ABSTRACT

Dr. Farhad İbrahim Akbar Shuwani

The affiliation to Allah, the Almighty springs from the faith that is based on arguments and proofs which render human's blessings submissive to the orders issued by the righteous worshipped and lead to the legislative mandate in accordance with its changeability from the normal possibility to the rational possibility as clarified through the utterance of their classifiers .In other words, the blending of humanitarian blessings from soul, heart, reason, feeling ,conscious and others and their circulating round one anchor and one aim make human beings to be subjugated to hold the entrusted responsibility in the limitation of the area they live in .This means the absolute submissiveness to the generous Creator concerning their obedience to the creation and legislative orders. This kind of faith is expressed as the investigative faith that opens to human beings the gates of descending towards perfectness and the divine sceneries. The path that leads to such kind of faith and its real basis is the Holy Qur'an and the Islam. Based on these facts, many blessed praises are mentioned in the divine messages and in different contexts including an acknowledgement of the virtue of Allah, the Almighty and a confession of His virtuosity and generosity and His Blessings of the Faith, the Holy Qur'an and the Islam that are granted to the believers to be endowed with happiness in both worlds.

Al-Nawrasy, a Kurdish religious scholar, confirming all the mentioned meanings, says that ''My faith,this, is a unique pleasure, a full, sufficient and sustaining pleasure, a special pure happiness that no pain can spoil it, so, I understood from that Holy verse: '' Allah is sufficient for us, He is the best Disposer'' .Thus, how much the phrase 'Praise be to Allah for His Blessing of Faith' is a worthy of and decent phrase'(Ashu,aat,.....,p.79).

Depending on what is mentioned previously ,with a close look at the divine messages ,it is found that the phrase ''Praise be to Allah for Hiss Blessing of Faith'' is mentioned in the divine messages in a variety of contexts and different occasions; it is mentioned alone in some places, and it is paired with the word 'the Holy Qur'an' once, and the word 'the Islam' other times, and for each context, there exists a subject suits it with a certain connection to that phrase as indicated.

١.Praise be to Allah for His Blessing of Faith.

٢.Praise be to Allah for His Blessings of Faith and the Holy Qur'an.

٣.Praise be to Allah for His Blessings of Faith and the Islam.

This paper attempts to demonstrate the significance of the divine praises and their great status in the mentioning and remembrances and aims at highlighting the objectives of these praising being existing in many contexts to suit the subjects in which they are mentioned.

The nature and the scientific data of the research require dividing it into an introduction and two chapters; the first chapter deals with defining the praising with its reference in the divine letters while the second chapter is concerned with the contexts of the divine letters. The paper ends with a conclusion including the results of the work and finally the list of references is provided.

المبحث الأول التعريف بالحمد ودلالته في رسائل النور

أولاً: التعريف بالحمد

الحمد مصدر مشتق من حَمَدَ، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم إحدى وستون مرة، ضمن اشتقاقات مختلفة، فقد جاء بلفظ: الحمد، وبحمد، وبحمدك، وبحمده، وحميد، ويحمدوا، والحامدون.

وقد استعمل لفظ الحمد في كلام العرب بمعنيين:

أولهما: بمعنى المدح والثناء وهو نقيض الذم، يقال حَمِدْتُ فلاناً على فعله. ورجل محمود ومحمّد، إذا كثُرت خصاله المحمودة غيرُ المذمومة[٢].

وقد جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يحْمَدُوا بِمَا لم يَفْعَلُوا﴾[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[٤] أي نخلط التسبيح بالحمد ونصله به، والحمد: الثناء[٥].

يقول الأستاذ النورسي- رحمه الله-: "أما {نسبح بحمدك} فكلمة جامعة، أي نعلنك في الكائنات بأنواع العبادات، ونعتقد تنزهك عما لا يليق بجنابك بتوصيفك بأوصاف الجلال، وما هو إلاّ من نعمك المحمود عليها، ونقول: سبحان الله وبحمد"، ونحمدك ونصفك بأوصاف الجلال والجمال"[٦].

وقد ذكر ابن كثير أنه: " لما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص -قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن؛

ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧) (٨).

ووضح العلماء فروقاً بين الحمد والمدح من جوانب كثيرة منها (٩):

الحمد الثناءُ على الجميل من نعمةٍ أو غيرها مع المحبة والإجلال. فالحمد: أنْ تذكر محاسنَ الغير، سواء كان ذلك الثناءُ على صفةٍ من صفاتهِ الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة، أم على عطائه وتَفضُّلهِ على الآخرين. ولا يكون ﴿الحمد﴾ إلا للحَيِّ العاقل. وهذا من أشهر ما فُرِّقَ بينه وبين المدح. فإنك قد تمدح جماداً، وقد تمدح حيواناً ولكن لا تحمده، فقد تقولُ كلاماً في مدح الديك، وفي مدح البقر، وفي مدح الكلب، وفي مدح الذهب، وفي مدح اللؤلؤ وغير ذلك، ولكن لا تحمده.

إن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي، ألا ترى أن من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن فإنه قد يمدحها، ويستحيل أن يحمدها، فثبت أن المدح أعم من الحمد.

إن المدح قد يكون قبل الإحسان، وقد يكون بعده، أما الحمد فإنه لا يكون إلا بعد الإحسان". فإن الحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات، أو الفعل، فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد، ولا يحمد من لم يفعل جميلا. أما المدح، فقد يكون قبل ذلك، فقد تمدح إنسانا ولم يفعل شيئا من المحاسن والجميل، ولذا كان المدح منهيا عنه، بخلاف الحمد، فإنه مأمور به، فقد قال صلى الله عليه وسلم: " إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ"[١٠]. في حين قال: "من لم يحمد الناس لم يحمد الله"(١١).

وهناك فرقٌ آخر بين الحمد والمدح، وهو أنَّ في الحمد تعظيماً وإجلالاً ومحبة، ما ليس في المدح، فكان اختيار (الحمد) أولى من اختيار (المدح).

ثانيهما: الحمد بمعنى الشكر، فكما تقول: الحمد لله، تقول أيضاً: الشكر لله[١٢] ولا فرق بينهما واختاره الطبري قائلا:" ولا تَمانُع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحُكْم، لقول القائل: "الحمد لله شكرًا" – بالصحة. فقد تبيّن – إذْ كان ذلك عند جميعهم صحيحًا – أنّ الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضعَ الحمد. لأن ذلك لو لم يكن كذلك، لما جاز أن يُقال: "الحمد لله شكرًا"، فيُخْرِج من قول القائل "الحمد لله" مُصَدَّرَ: أشكُرُ، لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد، كان خطأ أن يُصَدَّرَ من الحمد غيرُ معناه وغير لفظه"(١٣).

وقد ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: " الحمد لله كلمة كل شاكر"[١٤].
إذ جاء بهذا المعنى في القرآن الكريم كثيراً، منه قوله تعالى وصية لنوح عليه السلام: ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١٥]، وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ ﴾ [١٦]، وقال في قصة داود وسليمان: ﴿وَقالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٧]، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾ [١٨]، وقال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [١٩]وقولهم: ﴿وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ [٢٠].

وذكر الجرجاني أن لا فرق بين الشكر اللغوي [٢١] والحمد العرفي [٢٢] لأن كلاهما يفيدان تعظيم المنعم والثناء عليه لكونه منعما.

وقال ابن منظور: " والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته"[٢٣].

وقال القرطبي: "قال علماؤنا: الحمد أعم من الشكر، لأن الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر، والجزاء مخصوص إنما يكون مكافأة لمن أولاك معروفا، فصار الحمد أعم في الآية لأنه يزيد على الشكر" [٢٤] .

وقال ابن الجوزي:" الْحَمد: ثَنَاء على الْمَحْمُود، ويشاركه الشُّكْر. إِلَّا أَن بَينهمَا فرقا وَهُوَ أَن الْحَمد قد يَقع على سَبِيل الِابْتِدَاء، وعَلى سَبِيل الْجَزَاء. وَالشُّكْر: لَا يكون إِلَّا فِي مُقَابلَة النِّعْمَة، فَكل شكر: حمد، وَلَيْسَ كل حمد شكرا"[٢٥].

ويبدو من خلال ما تقدم أن الحمد معنى هو نظير الشكر في عرف الناس واستعمالاتهم وهذا ما ذكره النورسي في رسائل النور [٢٦]، إلاّ أنه في القرآن الكريم قد استعمل للثناء والتعظيم والشكر المخصوص بالله تعالى لكونه إلهاً وخالقاً ومنعماً، فالحمد يليق بمقام الله تعالى وحده، فهو يفيد التعظيم والتقديس والتنزيه بسبب نعمة واصلة إليك أو إلى غيرك، بينما الشكر مشترك يليق بمقام الخالق والمخلوق إزاء النعم المقدمة منهما، فمن أسدى إليك بالتحديد معروفاً فأنت تبدي له الشكر بالقول أو القلب أو الجوارح من دون تعظيم ولا تقديس.

وإلى هذا المعنى يشير الفخر الرازي بقوله:" وأما الفرق بين الحمد وبين الشكر فهو أن الحمد يعم ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك...، فقوله الحمد لله أولى من قوله الشكر لله لأن قوله الحمد لله

ثناء على الله بسبب كل إنعام صدر منه ووصل إلى غيره وأما الشكر لله فهو ثناء بسبب إنعام وصل إلى ذلك القائل، ولا شك أن الأول أفضل لأن التقدير كأن العبد يقول: سواء أعطيتني أو لم تعطني فإنعامك واصل إلى كل العالمين، وأنت مستحق للحمد العظيم"[٢٧].

ثانياً: دلالة الحمد في رسائل النور

إن رسائل النور لم تحصر نظرها في ألفاظ القرآن الكريم لفظة لفظة، بل حاولت توسيع معانيها لتشمل جميع المقاصد والحكم التي يحتاجها الإنسان في حياته لتستقر لطائفه فينعم بالسعادة الروحية والقلبية والجسدية في ظل الإيمان النابع من الكتاب المقروء والمنظور- القرآن الكريم والكون-.

وعلى هذا الإساس تلهمنا رسائل النور إلى الإفادة من المعطيات التي نشاهدها في الكون آفاقا وأنفسا؛ لنستدرك حقيقة ما يريده منا خالقنا الكريم، ونكون على إحاطة تامة بالعلة الغائية [٢٨] التي خلقنا من أجلها وهي: الحمد والإقرار بالجميل حقيقة ويقيناً، وهذا هو أساس وجود الوجود؛ فبه يستشعر الحامد بعد الإقرار بالعجزِ والضعفِ والفقرِ جميلَ فضل الله تعالى عليه، وسعة كرمه؛ ليظفر بالانتساب إلى قوة عظيمة تملك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات، فيقول الأستاذ النورسي ما نصه:" إن ذلك المنعم الحقيقي يطلب منا ثلاثة أمور لتلك النعم الغالية: الأول: الذكر.. الثاني: الشكر.. الثالث الفكر، فـ"بسم الله" بدءا هي ذكر، و"الحمد لله" ختاماً هي شكر، وما يتوسطهما هو الفكر"[٢٩].

ولقد أولت رسائل النور اهتماما كبيراً بترسيخ المفاهيم الإيمانية التي يحتاجها الإنسان في حياته، ووضحت له المصطلحات البارزة في القرآن الكريم كمصطلح (الحمد) المتضمن لجميع معاني الثناء والشكر، ووصفته بالعلة الغائية كما أشرنا إلى ذلك مسبقاً، فقد جاء فيها وبالتحديد في قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾، أن وجه النظم في ﴿الحمد﴾ يكون مع ما قبله في البسملة التي أثبت لله صفتي ﴿الرحمن﴾ و ﴿الرحيم﴾ باعتبارهما نعمتين عظيمتين ودقيقتين شملتا الكون كله مما يستوجبان تعقيب الحمد، فالابتداء بـ﴿الحمد لله﴾ وجعله فاتحة القرآن هو الحمد صورة إجمالية للعبادة التي هي نتيجة الخلقة، والمعرفة التي هي حكمة وغايةٌ للكائنات، فكأن ذكرَه تصور للعلة الغائية وهو قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجنَّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [٣٠] [٣١].

وعلى هذا الإساس فإن النورسي يرى أن كلمة ﴿الحمد﴾ المستهل بها في سورة الفاتحة متضمنة معنى (الشكر العرفي) الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله وهو العبادة [٣٢].

فدلالة ﴿الحمد﴾ عرفاً عند النورسي أعمق من أن تكون باللسان فقط، إذ يراد بها تعظيم المنعم على النعمة باللسان أو الجنان أو الأركان، وعلى هذا الإساس يكون بين (الحمد العرفي) و (الشكر العرفي) عموم وخصوص مطلق [٣٣].

فيقول -رحمه الله- مشيراً إلى ذلك المعنى:" فإذا صرف الإنسان كل ما أنعم عليه إلى ما خلق لأجله أيفاءً للشكر العرفي- الداخل تحت(الحمد) - وامتثالاً للشريعة التي هي جلاء لصدأ الطبيعة، يصير كلُ أنموذج مشكاةً لعالمه ومرآة له وللصفة المتجلية فيه والاسم المتظاهر منه، فيكون الإنسان بروحه وجسمه خلاصة عالمي الغيب والشهادة، ويتجلى فيه ما تجلى فيهما. فبالحمد يصير الإنسان مظهراً للصفات الكمالية الإلهية [٣٤]".

ومن جانب آخر أشار النورسي إلى أن عبارة ﴿الحمد لله﴾ الواردة في سورة الفاتحة قد تكررت أيضاً في أربع سور من القرآن، وهي: (الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر)، وكل واحدة منها ناظرةٌ إلى نعمة من النعم الأساسية التي هي: النشأة الأولى، والبقاء فيها، والنشأة الأخرى والبقاء بعدها، ففي سورة الأنعام إشارة إلى الإيجاد الأول، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [٣٥]، وفي سورة الكهف إشارة إلى الإبقاء الأول: قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [٣٦]، وفي سورة سبأ إشارة إلى الإيجاد الثاني، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [٣٧]، وفي سورة فاطر إشارة إلى الإبقاء الثاني، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٨]، فنعم الله تعالى لا تعد ولا تحصر وجميعها ترجع إجمالاً إلى إيجاد وإبقاء في النشأة الأولى، وإيجاد وإبقاء في النشأة الآخرة، وقد أشير في سورة الفاتحة إلى جميع تلك النعم وابتدأت بالتحميد؛ لأنها ديباجة نعمه المذكورة في كتابه العزيز بقوله جل وعلا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [٣٩].

مما تجدر الإشارة إليه أن رسائل النور قد استعرضت دلالة الحمد وبيّنت مفاهيمها بالاستناد على فيض القرآن الكريم شاملة جميع الآيات التي ورد فيها كلمة الحمد ومشتقاتها، فهي برمتها تدور حول مصطلحات خمسة تفهم من خلال إنعام النظر في سطور رسائل النور وهي: (المحمود، والمحمود عليه، والحامد، والمحمود الحامد، والحامد المحمود) وكل منها تشير إلى أمر معين، وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: المحمود، وهذه صفة اختُصَّ بها الله تعالى كما أشار النورسي بعبارة (المحمود المطلق سبحانه) (٤٠)، وقد أثبتها القرآن الكريم بقول تعالى: {الحمد لله}، ففي اللام في كلمة {لله} إشارة إلى اختصاص الحمد بالذات المقدسة -الواجب الوجود- وهي تنبئ أيضاً إلى الإخلاص والتوحيد (٤١).

يقول النورسي بهذا الصدد:" نعم، كما أن ذلك القادر الجليل هو المعبود الحق، فالمحمود بالحق أيضاً إنما هو وحده. وكما أن العبادة خاصة به وحده، فالحمد والثناء أيضاً يخصانه سبحانه" (٤٢).

وأوضح من ذلك فإن رسائل النور قد أثبتت أن اختصاص الله تعالى بالحمد فيما جاء في (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد .....)، أي أن الكمالات التي هي سبب المدح والثناء في الموجودات كافة، تخصه وحده سبحانه. ولهذا فالحمد أيضا له وحده، فكل ما صدر وما يصدر من مدح وثناء من الإزل إلى الإبد، وممن صدر وعلى من وقع، يخصه وحده؛ لأن كل ما هو سبب المدح والثناء من كمال وجمال ومن نعم وآلاء وكل ما هو مدار الحمد، هو لله تعالى، ويخصه وحده (٤٣).

ومن جانب آخر تثبت رسائل النور صفة المحمودية لله تعالى من حيث كونها مختصة به على لسان جميع الحامدين والشاكرين، وفيها: "لا إله إلا الله هو المحمود لكل الحامدين" (٤٤)، حتى نقل عن أهل التأويل أن: الحميد اسم الفردانية، لا يحمد ولا يشكر غيره (٤٥).

ثانياً: المحمود عليه، وهي جميع النعم الظاهرة والباطنة التي أسبغها المحمود على مخلوقاته فجميعها موجبة للحمد والشكر كما أمر الله تعالى في آيات كثيرة: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٤٦)، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (٤٧)، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٤٨)، ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾(٤٩)، فأجل عمل يطلبه الخالق الرحيم من عباده هو الشكر ويوليه أهمية خاصة بإظهاره أن الاستغناء عنه تكذيب للنعم الإلهية وكفران بها، ويهدد بها في سورة الرحمن مرارا وتكرارا بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٥٠)، تهديدا مرعباً،

وينذر الجن والإنس إنذاراً مهولاً. فالشكر نتيجة الخلق والغاية منه، ذلك لأنه إذا ما أنعم النظر في الكائنات لتبيّن: أن هيأة الكون ومحتوياته قد صممت بشكل ووضعت على نمط بحيث تنتج الشكر وتفضي إليه، لأننا نرى أن موجودات العالم قد صممت بطراز يشبه دائرة عظيمة، وخلقت الحياة لتمثل نقطة المركز فيها، فنرى: أن جميع الموجودات تخدم الحياة وترعاها وتتوجه إليها، وتتكفل بتوفير لوازمها ومؤنها، ونتيجة تلك الخدمة تؤول إلى الإنسان بالنفع لتكون مسخرة له وفي خدمته فيكون سيدا عليها وحاكما لها، وكذا نعمة التذوق والالتذاذ، والصور الجميلة الزاهية، والروائح الزكية الطيبة، والطعوم اللذيذة والمذاقات الطيبة، جميعها مدعاة إلى الحمد والشكر، فالوسيلة التي تمكن الإنسان من العروج إلى مقام (أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) هي الشكر(٥١).

وقد ذكر النورسي كلاما دقيقا يظهر فيها أهمية النعمة لسوق الإنسان إلى الحمد والشكر، فيقول:" لابد للحامد أن ينظر من النعمة إلى الإنعام، ليرى أن المُنعم أبصرُ به وأقربُ منه إليه؛ يتعرف بالإنعام، ويتودد بالإحسان، ويتحبب بالإكرام إلى الإنسان، فالإنسان إنما يكون شاكراً إذا استشعر ذلك التعرف والتودد "(٥٢).

ثالثاً: الحامد، وهي صفة أثبتها الله تعالى للخواص من عباده المؤمنين الشاكرين، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (٥٣). فاختص بها الأنبياء من قبل، كما قال الله تعالى في حق سيدنا نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٥٤)، وقال في حق سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ (٥٥)، وقال لآل داود: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (٥٦).

والشكر وصية الله تعالى لحبيبه محمد-صلى الله عليه وسلم-: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٥٧)، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم -:كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا"(٥٨).

وقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بكونهم حامدين بقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٩).

ويذهب بنا النورسي إلى عوالم أخرى غير الإنسان وهي حامدة شاكرة بلسان الحال والمقال، فيقول ما نصه: "فكل حيوان يؤدي عبادته الخاصة به، بلسان الحال والمقال

مسبحاً خالقه وبارئه ومعبوده مقدساً إياه من القصور والشرك، حامداً شاكراً لأنعمه وآلائه"[٦٠].

ويقول في موضع آخر: ‘‘فالنباتات المتزينات المتزهرات المثمرات المسبحات بأوراقها، والحامدات بأزهارها، والمكبرات بأثمارها، على الله دليل"[٦١].

فما يجري في الكون الذي هو قرآن منظور من صور الحمد والشكر من قبل المخلوقات تطابق ما جاء في القرآن المنطوق بقول الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [٦٢]، فسبحان من تحمده السماء بالبروج والأنوار، والأفلاك بالشموس والنجوم والأقمار، والجو بالرعود والبروق والأمطار [٦٣].

وأعمق من ذلك استوقفنا النورسي على نوع آخر من الشكر والحمد، إذ لم يسبقه أحد من العلماء إلى بيانه، ألا وهو (الشكر الفطري) فيقول مانصه:" إنه مثلما يحيط كل شيء بالرزق ويستشرفه ويتطلع إليه، فالرزق نفسه أيضاً- بأنواعه جميعاً- قائمٌ بالشكر معنىً ومادةً وحالاً ومقالاً، ويحصل بالشكر، ويُنتج الشكرَ، ويبيّن الشكرَ ويُريه؛ لأن اشتهاء الرزق والاشتياق إليه نوع من الشكر الفطري"[٦٤].

رابعاً: المحمود الحامد، ويراد به الله تعالى وهو المتفضل بالإنعام على عباده بأن جعل الوجود كله مسخراً لهم يتنعمون بنعمه، ويتلذذون بطيباته، وهم في الوقت نفسه مدركون قيمة تلك النعم الجليلة؛ فيبدون استعدادهم شاكرين حامدين بألسنتهم وقلوبهم وجوارحهم، فيقابلهم المحمود المنعم بالشكر، حامداً لهم صنيعهم بالثناء والثواب.

إن الله تعالى قد اتصف بصفة (الشكور [٦٥]، والشاكر) الواردتين في القرآن الكريم، فمن الأولى قوله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٦٦]، وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٦٧]، وفي قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٦٨]، وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [٦٩].

وأما صفة الشاكر فقد وردت في آيتين، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [٧٠]، وقوله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [٧١].

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "لأنه تعالى لما أمرهم بالشكر سمى جزاء الشكر شكرا على سبيل الاستعارة، فالمراد من الشاكر في حقه تعالى كونه مثيباً

على الشكر، والمراد من كونه عليما أنه عالم بجميع الجزئيات، فلا يقع الغلط له ألبتة، فلا جرم يوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض"(٧٢).

فقد روى البخاري في صحيحه عن أَبِى هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- "أَنَّ رَجُلاً رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ"(٧٣).

خامساً: الحامد المحمود، وهي صفة تعود للشخص الكامل الذي تصدَّر مرتبة الحمد والشكر، وهو سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فتحميداته السنية وتمجيداته العلوية وتقديساته البليغة للذات إلهية جعلته يرتقي مرتبة العبودية الحقة، ليحظى بصفة المحمودية وشرف الحامد الأتم، ويكون حاملا لقب سيد الشاكرين (٧٤)، ويتضح ذلك من خلال الصلوات والتحيات التي صدرت منه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بقوله: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله} والتي قالها باسم البشرية جمعاء، بل باسم جميع ذوي الحياة، بل باسم وأنواع المخلوقات، أي أن جميع الأدعية والتضرعات التي يتضرع بها المضطرون والشكر والحمد على النعم، والعبادات والصلوات كلها خاصة لخالق كل شيء، لله وحده (٧٥).

وفي مكان آخر يشير النورسي إلى مكانة النبي الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- وتصدّره مراتب الحمد والشكر، حينما تقر تلك الذات الكريمة بأفضال المولى الكريم جل جلاله، فيقول ما نصه:" أنصت لما يقول حبيب الملك العظيم، انه يدعو بأدبٍ جم وتضرّع ويقول: يا من أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، يا سلطاننا، أرنا منابع واصولَ ما أريتَه لنا من نماذج وظلال.. خذ بنا الى مقر سلطنتك ولا تهلكنا بالضياع في هذه الفلاة.. أقبلنا وارفعنا الى ديوان حضورك.. ارحمنا... اطعمنا هناك لذائذ ما أذقتنا اياه هنا، ولا تعذبنا بألم التنائي والطرد عنك.. فهاهم أولاء رعيتك المشتاقون الشاكرون المطيعون لك، لا تتركهم تائهين ضائعين، ولا تفنِهم بموت لا رجعة بعده"(٧٦).

وفي ختام هذا المبحث ومن خلال إنعام النظر في رسائل النور يتبين لنا أن الشكر هو أعظم أساس من الأسس الأربعة التي يستند إليها سالك أسمى طريق وأعلاه ألا وهو العبودية والحب لله تعالى والمحبوبية، فمشرب رسائل النور تستند على أربعة أسس وهي: العجز المطلق، والفقر المطلق، والشوق المطلق، والشكر المطلق (٧٧).

المبحث الثاني

سياقات التحميدات النورية

إن رسائل النور ترشدنا إلى مجموعة من المفاهيم التي لا بد أن تحظى بالاهتمام من قبل الباحثين والدارسين، فطبيعة رسائل النور أنها تخاطب العقل والقلب والوجدان، ليحصل التلاقح والتلاحم فيما بينها لتخرج بمعطيات واقعية وفطرية تكون مرتكزاً لبناء منظومة القيم السامية التي تسموا بالإنسان نحو أعلى عليين.

وللسمو إلى هذه المرتبة إنما يكون عن طريق توظيف النعم الجليلة الوفيرة التي تفضل بها الفاطر الحكيم على الإنسان الذي هو ثمرة الكون وخلاصتها [٧٨]، وصرفها في خدمة الغاية التي من أجلها خلق ألا وهي العبودية.

إن رسائل النور تحاول توضيح المعاني التي تقوم عليها العبودية، كالإيمان التحقيقي وما يتصل به من الإقرار باللسان أو الجنان أو الأركان، فيكون الصادر من هذه الثلاثة حاصلاً بالإمكان العقلي لا العادي، أي أن الصادر ينبغي أن يكون بغض النظر عن كونه مأموراً به أو لا، فهو من الضروريات ومن اللوازم الحتمية سواء عُرفت الغاية والحكمة منه أو لم يعرف، فالحمد والشكر مثلاً قد جاء الأمر بهما في القرآن الكريم، إلا أن الامتثال لذلك الأمر بأدائه يكون ضرورة لا لأجل كونه مأموراً به، بل لكون أن المتفضل الكريم هو أهل بذلك الحمد والشكر. فبالإمكان العادي يستوي ألا يحمد المنعم عند عدم الأمر بالحمد، مع أن يحمد عند الأمر به، بينما بالإمكان العقلي يكون الحمد لازما على الإنسان بمقابل نعمة أو من غير مقابل، وهذا هو غاية الامتنان.

ولنأخذ مثالاً آخر كالصلوات الخمس التي أمرنا بها، فبالإمكان العادي يكون الأمر طبيعيا ألاّ تُصلى هذه الصلوات عند عدم الأمر بها، بينما بالإمكان العقلي يكون أداء الصلوات الخمس ضرورية وإن لم يؤمر بها. وإلى هذا المعنى أشار النورسي -رحمه الله- بقوله: "إن إقامة الصلاة واجتناب الكبائر وظيفة حقيقية تليق بالإنسان ونتيجة فطرية ملائمة مع خلقته"[٧٩].

إن رسائل النور أشارت إلى نعم عظيمة أنعمها المولى الكريم على الإنسان ليكون حامدا شاكرا، وممتنا لها، إلا انها أولت اهتماما بنعم ثلاث وهي: نعمة الإيمان، ونعمة القرآن، ونعمة الإسلام. فهذه النعم هي أساس جميع النعم الأخرى في الوجود، ولولاها لما توصل الإنسان إلى إدراك أنعم الله تعالى.

لقد وردت عبارة: (الحمد لله على نعمة الإيمان) في سياقات متعددة ومناسبات مختلفة، فقد وردت منفردة في أماكن، وأحيانا اقترن بها لفظ (القرآن) تارة، ولفظ (الإسلام) تارة أخرى، ولكل سياق موضوع يناسبه وله ارتباط محدد بتلك العبارة، وبيان ذلك كالآتي:

أولا: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان

إن الإيمان أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده المؤمنين، فهو عبارة النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلا في ضروريات الدين وإجمالا في غيرها [٨٠].

إن الدروس التي تلقيها رسائل النور هي دروس في الإيمان التحقيقي الذي يهب لصاحبه مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي الأساس في الكمال الحقيقي [٨١].

فنعمة الإيمان تستوجب حمد الله تعالى وشكره، لأنه مرتكز لجميع النعم التي تفضل بها علينا المولى الكريم، لذا يشير النورسي إلى أن الشكر أهم أسس رسائل النور بعد التفكر، وأن أكثر مراتب الشكر والحمد وحقائقهما قد أُضحت إيضاحا كاملا في أجزاء رسائل النور لذا عمد إلى ذكر بعض مراتب الحمد الذي يقابل نعمة الإيمان في تسع نقاط، فالحمد لله على نعمة الإيمان المزيل عنا ظلمات الجهات الست، وهو إشارة إلى جهة الماضي وجهة المستقبل وجهة الفوق وهو عالم السموات، وجهة التحت وهي عالم الأرض، وجهة الأمام التي يتوجه إلى تلك الجهة كلُ ذوي الحياة مسرعة قافلة خلف قافلة، وجهة الخلف التي تحمل على التحير والتردد متسائلاً من أين؟ إلى أين؟، فالإيمان يزيل مخاوف ما تخفيه هذه الجهات، وتكشف لنا تلك الظلمات، فتكون مبتسمة بعد أن كانت موحشة، والحمد على نعمة الإيمان المنور لنا الجهات الست من جهة دفع البلايا، وجهة جلب المنافع للإنسان، والحمد لله على نعمة الإيمان الحاوي لنقطتي الاستناد والاستمداد إي أن الإيمان بالذي يملك زمام الكون من الذرات والمجرات، و الحمد لله على نعمة الإيمان ونوره الذي نور لنا الحياة الأبدية، وبشرنا بالسعادة الأبدية، والحمد لله على نور الإيمان الذي عرفنا بخالقنا، وعرفنا بمخلوقاته [٨٢].

لقد أيقن النورسي- رحمه الله- أن نعمة الإيمان هي مدار سعادة الإنسان فيقول ما نصه: "فإيماني هذا لذةٌ ما بعدها لذة، لذة كافية وافية ودائمة، وسعادة خاصة نقية لا يعكرها ألمٌ، ففهمت من تلك الآية الكريم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) كم يكون إذن عبارة ﴿الحمد لله على نعمة الإيمان﴾ عبارة جديرة ولائقة"[٨٣].

إن للشكر منزلة عظيمة،لذا تناولته رسائل النور وأولت غهتماماً كبيراً به، فأصبحت رسالة الشكر من الدروس الإيمانية التي اكتنفتها صفحاتها ولا سيما في المسألة الخامسة من المكتوب الثامن والعشرين [٨٤]، فالأستاذ يشير في هذه الرسالة إلى أمور مهمة من ضمنها أن في الشكر إيمان صافٍ رائق، وهو يحوي توحيداً خالصاً؛ لأن الذي يأكل تفاحة -مثلاً- باسم الله ويختم أكلها بـ"الحمد لله" إنما يعلن بذلك الشكر، على أن تلك التفاحة تذكارٌ خالص صادر مباشرة من يد القدرة الإلهية، وهي هدايةٌ مهداة مباشرة من خزينة الرحمة الإلهية، فهو بهذا القول وبالاعتقاد به يسلّم كلّ شيءٍ -جزئياً كان أم كلياً- إلى يد القدرة الإلهية، ويدرك تجلي الرحمة الإلهية في كل شيء، ومن ثم يُظهر إيماناً حقيقياً بالشكر، ويبيّن توحيداً خالصاً [٨٥].

ثانياً: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان والقرآن

لقد أبدت رسائل النور اهتماما عظيما بصرف الوجوه إلى أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده وهو القرآن الكريم الذي هو قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول، وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، وهو أسمى مرشد، وأقدس أستاذ على الإطلاق، وهو عين الحق ومجمع الحقائق، ولا مثيل له في جامعيته وشموليته، فهو معجزة باهرة [٨٦].

إن يقين النورسي وإيمانه بأن القرآن معجزة باهرة، بل أن كل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة، بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة، دفع به أن يقول: "الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن "[٨٧].

إن وجه التتابع بين الإيمان والقرآن في التحميدة النورية هو أن برهان الإيمان هو القرآن [٨٨]، فهو كلام ذات الله الجليل البصير بالأزل والأبد معا والشاهد بجميع الحقائق في آن واحد، ومما يشير إلى هذه الحقيقة الآية الكريمة [٨٩]: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾[٩٠]، وقال جل وعلا: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٩١]. فيفهم من ذلك أن القرآن وسيلة يتحقق بها الإيمان، فكانت النعمتان مرتبطتان ارتباط السبب بالمسبب.

ثالثاً: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان والإسلام

تؤكد رسائل أن الإسلام التزام، والإيمان إذعان، أو بتعبير آخر: الإسلام هو الولاء للحق والتسليم والانقياد له، أما الإيمان فهو قبول الحق وتصديقه، فالإسلام والإيمان لا ينفكان عن الآخر، فكما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سببَ النجاة، كذلك الإيمان بلا

إسلام لا يكون سبب النجاة [٩٢]، فالحمد لله على نعمة الإسلامية التي هي مرضيات رب العالمين، وفهرسته لأنواع نعمه المادية والمعنوية، حمدا بلا نهاية؛ إذ الإسلام هو الذي أرانا ما يرضى به ويريده ويحبه ربنا ورب العالمين ورب السماوات والأرضين [٩٣]، فالحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام بعدد قطرات الأمطار وأمواج البحار [٩٤].

ويلفت النورسي نظرنا إلى معنى عميق وهو أنه:" إذا ربى الإنسان بذرة استعداده وسقاها بماء الإسلام، وغذاها بضياء الإيمان تحت تراب العبودية موجها أجهزته المعنوية نحو غاياتها الحقيقة بامتثال الأوامر القرآنية، فلا بد أنها ستنشقّ عن أوراقٍ وبراعم وأغصان تمتد فروعها وتتفتح أزاهيرها في عالم البرزخ وتولّد في عالم الآخرة وفي الجنة نِعَماً وكمالات لا حدّ لها، فيصبح الإنسان بذرةً قيّمةً حاوية على أجهزة جامعةٍ حقيقة دائمة ولشجرة باقية، ويغدو آلة نفيسة ذات رونق وجمال، وثمرة مباركة منورة لشجرة الكون"[٩٥].

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أود أن أشير إلى أبرز النتائج التي توصلت إليها، وهي كالآتي:

١. وردت كلمة الحمد ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وستون مرة، فقد جاء بلفظ: الحمد، وبحمد، وبحمدك، وبحمده، وحميد، ويحمدوا، والحامدون.

٢. استعمل العرب لفظ الحمد بمعنيين: أحدهما بمعنى المدح والثناء، وهو نقيض الذم، وكذا بمعنى الشكر وهو الغالب في الاستعمال في عرف الناس.

٣. أن الشكر أهم أسس رسائل النور بعد التفكر.

٤. إن دلالة الحمد عرفاً عند النورسي أعمق من أن تكون باللسان فقط، إذ يراد بها تعظيم المنعم على النعمة باللسان أو الجنان أو الأركان، وعلى هذا الإساس يكون بين الحمد العرفي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلق، فالحمد أعم، والشكر أخص إذ يراد به صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله وهو العبادة.

٥. إن الحمد والشكر قد جاء الأمر بهما في القرآن الكريم، إلا أن الامتثال لذلك الأمر بأدائه يكون ضرورة لا لأجل كونه مأمورا به بل لكون أن المتفضل الكريم هو أهل بذلك الحمد والشكر. فبالإمكان العادي يستوي ألا يحمد المنعم عند عدم الأمر بالحمد، مع أن يحمد عند الأمر به، بينما بالإمكان العقلي يكون

الحمد لازما على الإنسان بمقابل نعمة أو من غير مقابل، وهذا ما يسمى بغاية الامتنان.

٦. أثبتت رسائل النور تفرد الخالق الكريم واختصاصه بالحمد؛ لأن كل ما كان سببا للحمد هو الذي أوجده، فصفة المحمودية ثابتة لله تعالى من حيث كونها مختصة بها على لسان جميع الحامدين والشاكرين.

٧. تلهمنا رسائل النور إلى أن الحامد لابد أن ينظر من النعمة التي أنعمها الله تعالى بها عليه ليعرف قيمة ذلك الإنعام وعظمته، فيتيقن ببصيرة الإيمان، أن ذلك المنعم أبصر به وأقرب منه إليه يتعرف بالإنعام، ويتودد بالإحسان، ويتحبب بالإكرام إلى الإنسان، فالإنسان إنما يكون شاكراً إذا استشعر ذلك التعرف والتودد.

٨. إن الكون وما تسيح فيه من مخلوقات كلها حامدة لله تعالى وشاكرة له سواء كان بلسان الحال أو المقال.

٩. الشكر الفطري هو عبارة عن الميل والاشتياق لاستعمال النعم، واستخدامها حاجة أو تلذذا أو تذوقاً.

١٠. إن الله تعالى هو المحمود المشكور على نعمه الوفيرة، وعطاياه الجزيلة، والحامدون هم الذين أدركوا قيمة تلك الهدايا الربانية، فأصبحت يرددون بالحمد، ويهتفون بالشكر بلسان الحال أو المقال، فيقابلهم المحمود بالحمد والشكر وبجزيل الثواب يترأسهم سيد الشاكرين محمد صلى الله عليه وسلم فيكون هو السباق بالحمد ليكون محمودا عند المحمود الأول وصاحب العطايا في الأزل.

١١. إن استعمال النعم التي أسبغها الخالق الكريم والالتذاذ بها وتقديم الشكر لله بقوله (الحمد لله) حال الانتهاء إنما يظهر بفعله إيمانا حقيقياً، ويبين توحيدا خالصاً به، لأن قوله ذلك إقرار على صدور تلك النعم من خزينة الرحمة الإلهية.

١٢. إن أسباب الحمد كثيرة، إذ النعم لا تحصى ولا تعد، بصورة ظاهرة وباطنة، كالوجود، والكون، والمخلوقات، والإيمان، والقرآن، والرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، والإسلام، ولا تدرك قيمة هذه النعم إلا بالإيمان التحقيقي لا

التقليدي، لإن الإيمان التحقيقي ينظر إلى تلك النعم ويعدها هدايا من خالقه وسلطانه، فيدرك قيمة تلك العطايا الثمينة، والاحسانات القمينة، فيتعرف من خلالها على خالقه وموجده.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب والسداد، ويوفقنا لنكون من الشكرين الحامدين لأنعمه، ويورثنا الجنة مع عباده الصالحين، آمين، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد: لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

الشعاعات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

صحيح البخاري المسمى بـ(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم المسمى بـ (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجيل – بيروت، الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في اسطنبول سنة ١٣٣٤ هـ.

صيقل الإسلام: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.
كتاب التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
الكلمات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.
لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
اللمعات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.
المثنوي العربي النوري: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.
معجم مقاييس اللغة:لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة الثالثة- ١٤٢٠ه.
المكتوبات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.
الملاحق: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.
نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

الهوامش

١ عميد كلية القلعة الجامعة للدراسات الدينية بأربيل/العراق
أستاذ مشارك بكلية العلوم الإسلامية بجامعة صلاح الدين-أربيل
Mail: farhad976@yahoo.com

٢ ينظر: مقاييس اللغة٢/١٠٠، ولسان العرب٣/١٥٥، والجامع لأحكام القرآن ١/١٧٧.

٣ سورة آل عمران ١٨٨.

٤ سورة البقرة ٣٠.

٥ ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٣١٨.

٦ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز٣٣.

٧ سورة الصافات ١٨٠-١٨٢.

٨ تفسير القرآن العظيم ابن كثير٤٦/٧.

٩ ينظر: مفاتيح الغيب ١٩٠/١، ولمسات بيانية ١١.

١٠ صحيح مسلم٢٢٨/٨، كتاب الآداب، رقم ٧٦١٦.

١١ لم أجده بهذا اللفظ ولكن جاء بلفظ آخر وهو: (مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري ٣٣٩/٤، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم ١٩٥٥.

١٢ ينظر: لسان العرب١٥٥/٣

١٣ تفسيرالطبري١٣٨/١.

١٤ الجامع لأحكام القرآن١٧٨/١.

١٥ سورة المؤمنون٣٨.

١٦ سورة إبراهيم ٣٩.

١٧ سورة النمل ١٥.

١٨ سورة الاسراء١١١.

١٩ سورة فاطر ٣٤.

٢٠ سورة يونس ١٠.

٢١ الشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان. ينظر: التعريفات١٢٨

٢٢ الحمد العرفي: فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا، أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان. ينظر: التعريفات٩٣.

٢٣ ينظر: لسان العرب١٥٦/٣

٢٤ الجامع لأحكام القرآن ١٧٩/١.

٢٥ نزهة الأعين٢٥١.

٢٦ ينظر: صيقل الإسلام١٥٧.

٢٧ مفاتيح الغيب١٩١/١.

٢٨ أي: يكون المعلوم لأجلها. ينظر: هامش رقم خمسة من كتاب إشارات الإعجاز٢٥.

٢٩ الكلمات ٨.

٣٠ سورة الذاريات ٥٦.

٣١ ينظر: إشارات الإعجاز٢٤-٢٥.

٣٢ ينظر المصدر السابق ٢٨، وشرح الملا عبد الحميد على تعليقات الإمام النورسي في كتابه (قزل إيجاز) على السلم المنورق للشيخ عبد الرحمن الأخضري، وهو مطبوع ضمن كتاب صيقل الاسلام١٥٨،

٣٣ تحدث السيد الشريف الجرجاني عن أقسام الحمد والشكر موضحا العلاقة بينها. للمزيد من التفاصيل ينظر: كتاب التعريفات ٩٣، ١٢٨.

٣٤ ينظر: إشارات الإعجاز٢٦.

٣٥ سورة الأنعام ١ .

٣٦ سورة الكهف١-٣ .

٣٧ سورة سبأ١.

٣٨ سورة فاطر١.

٣٩ ينظر: إلى حاشية الشهاب على سورة الأنعام نقلاً من إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ٢٥.

٤٠ ينظر: المكتوبات٢٩٢.

٤١ ينظر: إشارات الاعجاز٢٦

٤٢ المكتوبات ٢٩١.

٤٣ ينظر المكتوبات ٢٩٠.

٤٤ اللمعات٤٤٨.

٤٥ ينظر: التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد ١٠٨/٢.

٤٦ سورة يس ٥٣.

٤٧ سورة آل عمران٥٤١.

٤٨ سورة إبراهيم ٧.

٤٩ سورة الزمر ٦٦.

٥٠ سورة الرحمن ١٣.

٥١ ينظر: المكتوبات٤٦١-٤٦٣.

٥٢ المثنوي العربي النوري١٤٦.

٥٣ سورة سبأ ١٣.

٥٤ سورة الاسراء ٣.

٥٥ سورة النحل ١٢١.

٥٦ سورة سبأ ١٣.

٥٧ سورة الزمر٦٦.

٥٨ أخرجه البخاري من حديث عروة، كتاب بدء الوحي-باب انتظر حتى تدفن- برقم ٤٨٣٧، ١٣٥/١.

٥٩ سورة التوبة ١١٢.

٦٠ الشعاعات٥٩.

٦١ اللمعات٤٥٢.

٦٢ سورة الرعد ١٣.

٦٣ ينظر: المثنوي العربي النوري ٤٥٤.

٦٤ المكتوبات٤٦٠.

٦٥ وردت هذه الصفة في القرآن الكريم أربع مرات.

٦٦ سورة فاطر٣٠.

٦٧ سورة فاطر ٣٤.

٦٨ سورة الشورى٢٣.

٦٩ سورة التغابن ١٧.

٧٠ سورة البقرة ١٥٨.

٧١ سورة النساء ١٤٧.

٧٢ مفاتيح الغيب٢٥٢/١١.

٧٣ صحيح البخاري ٥٤/١، كتاب بدأ الوحي، برقم١٧٣.

٧٤ ينظر: المكتوبات ٤٦٨.

٧٥ ينظر: الشعاعات٦٤١، والملاحق (ملحق أميراغ ٢) ٣٩٠.

٧٦ ينظر: الكلمات ٥٢.

٧٧ ينظر: المكتوبات٤٦٨.

٧٨ ينظر: الكلمات ٧٩٣، واللمعات٢٦٥

٧٩ ينظر: الكلمات ١٧.

٨٠ ينظر إشارات الإعجاز ٤٨

٨١ ينظر: المصدر السابق ٨٥١

٨٢ ينظر: اللمعات٤٢٧، والمثنوي العربي النوري١٤٦

٨٣ ينظر: الشعاعات ٧٩.

٨٤ ينظر: المكتوبات ٤٥٩

٨٥ ينظر: المصدر السابق نفسه.

٨٦ ينظر: الكلمات ٤٣٦، والمكتوبات ٤٤٦، والشعاعات ١٦٧.

٨٧ ينظر: المكتوبات ٤٩٨.

٨٨ ينظر: الكلمات ٨٨٠.

٨٩ ينظر: المصدر السابق ١٥٣.

٩٠ سورة الكهف ١.

٩١ سورة الفرقان ١.

٩٢ ينظر: المكتوبات ٤٣.

٩٣ ينظر: اللمعات ٤٣٢، والمثنوي العربي النوري ١٤٦

٩٤ ينظر المثنوي العربي النوري ٢٤٢.

٩٥ ينظر: الكلمات٣٦٣

معايير اللذة والألم عند الإمام بديع الزمان النورسي

ملخص:

محمد الهادي وناس [1]

يهدف البحث إلى إماطة اللثام عن موقف الإمام بديع الزمان النورسي من مسألة اللذة والألم مبرزا الخصوصية النورسية في تصورها للذة الحياة وآلامها، ويأتي هذا الطرح في زمن اختلطت فيه المفاهيم وشُوهت بشكل يصعب فيه على المرء التمييز بين السعادة والشقاء وبين اللذة والألم مما جعل الكثير من الدعاة إلى الله يتهاوى في الطريق أمام ما يعرض له من المغريات والأغراض المؤقتة. وسيتناول الباحث هذه المسألة الإنسانية المهمة في ضوء مؤلفات النورسي المسماة برسائل النور، مقسما البحث إلى ثلاثة محاور أساسية، يهتم في الأول بمفهوم اللذة عند النورسي ويعرض في المحور الثاني أنواع اللذة عنده، ليختتم البحث بمحور أخير يرصد فيه موقف الأستاذ بديع الزمان من اللذة المادية والمعنوية.

الكلمات المفتاحية: اللذة، الألم، النورسي، رسائل النور، معايير.

Standards of pleasure and pain according to Imam Badi'uzzaman Nursi

Abstract

Mohamed Hedi Ouannes

The research aims to reveal the position of Imam Badi'uzzaman Nursi on the issue of pleasure and pain, highlighting the specificity of Nursi in its conception of the pleasure and pain of life. This proposition comes at a time when concepts have been mixed and distorted in such a way that it is difficult for one to distinguish between happiness and misery, between pleasure and pain. As well as This made many callers to Allah falter on the road in front of the temptations and temporary purposes that may be presented to them. The researcher will address this important human issue in the light of Nursi's books called Risal al-

Nur, dividing the research into three main themes. In the first, he is interested in the concept of pleasure according to Nursi, and in the second axis he presents the types of pleasure according to the professor, to conclude the research with a final axis in which he monitors Badi'uzzaman's position on material and moral pleasure.

Keywords: Pleasure. Pain. Nursi. Risale-nur.

تمهيد:

إن لمتأمل في سيرة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٩٦٠) ومسيرته النضالية أن يلحظ حجم المعاناة والتضحيات التي قدمها في سبيل إيقاظ الأمة الإسلامية وتنبيهها إلى الخطر الذي يترصدها وإنقاذ جذوة إيمانها من الذبول والإنطفاء حتى ليصاب المرء بالدهشة وتتملكه الحيرة في أمر هذا الداعية الكبير وحظوظه من السعادة واللذة في هذه الحياة التي لا يسعى فيها الإنسان إلى شيء ويكدح في سبيله مثل سعيه إلى تحصيل المنافع واللذائذ وتجنب الشقاوة والآلام.

من هنا يتبادر إلى ذهن الباحث السؤال عن معايير اللذة والألم عند الأستاذ النورسي ويمكن صياغته على الشكل الآتي: ما مفهوم الأستاذ النورسي للذة؟ وماهي معايير اللذة والألم عنده؟ هل أن اللذة عند النورسي هي في تحقيق المنفعة الشخصية أو في اللهث خلف الشهوات الحسية والمعنوية أو في إرضاء النزعة الأنانية؟ وهل أن الألم عنده يتمثل في القيام لكل ما يمس من الذات الفردية أو هو في فوات الحظوظ النفسية والدنيوية أو في مقاساة حر المنفى ومكابدة السجون؟ فمع أي ضرب من اللذة نجد أنفسنا مع الأستاذ النورسي؟

تمثل جملة هذه التساؤلات المحرك الأساسي للبحث وسيعالجها الباحث بالرجوع إلى مؤلفات الأستاذ بديع الزمان كليات رسائل النور متتبعا لإفادات الأستاذ في هذا الموضوع بالسبر والتحليل وسيقسم العمل إلى ثلاث مباحث يهتم في الأول بمفهوم الأستاذ النورسي للذة موضحا نظرة الأستاذ الكونية ونظرته الإنسانية للذة ويبين في الثاني أنواع اللذة عنده مميزا بين لذة إنسانية وأخرى حيوانية ومبرزا في ذات الوقت نظرته إلى الحياة الدنيا ليختتم العمل بمبحث ثالث يتناول فيه الباحث موقف الأستاذ من اللذة محاولا الوقوف على أهم الدعائم التي تبين إخلاص الأستاذ ونفوره من تحصيل أي لذة مادية أو معنوية من وراء خدمته الإيمانية.

المبحث الأول: مفهوم اللذة عند النورسي

لا شك أن مسألة تحقيق اللذة من أكثر المسائل الإنسانية إثارة للجدل في الحقل الفلسفي الأخلاقي نظرا لما تمثله اللذة من حاجة حيوية تحرك الإرادة وتدفعها من جهة ونظرا لتلك العلاقة الوثيقة والمؤثرة التي تربط بين اللذة والفعل الأخلاقي من جهة أخرى وقد أدلى الفلاسفة بدلوهم في هذا الباب على اختلاف مشاربهم الفكرية[2] غير أن الدارس لفكر الأستاذ بديع الزمان النورسي ومنظومته النورية[3] يقف على تصور مميز لمفهوم اللذة يتناول فيه الإنسان –المتشوق للذة بطبعه- في مختلف أبعاده الوجودية ومبينا له السبيل في الظفر باللذة المنشودة. ولكن ما مفهوم اللذة عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي؟

١. اللذة من المنظور الكوني

لقد أولى الأستاذ النورسي مسألة اللذة أهمية واضحة وجعلها موضوع الكثير من تأملاته وتدبراته في آيات القرآن الحكيم التي بثها في ثنايا كثيرة من رسائله ولعل أول موضع يبرز اهتمام الأستاذ بتعريف اللذة هو جمعها بنقيضها في سياق تأمل الأكوان لتشكل اللذة مع نقيضها الألم ثنائية من العديد من الثنائيات التي تضفي النظام على الكون وتحقق التوازن والاستمرارية فكل هذه الأزواج مثل البرودة والحرارة والظلمة والنور واللذة والألم لم توجد عبثا وإنما هي لحكمة ربانية عظيمة.

وهذا ما قرره الأستاذ النورسي حيث يقول مؤكدا "إن تقابل الخير والشر في هذا الكون، واللذة والألم، والنور والظلام، والحرارة والبرودة (...) وتداخل بعضها ببعض، إنما هي لحكمة كبرى لأنه ما لم يكن هناك الشر فلا يفهم الخير، وما لم يكن هناك الألم فلا تعرف اللذة (...) ودرجات الحرارة تتحقق بوجود البرودة، وتصبح حقيقة واحدة من الجمال ألفا من الحقائق بوجود القبح بل يكتسب آلافا من أنواع الجمال ومراتب الحسن، ويختفي الكثير من لذائذ الجنة بعدم وجود جهنم، فقياسا على هذا يمكن أن بعرف كل شيء من جهة بضده، وبوجود الضد يمكن أن تثمر حقيقة واحدة حقائق عدة"[4].

واللذة عند الأستاذ هي المحور الذي تدور في فلكه الكائنات وهي المحرك الذي يحرك الموجودات ويدفعها للعمل الدؤوب فهي سنة الله التي أدرجها في جميع الموجودات لأن "كل شيء ابتداء من النحل والنمل والطير وانتهاء إلى الشمس والقمر، كل منها يسعى بلذة تامة في أداء مهامها أي اللذة الكامنة في ثنايا وظائف الموجودات"[5].

فكل الموجودات من جمادات ونباتات وحيوانات مرتبطة في حركتها في الحياة بلذة معينة أدرجها الخالق تعالى في ثنايا تلك الحركة ويضرب صاحب رسائل النور المثال ليقرب هذا المعنى من الأذهان فيقول في منتهى الرقة وهو يتأمل الماء المتجمد "إن الماء الرقراق ما إن يتسلم أمرا بالانجماد حتى يمتثل ذلك الأمر بشدة وشوق إلى حد أنه يكسر الحديد ويحطمه فإذن عندما تبلغ البرودة ودرجات الانجماد أمرا ربانيا بالتوسع إلى الماء الموجود داخل كرة حديد مقفلة، فإن الماء يمتثل الأمر بشدة وشوق بحيث يحطم كرة الحديد تلك ويتجمد"[6].

وإن شئت الوقوف على اللذة التي أدرجها الله في حركة الحيوانات فانظر إلى الديك وهو " يؤثر الدجاجات على نفسه فيترك ما يلتقطه من حبوب رزقه إليهن دون أن يأكل منها ويشاهد أنه يقوم بهذه المهمة وهو في غاية الشوق وعز الافتخار وذروة اللذة"[٧]، ويمكنك النظر في النباتات أيضا لتعرف أنها "تجد لذة فائقة في امتثالها الأوامر بما يفوق أية لذة أخرى، حتى إنها تمحو نفسها وتهلكها لأجل تلك اللذة ألا ترى شجرة جوز الهند وشجرة التين كيف تطعم ثمراتها لبنا خالصا تطلبه من خزينة الرحمة الإلهية بلسان حالها وتتسلمه منها وتظل هي لا تطعم نفسها غير الطين وشجرة الرمان تسقي ثمرتها شرابا صافيا وهبها لها ربها وهي ترضى قانعة بشراب ماء عكر"[٨] على حد تعبير الأستاذ النورسي.

ولئن كان الإنسان أرقى هذه الموجودات بما يضمه من خاصيات الجمادية والنباتية والحيوانية فإنه لا يخرج عن قانون اللذة الذي سنه الله في الخلق ذلك أن جميع أعضاءه وحواسه "كلا منها يجد لذائذ متنوعة أثناء قيامه بمهامه –في سبيل بقاء الشخص أو النوع–فالخدمة نفسها والوظيفة عينها تكون بمثابة ضرب من التلذذ والمتعة بالنسبة لها، بل يكون ترك الوظيفة والعمل عذابا مؤلما لذلك العضو"[٩]، ومن هنا يرى الأستاذ أن "العاطل الكسلان الطريح على فراش الراحة أشقى حالا وأضيق صدرا من الساعي المجد الشاكر لله والحامد له"[10].

إن تكريم الله للإنسان وتفضيله على جميع المخلوقات يشير إلى تلك المهمة العظيمة التي أسندت له في الأرض ألا وهي خلافة الله وإعمار الأرض وفق التعاليم الإلاهية حيث قال الله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [١١] ليعمر الإنسان الأرض ويكون فيها ضيفا وموظفا كما قال الأستاذ النورسي. ولكن فيما تتمثل لذة هذا الإنسان باعتباره مكلفا وموظفا في الأرض؟

٢. اللذة من المنظور الإنساني

يعتبر الأستاذ النورسي أن التكليف من الله تعالى جاء للإنسان لغاية إسعاده وتخليصه من الحسرات والآلام ليكون الإيمان نقطة الاستناد والاستمداد[١٢] التي يتكئ عليها الإنسان وهو يشق طريقه في شعاب الحياة لأن الإنسان في حقيقة الأمر هو كائن "ضعيف بينما مصائبه كثيرة، وهو فقير ولكن حاجته في ازدياد، وعاجز إلا أن تكاليف عيشه مرهقة، فإن لم يتوكل هذا الإنسان على العلي القدير ولم يستند إليه، وإن لم يسلم الأمر إليه ولم يطمئن به، فسيظل يقاسي في وجدانه آلاما دائمة، وتخنقه حسراته وكدحه العقيم، فإما يحوله إلى مجرم قذر أو سكير عابث"[١٣].

وكثيرا ما ينبه الأستاذ في رسائله إلى أهمية الإيمان ودوره في إضفاء القيمة على الإنسان معتبرا أن انعدام الإيمان يهوي بالإنسان في دركات الألم والضلالة لأن الإيمان يمنح الإنسان لذة الانتساب للخالق العظيم ذلك أن "انتساب الإنسان بالإيمان إلى القدير الذي لا نهاية لقدرته، وإلى السلطان الرحيم ذي الرحمة الواسعة (...) فلكم أن تقدروا كم يكون هذا الإنسان متلذذا بحلاوة العبودية بين يدي سيده، وممتنا بالإيمان الذي يجده في قلبه، وسعيدا بأنوار الإسلام، ومفتخرا بسيده القدير الرحيم شاكرا له نعمة الإيمان والإسلام"[١٤]، بينما الكفر والإلحاد يقطع تلك النسبة ويسلب الإنسان هناءته ولذته ومعناه "حيث تنحصر قيمته في مادته فحسب والمادة نفسها كما هو معلوم في حكم اللاشيء لأنها فانية وزائلة"[١٥].

لقد ركب الله في الإنسان أجهزة وملكات عديدة لتمكينه من أداء وظيفته في الأرض على أتم وجه مستمسكا بحبل الإيمان فكل تلك الاستعدادات لم تخلق عبثا[١٦] وإنما لحكمة بالغة الأهمية وفي هذا السياق يذكرنا الأستاذ قائلا "أتحسبون أن مهمة حياتكم محصورة في تلبية متطلبات النفس الأمارة بالسوء ورعايتها بوسائل الحضارة إشباعا لشهوة البطن والفرج؟ أم تظنون أن الغاية من درج ما أودع فيكم من لطائف معنوية رقيقة، وآلات وأعضاء حساسة وجوارح وأجهزة بديعة ومشاعر وحواس متحسسة، إنما هي لمجرد استعمالها لإشباع حاجات سفلية لرغبات النفس الدنيئة في هذه الحياة الفانية، حاش وكلا"[١٧].

وبناءا عليه فإن الحرص على إشباع اللذات الحيوانية والانغماس في الدنيا وشهواتها يحول ما عندنا من جواهر وألماس إلى قطع زجاجية تافهة من حيث لا نشعر غافلين في الآن نفسه عن حقيقة الوجود حيث تهدر أوقاتنا وتضيع أعمارنا في سفاسف

الأمور[١٨] ويرى الأستاذ النورسي أن فئة الشباب هي الأكثر انزلاقا في هذه المنحدرات الشهوانية والآفات النفسية لأن "عروق الشباب تنبض لهوى المشاعر، وتستجيب لها أكثر مما تستجيب للعقل وترضخ له وسورات الهوى –كما هو معلوم- لا تبصر العقبى فتفضل درهما من لذة حاضرة عاجلة على طن من لذة آجلة فيقدم الشاب بدافع الهوى على قتل إنسان برئ للتلذذ بدقيقة واحدة من لذة الانتقام ثم يقاسي من جرائها ثمانية آلاف ساعة من آلام السجن"[١٩].

وهكذا فإن اتباع الشهوات الحيوانية والحرص على تلبيتها لا يعبر عن غاية الحياة فلا شك أن حصر سعادة الإنسان في لذة مؤقتة يحصلها مشوبة بالعديد من الآلام هو ضرب من السفاهة والجنون لأن سعادته في الحياة إنما تكمن في التعرف على الغايات السامية المنوطة ببروزه للوجود[٢٠] ولعل من أهم هذه الغايات التي ذكرها الأستاذ النورسي في رسائله هي "القيام بالشكر الكلي ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلاهية بموازين الحواس المغروزة في جسمك وفتح الكنوز الخفية للأسماء الإلاهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في فطرتك وإعلان ما ركبت فيك الأسماء الحسنى من لطائف"[٢١].

وكأن معنى لذة الإنسان المنشودة في هذه الحياة منوط بما يبذله من جهد ومجاهدة للنفس الأمارة بالسوء والحظوظ التافهة وترقيا في مدارج السالكين وصولا إلى مقامات المشاهدة والفناء كما هو الحال عند أهل التصوف[٢٢] وبعبارة صاحب رسائل النور هو ذلك "الشعور بما يتجلى من أنوار التجليات الإلهية في مرآة حياتك وحبها وإظهار الشوق إليها وأنت مالك للشعور ثم الفناء في محبتها وترسيخ تلك الأنوار المنعكسة وتمكينها في عين بؤبؤ قلبك"[٢٣].

لذلك نجد الأستاذ النورسي يحذر في أكثر من موضع في رسائل النور من الغفلة عن هذه المعاني الإنسانية الإيمانية الراقية ويحث على السعي لتحصيلها وعدم إهدار العمر في سفاسف الأمور فيقول بنبرة المرشد الحاذق للشباب "استجمعوا عقولكم ولا تهدروا رأس مال عمركم ولا تبددوا طاقات حياتكم واستعداداتها لهذه الدنيا الفانية الزائلة وفي سبيل لذة مادية ومتاع حيواني فالعاقبة وخيمة إذ تردون إلى دركة أدنى من أخس حيوان علما أن رأس مالكم أثمن من أرقى حيوان"[٢٤]. ولكن أ ليست اللذة الحيوانية جزء لا يتجزأ في الكينونة الإنسانية؟ أ ليست الدنيا دار ضيافة للإنسان يسرح فيها كيف ومتى يشاء؟ فهل أن في الإعراض عن الدنيا وملذاتها المادية لذة معنوية؟

المبحث الثاني: أنواع اللذة عند بديع الزمان النورسي

إذا كان الإنسان يتركب من ثلاث قوى هي القوة العقلية والقوة الغضبية والقوة الشهوية فإن حركة كل من هذه القوى يجلب لذة تنسجم مع طبيعة تلك القوة فإدراك المعقولات والمجردات يمثل لذة عقلية ولذة النيل من العدو والانتقام منه تنتج عن سورة الغضب وأما القوة الشهوية فلذتها في ما تناله الحواس من المطعومات والمحسوسات[٢٥] وفي هذا السياق يعتبر الأستاذ سعيد النورسي أن اللذة هي جزاء الحركة في الكون وقد جعلها الله تعالى رابطا ودافعا للفعل والاستمرارية فيه فالإنسان من أرقى الكائنات التي تتصل باللذة اتصالا وثيقا نظرا لما كرمه الله تعالى من جامعية وشمولية في الخلق. ولكن ما معيار الأستاذ النورسي في تصنيف اللذة إلى لذة إنسانية وأخرى حيوانية؟

١. بين اللذة الإنسانية والحيوانية

إن مفهوم اللذة عند الأستاذ النورسي يقوم على أس متين هو الإيمان بالله تعالى فاللذائذ الدنيوية لا يمكنها أن ترتقي لمعنى اللذة في غياب الإيمان لأن الإيمان هو الذي يكون به الإنسان إنسانا حقا وأما إذا غاب الإيمان فيتدنى الإنسان إلى الدرجة الحيوانية[٢٦] وإن خالفها في الصورة والهيئة فقد أدرج الله تعالى في فطرة بني آدم لطائف ومواهب وأجهزة معنوية عديدة لتحقيق أساسين اثنين يخبرنا عنهما الأستاذ بقوله " الأول أن تجعلكم تستشعرون بالشكر تجاه كل نوع من أنواع النعم التي أسبغها عليكم المنعم سبحانه، أي عليكم الشعور بها والقيام بشكره تعالى وعبادته والثاني أن تجعلكم تعرفون أقسام تجليات الأسماء الحسنى التي تعم الوجود كله معرفتها وتذوقها فردا فردا، أي عليكم الإيمان بتلك الأسماء ومعرفتها معرفة ذوقية خالصة"[٢٧].

من هنا نفهم أن الإنسان لم يخلق لجمع أكبر عدد من اللذات والشهوات لأن الحيوان سيسبقه في هذا المضمار بأشواط لا محالة يقول الأستاذ النورسي "إن الإنسان أغنى من الحيوان بكثير من حيث الأجهزة والآلات بمائة مرة، ولكنه من حيث لذته وتمتعه بالحياة الدنيا أفقر منه بمائة درجة، لأن الإنسان يجد في كل لذة يلتذ بها ويتذوقها آثار آلاف من الآلام والمنغصات، فهناك آلام الماضي وغصص الزمن الحالي، ومخاوف المستقبل وأوهام الزمن الآتي وهناك الآلام الناتجة من زوال اللذات، كل ذلك يفسد عليه مزاجه وأذواقه ويكدر عليه صفوه ونشوته حيث تترك كل لذة أثرا للألم، بينما

الحيوان ليس كذلك فهو يتلذذ دون ألم ويتذوق الأشياء صافية دون تكدر وتعكر، فلا تعذبه آلام الماضي ولا ترهبه مخاوف المستقبل"[٢٨].

ومن هنا ميز الأستاذ النورسي بين ضربين من اللذة عبر عن الأول باللذة الإنسانية التي تستجيب لفطرته التي فطره الله عليها في الإيمان ومعرفة الله تعالى وأما الثاني فعبر عنه باللذة الحيوانية وهي التي تنأ بالإنسان عن فطرته وعن الحكمة من وجوده[٢٩] ليشابه بذلك الحيوان الذي يتحرك في الوجود دون تفكير في الماضي أو في المستقبل في حين أن الإنسان جاء إلى دار الضيافة والخلافة. ولكن كيف نظر الأستاذ إلى الحياة الدنيا وملذاتها؟ وهل تعتبر نظرة سوداوية قاتمة أم أن نظرته إليها كانت نظرة إيمانية تعبر عن روح القرآن الكريم والسنة النبوية؟

٢. حقيقة الدار الدنيا ولذاتها عند النورسي

إن القول بأن الدنيا دار ضيافة لا يعني أن يعيش الإنسان فيها إزاء الحيوان، مطلقا العنان لجميع شهواته ورغباته التي لا تحصى، غافلا عن وظيفته الأساسية في إعمار الأرض، وإنما يجب عليه أن يؤخذ من الدنيا بالقدر الذي يمكنه من آداء واجبه تجاه خالقه، وبذلك يعلمنا الأستاذ النورسي حيث يقول " اعلم أنها (الدنيا) دار ضيافة وأنت فيها دار ضيف مكرم فكل واشرب بإذن صاحب الضيافة والكرم وقدم له الشكر ولا تتحرك إلا وفق أوامره وحدوده (...) وإياك أن تتدخل بفضول بأمور لا تعود إليك ولا تفيدك بشيء فلا تغرق نفسك بشؤونها العابرة"[٣٠].

فحقيقة الدنيا عند الأستاذ النورسي متاع زائف وهي شبيهة بالفندق لأنها " ليست لذاتها فمحال أن تتخذ لنفسها بنفسها هذه الصورة والهيئة وإنما هي دار ضيافة تملأ وتفرغ ومنزل حل وترحال أنشئت بحكمة لقافلة الموجودات والمخلوقات"[٣١].

لذلك تراه ينبه في الكثير من الأحيان الغافلين عن حقيقة الدنيا المقترفين لأنواع المخالفات والذنوب في سبيل تحصيل أكثر عدد من الملذات فيقول لهم بعد معايشة للدنيا وخبرة دامت خمس وسبعين سنة "أيها الإنسان المبتلى بالملذات والمتع، لقد علمت يقينا طوال خمس وسبعين سنة من العمر وبألوف التجارب التي اكتسبتها في حياتي، ومثلها من الحوادث التي مرت علي أن الذوق الحقيقي واللذة التي لا يشوبها الألم، والفرح الذي لا يكدره حزن، والسعادة التامة في الحياة إنما هي في الإيمان، وفي نطاق حقائقه ليس إلا. ومن دونه فإن لذة دنيوية واحدة تحمل آلاما كثيرة كثيرة. وإذ

تقدم إليك الدنيا لذة بقدر ما في حبة عنب تصفعك بعشر صفعات مؤلمات، سالبة لذة الحياة ومتاعها"[٣٢].

كما يدعوا الأستاذ النورسي السائلين من الناس عن معنى الحياة لعدم الانخداع بزينة الدنيا المغرة[٣٣] ويحثهم على طلب اللذة في ثنايا الحياة الإيمانية فيقول "إن كنتم تريدون أن تستمتعوا بالحياة وتلتذوا بها فأحيوا حياتكم بالإيمان وزينوها بأداء الفرائض وحافظوا عليها باجتناب المعاصي"[٣٤] وكذا يوجه الأستاذ خطابه إلى الشباب فيقول لهم "اعلموا أن ما تتمتعون به من ربيع العمر ونظارة الحياة ذاهب لا محالة فإن لم تلزموا أنفسكم بالبقاء ضمن الحدود الشرعية فسيضيع ذلك الشباب ويذهب هباءا منثورا"[٣٥].

لقد أدرك الأستاذ النورسي أن لا سعادة في الإقبال على الدنيا والإلمام بملذاتها الزائفة، لا سيما وأن الله ذم الدنيا في مواضع كثيرة في القرآن وأبان حقيقتها قائلا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[٣٦] ومن شأن اللعب واللهو والزينة الخداع والتغرير بالناس ظنا منهم أن في ذلك اللذة المنشودة ولذلك حذر الله تعالى منها، فقال: ﴿...فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٣٧].

وتبقى الشهوات عند الأستاذ النورسي مناطة بحكم عظيمة أرادها الخالق تعالى وركزها في الإنسان للبقاء والاستمرارية في الحياة ذلك إن الحكمة من الزواج[٣٨] مثلا والغاية منه إنما هي في التكاثر وإنجاب النسل، لتكون اللذة الحاصلة من قضاء الشهوة أجرة جزئية تمنحها الرحمة الإلاهية لتأدية تلك الوظيفة الرفيعة[٣٩] وهو ما يتفق فيه صاحب رسائل النور مع الإمام الغزالي[٤٠] (تـ ٥٠٥هـ).

هذا وقد جاء في الحديث الشريف إشارة إلى أهمية الأجر الذي ينال جراء صرف الشهوة في موضعها المشروع فعن أبي ذر رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: "أوَليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن لكم بكل تسبيحةٍ صدقةً، وكل تكبيرةٍ صدقةً، وكل تحميدةٍ صدقةً، وكل تهليلةٍ صدقةً، وأمرٍ بالمعروف صدقةً، ونهيٍ عن منكرٍ صدقةً، وفي بُضْعِ أحدكم صدقةً"، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في حرامٍ، أكان عليه وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ"[٤١].

لذلك نجد الأستاذ يحث الشباب ويرشدهم إلى ترك المتع والملذات المحظورة حيث يشبهها بالعسل المسموم ويدعوا في الحين نفسه إلى الاكتفاء بالدوائر المشروعة كما كان دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول "يا من فتنتم بزهرة الحياة الدنيا ومتاعها ويا من يبذلون قصارى جهدهم لضمان الحياة والمستقبل بالقلق عليهما أيها البائسون إن كنتم ترمون التمتع والتنعم بسعادتها وراحتها فاللذائذ المشروعة تغنيكم عن كل شيء فهي كافية ووافية لتلبية رغباتكم وتطمين أهوائكم"[٤٢].

فحقيقة اللذة تتجاوز عند الأستاذ معناها المادي، الذي يتمثل في التعلق بزخرف الدنيا، وما تفرزه من متع زائلة لتكون السعادة في القرب من الله سبحانه وتعالى، وما وعد به عباده الصالحين من النعيم المقيم. فهي في السير في سبيل تحصيل معرفة الله ورضاه، وما ينتج عن ذلك السير من سعادة دنيوية، تتمثل في الشعور بالسكينة والاطمئنان، وإذا ما شكر الشاب على نعمة الشباب –ذلك العهد الجميل الطيب– بالاستقامة على الصراط السوي وأداء العبادات فإن تلك النعمة المهداة تزداد ولا تنقص، وتبقى من دون زوال وتصبح أكثر متعة وبهجة وإلا فإنها تكون بلاء ومصيبة مؤلمة ومغمورة بالغم والحزن والمضايقات المزعجة لذلك قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [٤٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدنيا عند الأستاذ ليست مذمومة لذاتها وإنما تصبح موضع الذم إذا ما تعلق بها قلب الإنسان ناسيا ومتغافلا عن خالقه ومنعمه العظيم وذلك ما يلاحظ في ممارسات طلاب الأستاذ لحياتهم الذين يمتثلون لكلام أستاذهم حيث يعلمهم قائلا "إن الدنيا كتاب رباني صمداني مفتوح للأنظار، حروفه وكلماته لا تمثل نفسها بل تدل على ذات بارئها وعلى صفاته الجليلة وأسمائه الحسنى، ولهذا افهم معانيها وخذ بها، ودع عنك نقوشها وامض إلى شأنك"[٤٤].

ويضيف الأستاذ مرشدا "اعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة فازرع واجن ثمراتها واحتفظ بها، وأهمل قذاراتها الفانية واعلم أنها مجاميع مرايا متعاقبة، فتعرف إلى من يتجلى فيها، وعاين أنواره، وأدرك معاني أسمائه المتجلية فيها واحبب مسماها، واقطع علاقتك عن تلك القطع الزجاجية القابلة للكسر والزوال (...) واعلم أنها موضع تجارة سيار، فقم بالبيع والشراء المطلوب منك، دون أن تلهث وراء القوافل التي أهملتك وجاوزتك، فتتعب ... اعلم انها متنزه مؤقت فاسرح ببصرك فيها للعبرة، ودقق في الوجه الجميل المتستر، المتوجه إلى الجميل الباقي، وأعرض عن الوجه القبيح الدميم المتوجه إلى

هوى النفس، ولا تبك كالطفل الغرير عند انسدال الستائر التي تريك تلك المناظر الجميلة..."[٤٥].

ويبين الأستاذ أن الدنيا لا تحب لذاتها وإنما لأجل ما تفتحه لنا من مجال في التعرف على عناصر الآخرة فهو يعتبر أن "التزيينات في هذه الدنيا ليست لأجل التلذذ والتمتع فحسب إذ لو أذاقتك اللذة ساعة أذاقتك الألم بفراقها ساعات وساعات فهي تذيقك مثيرة شهيتك دون أن تشبعك لقصر عمرها أو لقصر عمرك إذ لا يكفي للشبع إذن فهذه الزينة الغالية الثمن والقصيرة العمر هي للعبرة وللشكر وللحض على الوصول إلى تناول أصولها الدائمة ولغايات أخرى"[٤٦].

فصاحب رسائل النور إذن لا يدعوا إلى الرهبانية والجمود والركود بل إنه يرشد الإنسان ويحثه على الحركة في الحياة وفق مرضاة الله بروح إيمانية فاعلة وإيجابية[٤٧] لا تسمع لشهوات النفس الأمارة بالسوء وترتفع عن الدنيا الفانية لأن "مسلك رسائل النور قد أسس على الإخلاص التام، وترك الأنانية، واستشعار الرحمة الإلهية في زحمة الأعمال ومشقاتها، وتحري اللذائذ الباقية وتذوقها في ثنايا الآلام العابرة، وإظهار الآلام المبرحة في لذائذ السفه نفسها، وبيان أن مدار اللذة الخالصة الغير المتناهية في الدنيا أيضا هو في الإيمان"[٤٨].

ويواصل الأستاذ النورسي تذكيره بمدى زوال اللذائذ الدنيوية الحيوانية مقابل بقاء اللذة الأخروية وتفوقها بمراحل كثيرة فيقول بنبرة الواعظ المعتبر من أحوال الدنيا والحياة "إن العمر لا يتوقف بل يمضي مسرعا، فإن مضى باللذة والفرح فإنه يورث الحزن والأسى، لأن زوال اللذة يورث الألم، وإن مضى مشبعا بالغفلة خاويا من الشكر فإنه يترك بعض آثار الآثام ويفنى هو ويمضي. ولكن إذا مضى بالعناء والسجن، فلما أن زوال الألم يورث لذة معنوية، وأن مثل هذا العمر يعد نوعا من العبادة، يظل باقيا من جهة، فيجعل صاحبه يفوز بعمر خالد بثمرات خالدة خيرة، ومن جهة أخرى يكون كفارة للذنوب السابقة وتزكية للأخطاء التي سببت السجن"[٤٩]. ولكن هل سعى الأستاذ النورسي إلى تحصيل اللذة سواء كانت مادية أو معنوية طوال دعوته وخلال مسيرته النضالية؟

المبحث الثالث: موقف الأستاذ النورسي من اللذة

اقتضت سنة الله أن يكون طريق الدعوة والإصلاح في الأرض بعد فسادها طريق طويل وشاق مليء بصنوف الابتلاءات ليمتحن الله تعالى فيه أصحاب الدعوة

والمصلحين فيميز منهم الغث من السمين والسوي من المعوج فكان ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ [٥٠] وفي المقابل نكث من نكث على عقبيه أمام ما لاح له من شهوات النفس والمال والسلطان وهو ما حذر منه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي مرارا في رسائله النورانية ليكون الصدق والإخلاص لله تعالى مفتاحا التوفيق والنجاح في خدمة القرآن الكريم والدعوة إلى الإيمان ونبذ الكفر والإلحاد.

ولكن ما موقف الأستاذ بديع الزمان النورسي من اللذة؟ وهل سعى إلى تحصيل اللذة والمنفعة الشخصية من وراء الخدمة الإيمانية؟ وضمن أي إطار تكمن لذة الأستاذ النورسي؟

١. موقف النورسي من التصور الغربي للذة

إذا كان هم الناس التمتع بالشهوات فإن الأستاذ النورسي يرى أن اللذائذ المادية لا تغني من الحقيقة شيئا ولا ترتقي بالإنسان بقدر ما تحط من قيمة اللاهث خلفها هاوية به إلى الدركات السفلى[٥١] فهي تلهيه وتبتعد به عن وظيفته في إعمار الأرض وفق منهج الخالق تعالى الذي استخلفه فيها ليقر الأستاذ أنه لا ضير أن يؤخذ الإنسان من الملذات المشروعة بالقدر الذي يسد حاجته ويحول بينه والضعف والخمول والغاية من ذلك أن يكون الإنسان قادرا على التحكم في نفسه وضبط غرائزه كي لا يكون أسير أهوائه وشهواته كما هو حال إنسان المدنية الأوروبية.

لذلك نجد الأستاذ النورسي ينتقد المدنية الأوروبية ذاما لقسم كبيرا منها[٥٢] أي ذلك الذي أخذ بيمينه الفلسفة المضلة السقيمة وبشماله المدنية المضرة السفيهة ليتعفن في ظلمات اللذة المادية الجاسية فما يبرح الأستاذ أن يتسأل في استغراب "ترى هل يمكن أن يسعد إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة وترفله في زينة ظاهرة خادعة وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله وفي قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن أن نطلق عليه أنه سعيد؟ ألا ترين أن من يئس من أمر جزئي وانقطع رجاؤه من أمل وهمي وخاب ظنه من عمل تافه كيف يتحول خياله العذب مرا علقما وكيف يتعذب مما حوله من أوضاع لطيفة فتضيق عليه الدنيا كالسجن بما رحبت؟"[٥٣].

ويواصل الأستاذ استنكاره لاختزال الإنسان في بعده المادي دون اعتبار لجانبه الروحي والقلبي مبينا مآلاته الضارة فيقول لهذه المدنية المادية "كيف بمن أصيب بشؤمك بضربات الضلالة في أعمق أعماق قلبه وفي أغوار روحه حتى انقطعت بتلك

الضلالة جميع آماله فانشقت عنها جميع آلامه فأي سعادة يمكنك أن تضمني لمثل هذا المسكين الشقي؟ وهل يمكن أن يطلق لمن روحه وقلبه يعذبان في جهنم وجسمه فقط في جنة كاذبة زائلة أنه سعيد؟"[٥٤].

فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقارب بين ما يوفره القرآن الكريم من حياة الطمأنينة والسعادة التي تصطبغ بالصبغة الجماعية وبين ما تغذيه المدنية الأوروبية من معاني التملك والأنانية ذلك أن "القرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازا من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية، بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد والشهوة تتحكم (...) ودفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحرام"[٥٥].

ومن هنا يرجع الأستاذ سبب فساد الأخلاق وانهيار أسسها إلى تلك المدنية الغربية وأدبها الذي لا يهتم لأدب القرآن الكريم ولا يصغي إليه وهو ما يؤثر سلبا على الإنسان فيجعله أحادي الشعور لا يمكنه أن يتذوق المعاني الروحية[٥٦] فضلا عن أن يعترف بها ذلك لأن "ذوقا سفيها سافلا ترعرع في حمأة الشهوة والنفسانية لا يستلذ بالذوق الروحي ولا يعرفه أصلا (...) فالأدب الأجنبي يصور السفاهة تصويرا مثيرا إلى حد يسيل معه اللعاب، ويفلت منه زمام العقل، إذ يضرم في الشهوات ويهيج في النزوات، حتى لا يعود الشعور ينقاد لشيء"[٥٧] على حد تعبير الأستاذ النورسي.

وزد على ذلك فإن أي تأمل بسيط في منتجات الأدب الغربي[٥٨] يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن هذا الأدب يحول حياة الإنسان إلى جحيم معنوي في حقيقة الأمر ويورثه الحزن لا البهجة والألم لا السعادة لأن هذا النوع من الأدب يورث "حزنا ناشئا من فقدان الأحباب وفقدان المالك ولا يقدر على منح حزن رفيع سام إذ استلهام الشعور من طبيعة صماء، وقوة عمياء يملؤه بالآلام والهموم حتى يغدو العالم مليئا بالأحزان، ويلقي الإنسان وسط أجانب وغرباء دون أن يكون له حام ولا مالك ويضل في مأتمه الدائم (...) فيسوقه هذا الشعور إلى الضلال وإلى الإلحاد وإلى إنكار الخالق حتى يصعب عليه العودة إلى الصواب بل قد لا يعود أصلا(...).

أما أدب القرآن الكريم فإنه يمنح حزنا ساميا علويا، ذلك هو حزن العاشق لا حزن اليتيم وهذا الحزن نابع من فراق الأحباب لا من فقدانهم والأدب الأجنبي يعطي شوقا يهيج النفس ويبسط الهوس، دون أن يمنح الروح شيئا من الفرح والسرور بينما الشوق الذي يهبه القرآن الكريم، شوق تهتز له جنبات الروح فتعرج به إلى المعالي"[٥٩]. ولذلك

نهت الشريعة الغراء عن اللهو[٦٠] معتبرة أن "الآلة التي تؤثر تأثيرا حزينا حزن قرآنيا وشوقا تنزيليا لا تضر، بينما إن أثرت في الإنسان تأثيرا يتيميا وهيجت شوقا نفسانيا شهويا تحرم"[٦١].

إن الإخلاد إلى الدنيا وملذاتها عند الأستاذ يتعارض مع غاية الله في خلق الإنسان وإبرازه من العدم إلى الوجود وتزويده بشتى المواهب والاستعدادات والملكات السامية حيث قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [٦٢] وفضلا عن ذلك فإن الانغماس في الملذات الدنيوية يورث آلاما عديدة باعتبار أن لذائذها مشوبة بالآلام فضلا عن أن زوال اللذة يورث الألم والحسرات.

ويحدثنا الأستاذ بديع الزمان عن محاورته ودحضه للوساوس الشيطانية التي لا تنفك عن الدعوة إلى اتباع الهوى والشهوات وتفضل ذرة من اللذة الجزئية الضئيلة على قنطار من اللذة الباقية قائلا "انتصب أمامي شخص معنوي كأنه يمثل الشيطان الإنسي يدعو إلى السفاهة ويروج للضلالة قائلا لي "نحن نريد أن نستمتع بجميع لذائذ الحياة ونمتع الآخرين بها دعنا وشأننا وإليك عنا.

فأجبته قائلا، ما دمت ترمي بنفسك في أحضان الضلالة والسفاهة حصولا على لذة جزئية وذوق ضئيل متناسيا الموت غير آبه به، إذن فاعلم أن الماضي كله –حسب ضلالتك- قد مات واندثر وانتهى إلى العدم، فهو مقبرة عظيمة موحشة مرعبة، قد رمت فيها الجثث وبليت فيها الآثار، لذا إن كانت لك مسكة من عقل أو كنت تملك قلبا ينبض بالحياة فإن الآلام المتولدة –بمقتضى ضلالتك- من الموت الأبدي، ومن أنواع الفراق غير المحدود لأقاربك وأحبابك غير المعدودين تزيل تلك اللذة الجزئية المسكرة التي تتذوقها في فترة قصيرة جدا"[٦٣].

ويستمر الأستاذ في نقض دعاوى الضلالة والانحلال الأخلاقي والفجور فيقول "وكما أن الماضي معدوم بالنسبة لك فالمستقبل معدوم لك كذلك، وذلك بسبب انعدام إيمانك، بل هو ساحة موحشة رهيبة مظلمة ميتة فما من أحد من الموجودات المسكينة يأتي ويبرز إلى الوجود –مارا بالحاضر- إلا ويقبضه جلاد الموت ويقذفه إلى العدم، وأنت لكونك مرتبط بتلك العوالم –بحكم عقلك- فإن المستقبل يصب على رأسك الملحد مطر السوء من الآلام الموجعة والقلق الشديد والاضطرابات العنيفة، حتى يجعل جميع لذائذك الجزئية السفيهة أثرا بعد عين"[٦٤]. ولكن هل سعى الأستاذ النورسي إلى تحصيل اللذة من وراء خدمته الإيمانية؟

٢. زهد النورسي في اللذات المادية والمعنوية

يريد الأستاذ النورسي أن ينبهنا إلى معنى حديث النبي الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"[٦٥] فيقول لنا في أكثر من موضع في رسائل النور أنه بغير الله دنيانا تكون آلام وعذاب وفناء وزوال وهباء في هباء بل إننا نجد الأستاذ ذاته يتسائل عن اللذة الحقيقية متأملا لآيات الذكر الحكيم فيقول "ترى ما اللذة الحقيقية لحياتي الدنيوية هذه وما سعادتها؟ راجعت الآية الكريمة " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "[٦٦] لأجد الجواب، فرأيت وفهمت منها أن أصفى لذة لحياتي هذه وأنقى سعادتها إنما هو في الإيمان، أي الإيمان الجازم بأني مخلوق من خلقني ورباني، فأنا مصنوعه وعبده وتحت رعايته ومحتاج إليه كل حين، وهو ربي وإلهي وهو الرحيم الرؤوف بي. فإيماني هذا لذة ما بعدها لذة، لذة كافية وافية دائمة، وسعادة خالصة نقية لا يعكرها ألم"[٦٧].

لقد تفطن الأستاذ النورسي إلى أنه لا طائل من اللهث وراء اللذة الدنيوية والتي تؤخر عن المرابطة في رباط الحق وجعل غايته تحقيق الإيمان في الحياة الإنسانية[٦٨] ذلك الإيمان الذي يمنح للإنسان من السكينة والطمأنينة ما لا توفره وسائل المدنية والمادية مجتمعة فطفق يدعو الناس في غاية الشفقة والرحمة إلى هذا السبيل القويم سبيل القرآن الكريم ثم علم الأستاذ أن هذا الصوت لا يمكنه أن يصل إلى القلوب ويحركها إلا بمعية الصدق والإخلاص لله تعالى وحده فأخذ بكل مستلزمات ذلك سعيا لإنقاذ إيمان أكثر عدد ممكن من الناس وقد بقيت كليات رسائل النور خير شاهد على ذلك العزم.

إن كتاب "سيرة ذاتية" الذي دونه طلاب الأستاذ النورسي في حق أستاذهم الذي راجعه حاذفا منه ما يتعلق به من كرامات ليمثل أوضح دليل على إخلاص الأستاذ وعدم سعيه وراء حظوظ معنوية تافهة وملذات سفيهة وعاجلة من وراء خدمته الإيمانية بل ومدى حجم الخدمة التي بذلها في سبيل إنقاذ إيمان إخوانه مضحيا بحياته الدنيوية والأخروية إن لزم الأمر.

وقد رد الأستاذ على كثير من الدعاوى الموجهة إليه ورافع في الكثير من المحاكم والمرافعات عن براءته من التهم الملفقة التي تتهمه بالسعي وراء حظوظ النفس السلطوية وتشكيل الجماعات السياسية ولعل أبرزها يتضح بقوله مصرحا "إنني أسعى وأجتهد لا لكسب مقام أو شهرة أو جاه وسمعة ولا لأنال مرتبة أخروية أو معنوية بل لأؤدي خدمة إيمانية لأهل الإيمان وإنني في سبيل هذه الخدمة مستعد بكل قناعتي وقوتي للتضحية لا بحياتي الدنيوية ومقاماتي الفانية فحسب بل حتى بحياتي الآخرة إن لزم الأمر

وبالمراتب الأخروية الباقية التي يطلبها كل إنسان بل أقبل إن لزم الأمر أن أترك الجنة وأدخل جهنم لأكون وسيلة لإنقاذ بعض أهل الإيمان المساكين منها"[٦٩].

إن المرء ليعجب من أهل التفتيش والمحاكم اللذين تتبعوا الأستاذ النورسي أكثر من عشرين سنة يتهمونه بتهم باطلة ويعاملونه معاملة المجرمين "كيف ساغ لهم أن يجرموا رجلا تحدى أهل الضلالة في العالم، وضحى في سبيل الخدمة الإيمانية بحياته الدنيوية وبالأخروية إن لزم الأمر، ولم يستبدل بحقيقة إيمانية واحدة ملك الدنيا بأسرها كما أعلن أمام المحاكم، وفر بكل قوته من السياسة ومن المراتب المادية والمعنوية التي يشم منها معنى السياسة مراعاة لسر الإخلاص، وترفع عن السياسة بمقتضى مسلكه الإيماني متحملا صنوفا من الأذى لا مثيل لها على مدى عشرين سنة"[٧٠].

لقد ترفع الأستاذ النورسي عن كل ما من شأنه أن يسيء للإخلاص في خدمته الإيمانية[٧١] والذي حتما سيؤثر في رسائل النور ومدى استيعابها واستفادة الناس منها باعتبار "أن حبة واحدة من صدق تبيد بيدرا من الأكاذيب وأن حقيقة واحدة تهد صرحا من خيال"[٧٢]، وفي هذا السياق يقول الدكتور عابد توفيق الهاشمي "لقد صدق (الأستاذ النورسي) الله فصدقه فيما فتح عليه من انارة قلوب الملايين وهو في ظلمات السجون وصدق الناس في دعوته فأحبوه واستسلموا لجميع ما وجههم إليه من مئات الرسائل بل الألوف في غياهب السجون والمنافي"[٧٣].

ورغم كل ما لاقاه الأستاذ من الظلم والمتاعب تراه صابرا محتسبا الأجر في تواضع تام غير ساخط ولا متكبر لأنه يعتبر أن "مقياس العظمة في الكاملين هو التواضع أما الناقصون القاصرون فميزان الصغر فيهم هو التكبر"[٧٤] كما تراه في نكران تام للذات حيث يضع نفسه دوما "في موازين الاتهام التي يضعها فيه خصومه الحكام والمسؤولون ويعلل الاحتمالات كلها تعليل مخلص ميزانه خدمة الله والقرآن والحق والصالحين (...) وكان ثأره لله ولدعوته في مضايقاته فيها كان جحيما على رؤوس أعدائه ليزيدوا من طاقاته في الدعوة إلى أنوار القرآن الكريم"[٧٥].

إن حديث الأستاذ النورسي عن الإخلاص في الخدمة الإيمانية وما يستصحبه من زهد عن الملذات الدنيوية الفانية والاعراض عن المراتب المادية والمعنوية يتجاوز التنظير إلى الفعل والتطبيق[٧٦] فهو واقع حياة عاشه الأستاذ متأسيا بسيرة خير الرسل صلى الله عليه وسلم الذي جسم حقائق القرآن وجعلها أنماطا سلوكية ومناهج حياتية

في الواقع التاريخي، ليعيش الأستاذ النورسي حياة الكفاف لا يأخذ من الدنيا إلا ضرورته معتمدا على الاقتصاد والقناعة في ضرورات حياته من الملبس والمأكل[٧٧].

خاتمة

وفي نهاية المطاف يمكن القول بأن الأستاذ النورسي نظر إلى اللذة من زاويتين كونية وإنسانية فبين في اللحظة الأولى أنها سنة الله في الكون وقانونه الذي ينظم به الكائنات من جمادات ونباتات وحيوانات وحتى الإنسان الذي توسع في الحديث عنه في لحظة ثانية مركزا على حساسية موضوع اللذة عنده والذي يقوم أساسا على الإيمان بالله تعالى ويتحرك ضمن هذه الدائرة فحسب ذلك أن كل لذة تطلب خارج الدائرة الشرع إنما هي في حقيقة الأمر ألم مموه ولذلك نجده لا ينفك عن مخاطبة الشباب وتذكيرهم بأن الإيمان بالله تعالى هو الذي يكون به الإنسان إنسانا حقا ويتميز به الحيوان فهو الذي يملك أجوبة لكل أسئلته الوجودية من أنا؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ فتمنحه الحقائق القرآنية الشعور باللذة والطمأنينة في حين تقف الفلسفات المادية والمدنية الغربية عاجزة.

تتسم نظرة الأستاذ النورسي إلى الدنيا وملذاتها بالتوازن والاعتدال فهي نظرة تعبر عن روح القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وليس في دعوته للتزهد في الدنيا وملذاتها المادية ركودا ولا رهبانية لأنه يرى أن الانغماس في ملذات الدنيا من شأنه أن يفسد إيمان الإنسان وفطرته ويتدنى به إلى الدركات الحيوانية والأستاذ بهذا يوافق سلفه من الأئمة الكبار أمثال الإمام الغزالي الذين يقتدون بالمعلم الأعظم صلى الله عليه وسلم والذي اختار أن يعيش حياة سعيدة يملئها الرضا ويزينها الكفاف.

وتجدر الإشارة إلى القول بأن الأستاذ النورسي لم يحفل كثيرا باللذة في حياته ولم يسع وراءها سواء كانت مادية أو معنوية ومضى في القيام بخدمته الإيمانية المقدسة غير مكترث بما يعترضه من المشاق في سبيل ذلك ليمثل نيل مرضاة الله تعالى والقيام بالخدمة الإيمانية على أحسن وجه أم اللذات عنده وتشهد بذلك سيرته التي قضاها ملتزما بمبادئه ودساتيره لا ينفك عنها قيد أنملة وهو ما أدى إلى الانتشار الواسع لرسائل النور وانقاذها لإيمان الكثير من الناس في ربوع شتى من العالم لتتجاوز بذلك اللذة عند الأستاذ معناها الحسي النفعي والشخصي الضيق وتصطبغ بصبغة الجماعية التي تقوم على مبدأ الأخوة والإخلاص حيث سعى الأستاذ النورسي إلى تبيينها وتقريبها إلى الناس من خلال رسائله معبرا عن تلك اللذة المعنوية التي وجدها في ثنايا الإيمان التحقيقي والأخوة الإيمانية خلال وظيفته الدعوية والتعليمية بين آيات القرآن الحكيم.

ترى ما أسرار اللذة المعنوية عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي؟

مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم

- بدوي عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية، دار العلم للملايين، ١٩٩٣/١.
- بيوزان بنعيسى أحمد، نقد الحضارة الغربية وتقويمها فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، استنبول-تركيا، ٢٠١٥.
- جرار مأمون فريز، اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤/١.
- جيدل عمار، ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الإجتماعية من خلال رسائل النور، المؤتمر العالمي حول الإنسان في رسائل النور، ٢٠٠٠.
- الرزقي محمد، فلسفة النُورسي للتحرر من النمط الاستهلاكي للحياة المعاصرة، د.ط.
- زيادة معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦/١.
- السودي نجيب، هكذا علمتني رسائل النور، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤/١.
- الشريف محمد بن موسى، الصفات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره، دار الخضراء.
- عبد العظيم أحمد عبد العظيم، دور الأخلاق في تغيير الواقع المعاصر من خلال فكر الإمام النورسي، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان سعيد النورسي، ٢٠٠٠.
- عشراتي سليمان، النورسي وجذور رؤيته الإنسانية، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان سعيد النورسي، ٢٠٠٠.
- ـــــــــ، المعنى القرآني في رسائل النور، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٩/١.
- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار التراث العربي، ١٩٩٨/٢.
- العكيوي عبد الكريم، المقاصد العملية للتربية السلوكية عند بديع الزمان النورسي، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، إستنبول-تركيا.
- ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الحديث القاهرة، ط٢٠١١/٣
- مسلم، صحيح، دار الحديث المصرية.
- النبراوي خديجة، مشكلات عقلية قلبية للإنسان، دار سوزلر، القاهرة.
- النجار عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، ط١٩٩٣/٢،
- النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، دار سوزلر، القاهرة، ط ٢٠١١/٦.
- ـــــــــ، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، دار سوزلر، القاهرة، ط ٢٠١١/٦.
- ـــــــــ، كليات رسائل النور، اللمعات، دار سوزلر، القاهرة، ط ٢٠١١/٦.
- ـ، كليات رسائل النور، الكلمات، دار سوزلر، القاهرة، ط٢٠١١/٦.
- ـــــــــ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦.
- ـــــــــ، كليات رسائل النور، المكتوبات، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١/٦.
- ـــــــــ، كليات رسائل النور، سيرة بديع الزمان النورسي بلسانه وأقلام تلامذته، ترجمة حسين عثمان خليل جادو ومحمد أبو الخير السيد.

- الهاشمي عابد توفيق، إخلاص بديع الزمان سعيد النورسي ودعوة القرآن الكريم، المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي، ٢٠٠٠.

الهوامش

١ باحث الدكتوراه في قسم أصول الدين بجامعة الزيتونة – بتونس
wannes.mohamed.hedi@gmail.com

٢ راجع زيادة معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦/١، ٥٥٦/١.

٣ ولد الاستاذ سعيد النورسي سنة ١٨٧٧ في قرية نورس في شرق تركيا وتوفي ١٩٦٠ بأورفة، عاش في أيام الدولة العثمانية الأخيرة وفترة حكم الإتحاديين ثم الكماليين وعرف بمعارضته لسياسة مصطفى كمال المعادية للدين مما جعله يقضي أكثر من عشرين سنة من عمره بين السجون والمنافي ولكنه لم يستسلم وألف كليات رسائل النور التي ضمنها دروسا إيمانية في تسع أجزاء تهدف لصد هجمة الإلحاد وإنقاذ إيمان الناس من الشبهات وهو بذلك يعد من أبرز العلماء في الفكر الإسلامي المعاصر. راجع كتاب سيرة ذاتية لبديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص١١.

٤ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، دار سوزلر، القاهرة، ط٢٠١١/٦، ص٢٧٥.

٥ م ن، ص٢٧٦.

٦ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، ص٢٧٦.

٧ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، ص٢٧٥.

٨ م ن، ص٢٧٦.

٩ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، اللمعات، دار سوزلر، القاهرة، ط٢٠١١/٦، ص١٧٤.

١٠ م ن، ص١٧٥.

١١ سورة الأحزاب: ٧٢.

١٢ راجع جرار مأمون فريز، اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤/١، ص٢٧.

١٣ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، دار سوزلر، القاهرة، ط٢٠١١/٦، ص٢٤.

١٤ م ن، ص١٧٧.

١٥ م ن، ص٣٤٨.

١٦ النجار عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، ط١٩٩٣/٢، ص٢٩.

١٧ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص١٣٥.

١٨ راجع النبراوي خديجة، مشكلات عقلية قلبية للإنسان، دار سوزلر، القاهرة، ص٤٢.

١٩ م ن، ص١٦٢.

٢٠ راجع السودي نجيب، هكذا علمتني رسائل النور، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤/١، ص٣٦.

٢١ م ن، ص١٣٦.

٢٢ "في الفناء تمحى الوحشة عن قلب المريد تماما، وتفتح له أبواب الأنس بالله تعالى بعد أن تحولت المجاهدة إلى مشاهدة، لتتمثل السعادة في جملة الكشوفات والمشاهدات، التي يحظى بها السالك والتي تأتي على رأسها المشاهدة في مقام الفناء، باعتبارها من أرقى المشاهدات في طريق القوم لأنها "مشاهدة حضرة الجمع التي يشمر إليها السالكون عنده". راجع ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الحديث القاهرة، ط٢٠١١/٣، ٢٨٦/٢.

٢٣ م ن، ص١٣٨.

٢٤ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص١٣٥.

٢٥ راجع بدوي عبد الرحمان، الموسوعة الفلسفية، ص٣٥٦ بتصرف.

٢٦ راجع عشراتي سليمان، النورسي وجذور رؤيته الإنسانية، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان سعيد النورسي، ٢٠٠٠، ص٤٨.

٢٧ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص١٣٥.

٢٨ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٣٦٦.

٢٩ راجع عشراتي سليمان، المعنى القرآني في رسائل النور، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٩/١، ص٥٤.

٣٠ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٢٢٣.

٣١ م ن، ص٧٨.

٣٢ م ن، ص١٦٤.

٣٣ يضرب الأستاذ مثالا رائعا يبين فيه زيف اللذات الدنيوية ويشبه فيه العمر بالقطار فيقول "ذلك القطار هو الزمن، وكل عام بمنزلة عربة منه وذلك النفق هو الحياة الدنيا، وتلك الأزهار والثمار الشائكة هي اللذات غير المشروعة واللهو المحظور حيث إن الألم الناشئ من تصور زوالها يدمي القلب ويجرح النفس فيقاسي الإنسان من توقع فراقها مرارة العذاب. وإن معنى ما قاله الخادم في القطار: اعطني خمسة قروش أعطك من أحسن ما تحتاجه" هو أن اللذات والأذواق التي يحصل عليها الإنسان عن طريق السعي الحلال ضمن الدائرة المشروعة كافية لسعادته وهنائه وراحته فلا يدع مجالا للولوج في الحرام". راجع الكلمة السادسة، ص٢٥.

٣٤ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص١٥٩.

٣٥ م ن، ص٨٨.

٣٦ سورة الحديد ٢٢.

٣٧ سورة لقمان ٣٣.

٣٨ للتوسع يمكن الاطلاع على رد الاستاذ على شبهة كثرة زواج النبي لأجل الشهوة في المكتوبات ص٣٣.

٣٩ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٤٧٠ بنصرف.

٤٠ قال الغزالي "إن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل" راجع الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، ٧٦/٣.

٤١ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم ٦٤٤١.

٤٢ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص١٥٧.

سورة النحل ٤٣.٩٧

٤٤ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٢٢٠.

٤٥ م ن، ص٢٢١.

٤٦ م ن، ص٧٩.

٤٧ راجع العكيوي عبد الكريم، المقاصد العملية للتربية السلوكية عند بديع الزمان النورسي، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، إستنبول-تركيا، ٢٠١١، ص٦٣.

٤٨ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، ص٣٣٨.

٤٩ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، اللمعات، ص٣٦٩-٣٧٠.

٥٠ سورة الأحزاب: ٢٣.

٥١ راجع عشراتي سليمان، بديع الزمان النورسي سيمياء الشكل والصميم، د ط، ص٩٩.

٥٢ راجع بيوزان بنعيسى أحمد، نقد الحضارة الغربية وتقويمها فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، استنبول-تركيا، ٢٠١٥، ص٤٨.

٥٣ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، اللمعات، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤/٦، ص١٦٣.

٥٤ م ن، ص١٦٣.

٥٥ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٨٤٢.

٥٦ راجع عبد العظيم أحمد عبد العظيم، دور الأخلاق في تغيير الواقع المعاصر من خلال فكر الإمام النورسي، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان سعيد النورسي، ٢٠٠٤، ص٨٩.

٥٧ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤/٦، ص١٧٨.

٥٨ راجع بيوزان بنعيسى أحمد، نقد الحضارة الغربية وتقويمها فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص٥١.

٥٩ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٨٧٤.

٦٠ وينبه الأستاذ النورسي إلى أن هذه الحالة تبقى اعتبارية غير ثابتة وتتغير بتغير الأشخاص. راجع الكلمات ص٨٧٤-٨٧٥.

٦١ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٨٧٤.

٦٢ سورة الذاريات: ٥٦-٥٧.

٦٣ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، ص٢٣٣.

٦٤ م ن، ص٢٣٥.

٦٥ مسلم: الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم الحديث ٢٩٥٦.

٦٦ سورة آل عمران: ١٧٣.

٦٧ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الشعاعات، ص٧٩.

٦٨ راجع عشراتي سليمان، بديع الزمان النورسي سيمياء الشكل والصميم، ص١٠٠-١٠١.

٦٩ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، سيرة بديع الزمان النورسي بلسانه وأقلام تلامذته، ص٧٠٩.

٧٠ م ن، ص٧٠٩.

٧١ راجع الشريف محمد بن موسى، الصفات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره، ص٤٣.

٧٢ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٨٣٩.

٧٣ الهاشمي عابد توفيق، إخلاص بديع الزمان سعيد النورسي ودعوة القرآن الكريم، المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي، ص٢٤٧.

٧٤ النورسي بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ص٨٥٦.

٧٥ الهاشمي عابد توفيق، إخلاص بديع الزمان سعيد النورسي ودعوة القرآن الكريم، ص٢٤٧.

٧٦ جيدل عمار، ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الإجتماعية من خلال رسائل النور، المؤتمر العالمي حول الإنسان في رسائل النور، ٢٠٠٠، ص١٢٨.

٧٧ الرزقي محمد، فلسفة النُورسي للتحرر من النمط الاستهلاكي للحياة المعاصرة، د.ط، ص١٢. وقد كان الاستاذ مكتفيا بأوقية رز واحدة وثلاثة أرغفة من الخبز بقية أيام شهر رمضان بل أن الرز قد استمر خمسة عشر يوما بعد أخر بعد شهر رمضان، وبالنسبة للباس يقول إن هذه الجاكيت قد اشتريتها منذ سبع سنوات، وكفت أربع ليرات ونصف ليرة لمصاريف خمس سنوات مضت للملابس والحذاء والجوارب، فلقد كفتني البركة والاقتصاد والرحمة الالهية".راجع المكتوبات، بديع الزمان النورسي، ص٣٨.

المؤتمرات العلمية والأيام الدراسية ومختلف النشاطات التواصلية نبذة عن أهم الأنشطة والفعاليات لمؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم خلال السنوات ٢٠١٩-٢٠٢٠-٢٠٢١

لم تثن الظروف الوبائية الاستثنائية (كوفيد ١٩ ومتحوّراته) التي عرفها العالم مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم عن الوفاء بدورها الريادي في التعريف برسائل النور ونشر ما اشتملت عليه من مبادئ نيّرة وأفكار سديدة، فكانت النشاطات تعريفية وتيسيرية، اجتمع في هذه الأنشطة والفعاليات العناية بجمهور المتلقين فضلا عن الباحثين الأكاديميين من أساتذة وأساتذة ناشئين وطلبة أكاديميين.

ورأس ما اجتهدت المؤسسة في الحفاظ عليه مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، فقد صدرت الأعداد تباعا، فضلا عن جهود المدارسات وفق ما تمليه الظروف الصحية الراهنة، وبهذا الصدد فقد عرفت المؤسسة جملة من النشاطات ذات الصبغة العالمية وأخرى محلية خلال المواسم العلمية ٢٠١٩-٢٠٢٢.

أولا: دورات تدارس رسائل النورومجالسها العلمية:

١- استضافت مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم عدة دورات لتدارس رسائل النور.

-عام ٢٠١٩ دورة تدارس رسائل مع ثلة من علماء الهند برئاسة الأستاذ نصير الدين القاسمي. وشارك فيه علماء الهند ببرنامج مكثف لتدارس كليات رسائل النور واشراف مترجم رسائل النور للغة العربية الأستاذ الفاضل إحسان قاسم الصالحي والأستاذ منير توران.

-عام ٢٠٢٠ عقدت دورة تدارس كليات رسائل النور لأساتذة جامعيين من المغرب، وضم الوفد ١٣ أستاذا من جامعة محمد الخامس (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) برئاسةالأستاذ الدكتور العربي بوسلهام (رحمه الله)، وقد أطّر الدورة الأستاذ الفاضل إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور للغة العربية.

٢- دورات المجالس العلمية التي أملتها الظروف الأستثنائية (التواصل عبر الشبكات)

- المجلس العلمي الأول عام ٢٠٢١: الدين والعلم ومعضلة التقعيد والتعميم في الفكر المعاصر.

انعقدت أولى هذه الدروس يوم الأحد الموافق لـ ٢٠ ماي ٢٠٢١ وكان موعدنا مع الأستاذ الدكتور عبد الكريم عكيوي من الديار المغربية أطل علينا بمحاضرة نافعة وماتعة حملت عنوان "الدين والعلم ومعضلة التقعيد والتعميم في الفكر المعاصر.

- المجلس العلمي الثاني: المقاصد أبعادها ومفسداتها في رسائل النور.

ضمن سلسلتها المسماة بمجالس النور نظمت مؤسسة استنبول للثقافة والعلوم يوم الأحد الموافق لـ ٤ تموز/جويلية ٢٠٢١ فعاليات المجلس الثاني وقد أطل علينا فيه الأستاذ عمار جيدل من بلاد عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي ومالك بن نبي بمحاضرة علمية قيمة تحت عنوان "المقاصد أبعادها ومفسداتها في رسائل النور''.

- المجلس العلمي الثالث: ألقى الأستاذ الدكتور فرهاد الشواني محاضرة عنوانها:

مركزية القرآن الكريم في ترسيخ ثقافة اللاعنف من منظور بديع الزمان النورسي قراءة للواقع وبحث عن الحلول.

- المجلس العلمي الرابع: قيمة الجمال في رسائل النور

نظمت مؤسسة استنبول للثقافة والعلوم المجلس الرابع من برنامجها مجالس النور يوم ٣٠ يناير٢٠٢٢ وقد أثث هذا المجلس النوري الأستاذ الدكتور محمد خروبات من الديار المغربية بمحاضرة شيقة اختار لها عنوان قيمة الجمال في رسائل النور.

ثانيا: الاتفاقيات والتعاون والزيارات

- تمَّ عام ٢٠١٩ توقيعُ اتفاقية تعاونٍ بين مؤسسةِ **اسطنبول** للثقافةِ والعلوم وجامعةِ الخرطوم

عقدت مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم اتفاقية تعاونٍ مع جامعة الخرطوم في السودان، وذلك في خضم زيارةٍ لرئيس جامعة الخرطوم البروفيسور أحمد محمد سليمان، إلى جانب عميد كلية الدراسة عن بعد الدكتور عبد الكريم حسن عوض إلى تركيا.

- تم عقد عام ٢٠١٩ اتفاقية جديدة بين مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم وجامعة دار السلام كونتور

عقدت مؤسسة استنبول للثقافة والعلوم إتفاقية شاملة جديدة مع جامعة دار السلام كونتور ، الواقعة غرب جزيرة جافا في أندونيسيا .حيث وُقِّعت الاتفاقية بين رئيس الجامعة أ.د أمل فتح الله زركشي،ورئيس الهيئة التنفيذية لمؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم السيد سعيد يوجه إلى جانب حضور عدد من الأكاديميين.

- مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم في الكويت.

قامت مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم برئاسة السيد سعيد يوجه بزيارة دولة الكويت الشقيقة وذلك في ١٩ – ٢١ شباط ٢٠٢٠ حيث تهدف هذه الزيارة الى بحث سبل التعاون الأكاديمي وتبادل الخبرات العلمية والثقافية بين مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم وجامعة الكويت وبعض المؤسسات العلمية.

الهيئة التنفيذية لمؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم في زيارة إلى اتحاد علماء المسلمين

قامت الهيئة التنفيذية لمؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم عام ٢٠٢١ بزيارة الى اتحاد علماء المسلمين بقطر حيث استقبل فضيلة الشيخ الدكتور احمد الريسونى رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في المقر الرئيسى للاتحاد بالدوحة وخلال اللقاء رحّب فضيلة الشيخ الدكتو أحمد الريسوني بوفد الهيئة، وأشار إلى أن الاتحاد يولي اهتماما كبيرا بالقضايا العلمية والثقافية والإيمانية.

- زيارة وفد من مركز دار السلام في القدس إلى مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم

قام وفد مكون من الأعضاء الإدارية لمركز دار السلام في القدس بزيارة الى مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم حيث هدفت الزيارة الى بحث سبل التعاون بين مركز دار السلام ومؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم وتبادل التجارب العلمية والعملية في مجالي الدعوة للاسلام وإحتواء المسلمين الجدد وتقديم لهم المصادر الإيمانية القوية

- استقبال وفدين علميين من بلاد الرافدين

استقبلت مؤسسة **اسطنبول** للثقافة وعلوم في بدايات شهر أكتوبر وفدين علمين من العراق ضما أساتذة التربية الإسلامية وباحثين أكاديميين في العلوم الإسلامية بغرض تعريفهم بالأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وافادتهم بمؤلفاته الإيمانية القيمة الموسومة برسائل النور.

- توقيع اتفاقية تعاون مع كل من الجامعات التالية:

جامعة المالديف الإسلامية

جامعة القرآن الكريم بالسودان

جامعة الزيتونة بتونس

- انضمام مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم كعضو مؤسس الى اتحاد الجامعات الافرواسيوية:

بعد الموافقة من رئيس الاتحاد الاستاذ الدكتور مختار احمد انضمت مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم الى اتحاد الجامعات الافرو اسيوية وعقدت مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم إتفاقية شاملة جديدة مع اتحاد الجامعات الافرو اسيوية.

- ترجمات رسائل النور من التركية الى العربية:

تم ترجمة بعض الكتيبات من رسائل النور من اللغة التركية الى العربية وتم نشرها من قبل دار سوزلر للنشر منها: - نحو فهم رسائل النور - مطالع النور

ثالثا: الندوات والمؤتمرات العلمية الخاصة برسائل النور

١-الندوات العلمية:

- الندوة العالمية العاشرة للباحثين في رسائل النور

تنظم مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم كعادتها كل عام الندوة العالمية العاشرة للأكاديميين الشباب وذلك من يوم الأربعاء ٢٨ أغسطس/ غشت إلى يوم الأحد ٠١ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٩ بحضور ثلة من الأساتذة والباحثين من مختلف أنحاء العالم والذين يعدون رسائل وأطروحات علمية في رسائل النور.

تم عام ٢٠٢١ عقد ندوة تحمل عنوان بديع الزمان سعيد النورسي جهوده الإصلاحية والدعوية ورؤيته في تفسير القرآن الكريم مع مؤسسة البيت الحمصي، بمشاركة الدكتور أشرف عبد الرافع الدرفيلي.

- الندوة العلمية الدولية: الإصلاح الديني من خلال رسائل النور

عقدت جامعة صلاح الدين بالعراق / أربيل بالتعاون مع مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم ندوة علمية موسومة الإصلاح الديني من خلال رسائل النور في يوم الخميس ٤ مارس ٢٠٢١ عبر الأنترنت. وقد شارك في هذه الندوة العلمية العديد من العلماء والأكاديميين من مختلف انحاء العالم.

- الندوة العلمية الدولية: الفكر الإسلامي المعاصر وهموم الإنسان من خلال أعمال الأستاذين بديع الزمان سعيد النورسي وعلي عزت بيغوفيتش

عقد مختبر مناهج الدراسات الاسلامية وعلوم الاجتهاد التابع لجامعة ابن زهر في المغرب بالتعاون مع مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم ندوة علمية موسومة بالفكر الإسلامي المعاصر وهموم الإنسان من خلال أعمال الأستاذين بديع الزمان سعيد النورسي وعلي عزت بيغوفيتش في يوم السبت ٢٧ شباط ٢٠٢١ عبر الزوم.

٢-المؤتمرات العلمية:

- المؤتمر العالمي الثاني عشر لبديع الزمان سعيد النورسي

نظمت مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم المؤتمر العالمي الثاني عشر لبديع الزمان النورسي الموسوم ب الإيمان في حياة الفرد والمجتمع عن طريق الزوم يومي الثالث والرابع من شهر أكتوبر ٢٠٢١ وشارك في المؤتمر العديد من العلماء والباحثين وقدم أكثر من مائة واربع وعشرون بحث من قبل اكاديميين من ٦٠ جامعة في ٢٦ دولة مختلفة.

- المشاركة في الندوة العالمية لدورة الأصول الأساسية لعلم الاعجاز في القرآن والسنة:

شاركت مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم في الندوة العالمية لدورة الاصول الاساسية لعلم الاعجاز في القرآن والسنة المنظمة من قبل اتحاد الجامعات الافرواسيوية ومنظمة الدورة العلمية في الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة المطهرة.

إعلان الندوة العالمية الحادية عشرة للأكاديميين الشباب

تعزم مؤسسة **اسطنبول** للثقافة والعلوم على عقد الندوة العالمية الحادية عشرة للأكاديميين الشباب ضمن سلسلة ندواتها العلمية والأكاديمية وذلك بتاريخ ٦ – ١٢ أغسطس / آب ٢٠٢٢ ميلادية، وتتمحور أهداف هذه الندوة حول خدمة رسائل النور من خلال المشاريع العلمية التي هي في طور الانجاز من قبل طلبة الدراسات العليا على المستويين (الماجستير والدكتوراه) وذلك ضمن نطاق محدد ومخصوص برسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

عنوان التوزيع

عبد الكريم بابيارا kerimbaybara"gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com

Contents

Editorial

• Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note..... ٢

Miscellaneous Studies

• Prof. Dr. Muhammed Khalil Cicek: Faith-consciousness and its Impact on the Formation of the Personality of a Believer according to Nursi.....١٠

• Pr. Dr. / Aziz Mohamed Admane: The Risale-i Nur: A Perfect Example of How to Present Islam to Contemporary Man ٣١

• Dr. Atia Ben Atia: Truth, Revelation and Reason A critical reading of the postulates and rules of interpretation in modern readings of revelation study model.....٥٣

Dossier

• Prof. Lakhdar Charait: The relation between religion, science and art in the thought of Nursi ١٠٠

• Prof.Dr. Ali Alashi / Dr. Salem Elmasahli: Faith and its impact on establishing social peace An applied study on risale-i Nur.....١٢٩

• Dr. Farhad İbrahim Akbar Shuwani: "The Contexts of Divine Praises among the Faith, the Holy Qur'an and the Islam: An Alaytical Study" ١٥٥

• Mohamed Hedi Ouannes: Standards of pleasure and pain according to Imam Badi'uzzaman Nursi.....١٧٦

• Contents / Annual Subscriptions ٢٠٤

Only papers conforming to academic standards will be considered for publication

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January - July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 13, Number 22 (January 2022)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalenderhane Mahallesi, Dedeefendi Cd. Cüce Çeşmesi Sk. No. 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL - TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax : +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 0 00 602 938

https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur